أغسطس (آب) ١٩٨٨، ذو الحجة ١٤٠٨

المختار

من ريدرز دايجست

AL MUKHTAR min Reader's Digest August '88 N° 117

كيف نواجه اولادنا المراهقين؟

(ص ٤٦)

سيارة الغد

(ص ٩٦)

دليل الغذاء الصحيح ٧

هواة ينبشون كنوز ألمانيا ١٨

"شادو"، لعبة طائرة ٢٤

كنوز البارون ٣٠

من أسرار القادة الناجحين ٣٦

الكلبة المنقذة (مأساة واقعية) ٤٠

أندريه غاليرن، رائد الاعماق ٥٠

غريب في بيتنا ٥٦

فضائح التحاليل المخبرية ٥٨

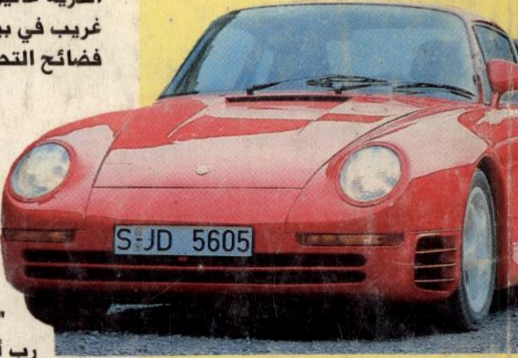

مهمة سرية لغواصة المانية

(ص ١٠٩)

سياجات ٦٥

"الهمجيون" الجدد ٧٠

رب أخ لك لم تلده أمك ٧٥

يد المايا الخضراء ٨٠

تحدي الصرع ٨٥

إيف سان - مارتان، فارس العصر ٩٠

المشوار الطويل (قصة قصيرة) ١٠٥

قطار الموت ١١٤

كتاب الشهر: رحلة الى القطب ١٢٣

صائد الايائل ٣

ضحايا الكوكايين

(ص ١٢)

تأملات معاصرة ٢٣ - الضحك خير دواء ٤٥ - دائرة المعارف ١٠٣

اوسع المجلات انتشاراً في العالم

٣٨ طبعة، ١٥ لغة، ٢٨ مليون نسخة شهرياً

فندق الشام

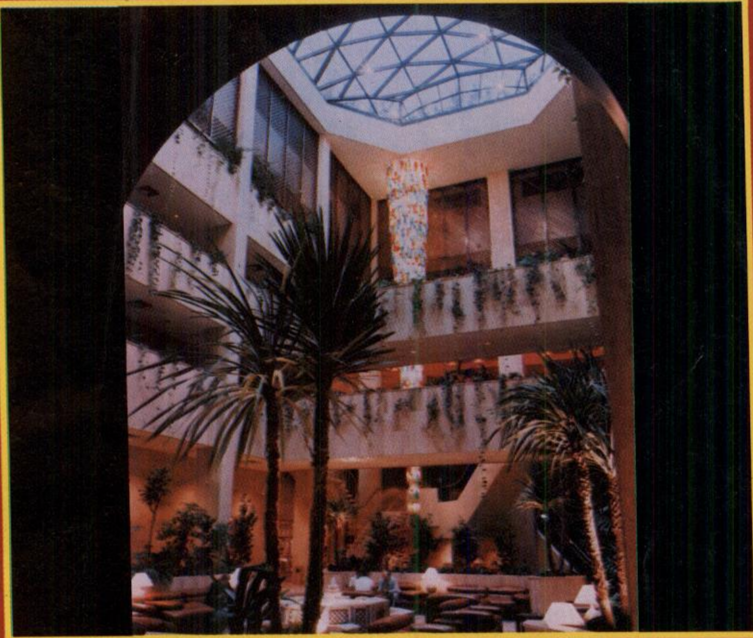

أحدث مدينة في أقدم عاصمة

فندق الشام ليس فقط أحدث وأكبر الفنادق في المنطقة ، بل إنه مدينة قائمة بذاتها . . . صمم على أحدث طراز فني ليوفر لك الراحة والمتعة القصوى سواء كنت ترتاح في غرفتك ، أو كنت منهمكاً في عملك . . . فندق الشام يوفر لك جميع الاحتياجات مثل المركز الرياضي والصحي وحمام السباحة وعدد من المطاعم الفخمة والمشارب بالاضافة إلى مسرح وصالة سينما وعدد كبير من المحلات التجارية . . . ولاتنس المطعم الدوار المطل على مدينة دمشق التاريخية بأكملها التي تعتبر أقدم عاصمة في التاريخ وتتميز بآثار قديمة تظهر أهميتها الحضارية وتقاليدها الأصيلة التي لازلنا نفاخر بها ونحافظ عليها .

للحجز : فندق الشام - ص . ب ٧٥٧٠
تلكس : ٤١١٩٦٤
رقم الهاتف : ٢٣٢٣٠٠ (١٠٠ خط)
تلكس الزبائن : ٤١١٨١٠ (٥ خطوط)

فندق الشام

عراقة في التقاليد

المختار

من ريدرز دايجست
مجلة شهرية

رئيس التحرير – المدير المسؤول: ادمون صعب.
امانة التحرير: راغدة حداد. الاخراج: جورج غالي. الخطوط: جبران مطر.

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية – باريس. الناشر: شركة "ايبراك" للمنشورات الدولية – بيروت
رئيس مجلس الادارة – المدير العام: الدكتور لوسيان دحداح.
المدير العام المعاون: داني دحداح – باز.

التحرير والادارة: مركز ميرنا شالوحي، بولفار سن الفيل، ص.ب ٥٥٢٢٨ المتن الشمالي – لبنان.
الهاتف ٤٩١٦٣٠ – ٤٩٢٦٧٠ التلكس MUKTAR 44615 LE

الاشتراكات: فريال علاف، بناية الشرتوني، شارع المقدسي، ص.ب ٨٧٠٧ بيروت – لبنان.
الهاتف ٣٤٥٧٣١– ٣٤٩٤٧٧ التلكس MUKTAR 44615 LE, MEM 22288 LE
الصف والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت.
الطباعة: المطبعة العربية، المدينة الصناعية – البوشرية، المتن الشمالي – لبنان.
التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.

AL MUKHTAR min Reader's Digest
© 1988 BY AN NAHAR P.I.S.A. LICENSEE OF THE READER'S DIGEST ASSN. INC.
Editor-in-Chief: Edmond Saab.
Managing Director: Dany Dahdah-Baz.
Centre Myrna Chalouhi, Blvd. Sin el-Fil, P.O.Box 55228,
El-Metn, Lebanon.
Tel: 492670 — 491630, Telex: MUKTAR 44615 LE.

MEMBRE INSCRIT A L'O.J.D.

August '88 N° 117 (New Series) Vol. 10

ريدرز دايجست
المؤسسان: دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس.

الطبعات الدولية

رئيس التحرير: كين غيلمور. مدير التحرير: فرنسيس ج. شيل. المدير العام: جورج ف. غرون.

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانمركية والفنلندية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية والهندية، الى العربية.
حقوق النشر محفوظة لـ"المختار من ريدرز دايجست" بموجب اتفاق خاص مع شركة "ريدرز دايجست" في نيويورك، الولايات المتحدة. يحظر النقل من "المختار" او الترجمة او الاقتباس منها في اي شكل كان جزئياً او كلياً، في العربية او في اي لغة اخرى. وهذه الحقوق محفوظة بالنسبة الى كل الدول العربية والافريقية. وقد اتخذت كل اجراءات التسجيل والحماية في العالم العربي والخارج بموجب الاتفاقات الدولية المعقودة لحماية الحقوق الفنية والادبية.
ثمن العدد

لبنان ١٠٠ل – سورية ١٥ل – الأردن ٧٠٠ف – الكويت ٧٠٠ف – الامارات العربية المتحدة ٩د – قطر ٨ر – البحرين ٨٠٠ف – السعودية ١٠ر – مصر ١،٥ج – السودان ١ج – ليبيا ٥٠٠د – ج.ع. اليمنية ٦ر – مسقط ٨٠٠ب – العراق ٨٠٠ف – قبرص ٧٥ب – تونس ٧٠٠م – المغرب ٧د – الجزائر ٧د – فرنسا ١٠ف – انكلترا ١ج – اليونان ١٣٠د – كندا وامريكا الشمالية ٢،٥د

QUARTZ
WATER RESISTANT
إسم جديد
في عالم ساعات الكوارتز المقاومة للماء
تقدم سيتزن ساعة اليد الجديدة فاروس متألقة عبر مياه الزمن، والتي تتميز بشكلها الخلاّب وبمقاومتها للماء حيث تجمع بين الجودة ودقة الكوارتز التي تتوقعها من روّاد صناعة الساعات في اليابان . إختر تشكيلتنا الواسعة من الموديلات النسائية والرجالية .
PHAROS
فاروس
AF2016-55F
AF2012-56P
AF1012-51J
CITIZEN

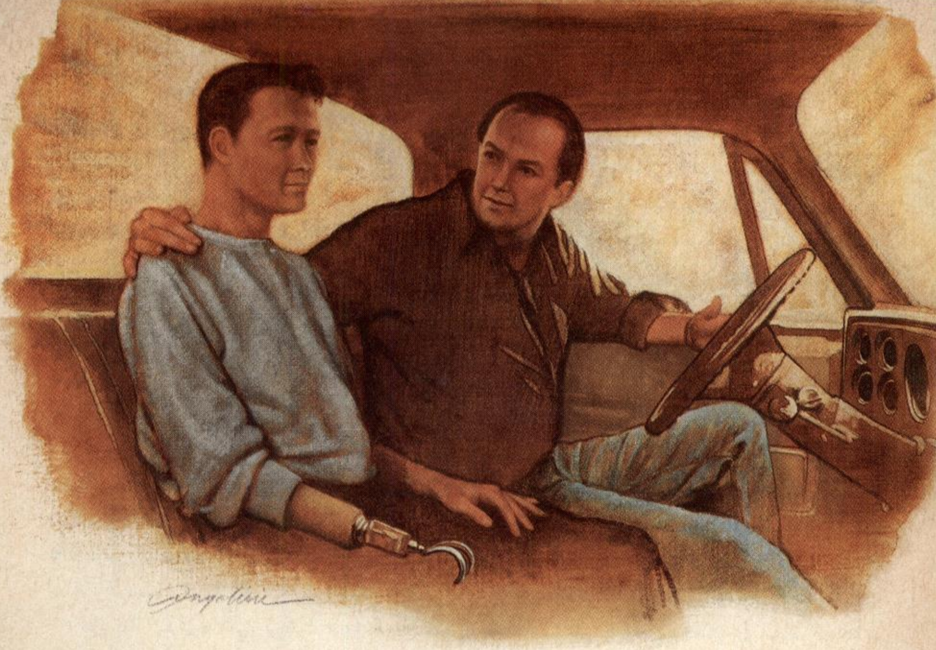

كُتب للجندي المغوار أن يجتاز تجربة أليمة
ولم يكن قادراً على ذلك لوحده

صَائد الأيَائِل

كانت رحلة طائرة الاسعاف من الفيلبين مضنية، اذ توقفنا في قواعد جوية في اليابان وألاسكا وايلينوي وأخيراً في واشنطن العاصمة.

من هناك اتصلت بأهلي في ولاية نيويورك. أخبرتهم أني سأُرسَل في اليوم التالي الى فورت ديكس بولاية نيوجرزي، وبعد ذلك الى مستشفى "فالي فورج" العمومي قرب فيلادلفيا بولاية بنسلفانيا. كان ذلك في يوليو (تموز) ١٩٦٧.

قلت قبل أن أنهي المكالمة: "يا أمي، من الافضل أن تتصلي بديكي." هو الذي سيخبر أصدقائي بأني عدت من فيتنام فاقداً ذراعاً وساقاً. هو سيمسك زمام الامور.

التقينا في فرقة كشفية في السنة الرابعة الابتدائية. ولم نتفق على أي شيء منذ ذلك الحين، وهو لا يزال مصراً على أننا التقينا في السنة السادسة.

في اليوم التالي في المستشفى

Condensed from The Wall Street Journal (November 11, '87), © 1987 by Dow Jones & Co., Inc., New York, N.Y.

بفورت ديكس رأتني أمي وأختاي للمرة الاولى بعد ستة أشهر. لم أكن في حالة جيدة اذ بلغ وزني ٤٦ كيلوغراماً وشوهت ثقوب كبيرة ساقي الباقية وغارت عيناي في محجريهما. وكانت الانابيب منتشرة في كل مكان. وباختصار، لم أعد ذلك الجندي المغوار البالغ طوله ١٨٨ سنتيمتراً ووزنه ٨٤ كيلوغراماً الذي رأينه يغادر الى فيتنام في رحلته الثانية.

بعد انصراف عائلتي دخل ديك إرليك وعدة أصدقاء فملأوا الغرفة. وإن صدمه مظهري الخارجي فهو لم يظهر ذلك. وأخبرني بعد سنة: "كنت تبدو مثل موجة صغيرة تحت الملاءة. كنت صغيراً جداً."

كل ما أتذكره أني ذرفت دموعاً عندما عَبَر الباب وتحت ذراعه رزمة من علب الشراب.

وإذ همّوا بمغادرة الغرفة قالت لي جودي، احدى الصديقات: "كن جاهزاً في عطلة عيد العمال سنأخذك الى لونغ آيلند."

كان الامر بعيد المنال بالنسبة الي، وكل ما طلبته هو أن يتوقف الالم.

العطلة الرائعة – رحلة الاصدقاء الى المستشفى كانت تستغرق ثلاث ساعات ونصف ساعة، وقد كررها ديك مراراً على مدى الشهرين التاليين كلما تسنى له ذلك. كذلك فعل الآخرون. ولم يمضِ أسبوع من غير أن يتصل بي هاتفياً. لم يكن يدرك عظمة فرحتي عندما أفصح له عن مشاعري، بعدما وجدت فيه عوناً لمواجهة عائلتي ومعارفي. كان هناك معي، ووجوده عنى لي كثيراً.

واذ اقتربت عطلة عيد العمال لم يتهاون أصدقائي في خططهم وأصروا على أن أقضي معهم نهاية الاسبوع. كنت خائفاً أن أترك المستشفى وأمانه، فبدأت أختلق الاعذار، لكنهم جاؤوا وأخذوني.

انقضت نهاية الاسبوع على نحو رائع، وبدت الحياة حلوة بعد كل الذي حصل. حتى اني ملكت الشجاعة لأسأل ديك أن يغير ضمادة ساقي، فلم يجفل أو يرف له جفن. واني لاتساءل هل كان في استطاعتي التصرف معه بالطريقة ذاتها.

أعادني ديك الى المستشفى. وبعد القيادة أربع ساعات في زحمة السير توقف عند مطعم بالقرب من المستشفى. تيبست في مكاني، فتجاهل ديك ارتعابي وسألني: "هل تريد أن تأكل؟ أكاد أموت جوعاً، وأمامي رحلة طويلة الى البيت."

فأجبته، "لست جائعاً، سأنتظرك في السيارة."

وضع يده على كتفي وعيناه في عيني وقال: "أنت صديقي، وأنا فخور بك، مع أنني أكره تلك الحرب. لنجرب الآن. ستثب الى الكرسي المتحرك وأنقلك الى مائدة حيث تثب من جديد ونأكل معاً. هل أنت موافق؟ اذا ساءت الحال فسنغادر المكان فوراً، أعدك بذلك. وأؤكد لك أن الامر لن يكون سيئاً كما تعتقد."

ولم يكن الامر سيئاً على الاطلاق، اذ كان ولادتي الجديدة وقفزتي الاولى ومعركتي الاولى. لقد نجوت!

قهر الصعاب – في الصيف التالي، وكنت لا أزال في المستشفى، قضيت نهاية أسبوع أخرى على الشاطىء. كنت

أمشي برجل خشبية وأضع كلّاباً جديداً في مكان ذراعي المبتورة. وشققت طريقي بصعوبة الى بقعة على الرمال.

سألني ديك وهو يتذكر كم كنت أحب ركوب الامواج المتكسرة عندما كنا في سن المراهقة: "هل أنت جاهز للسباحة؟"

أجبته: "لا، أعتقد أني سأقرأ فقط."

فقال: "هل يقلقك الامر؟ اذاً من الافضل أن نفعله."

وخلعتُ الساق والذراع واستندت الى كتفه ووثبت الى الامواج. ولم أنظر الى الخلف على الاطلاق.

انتقلت الى كاليفورنيا تلك السنة لدخول الجامعة، والتحقت بكلية الحقوق. وفي السنوات التالية، كلما ضايقني شيء ما كنت أفعله. تعلمت التزلج وهبطت بالمظلة ودرت حول العالم في ثلاث صيفيات.

بين العام ١٩٧٩ والعام ١٩٨١ أدرت برنامج عمل للشباب الذين تراوح أعمارهم بين ١٨ و٢٣ سنة. وفي نهاية فترة التدريب كنت أسأل الشباب عما اذا شاهدوا فيلم "صائد الايائل"(★). وكل الذين شاهدوه قالوا انه عن حرب فيتنام، فكنت أشرح لهم بصبر: "لا، انه عن الصداقة، عن الناس الذين يفعلون أي شيء من أجل الآخرين ومن غير تردد."

لقد وجدت صائد الايائل قبل ٣٧ سنة، على رغم أن ديكي، عندما يقرأ هذا المقال، سيصرّ على أن المدة هي ٣٥ سنة. وأريد أن أؤكد هنا أن اتخاذي إياه صديقاً لم يكن أمراً سيئاً كما ظننت.

شكراً لك يا ديكي.

ب.ت. كولينز

كولينز هو اليوم نائب رئيس شركة "كيدر وبيبادي" للسندات المالية في كاليفورنيا. ويملك ديك ارليك مطعماً لثمار البحر في نيويورك.

(★) The Deer Hunter

تقدير الفن

يروي النحات والرسام الايطالي أجينوري فابري: "ابتاع شخص أجهله احدى لوحاتي. فسألته زوجته أين سيعلقها، فأجابها أنه لا يعرف، لكنه سيضعها حتماً في مكان ما بحيث اذا عاد الى البيت عكر المزاج يكون واثقاً بأنها ستمنحه هنيهات من الفرح. ان جواباً كهذا يرفع من معنويات الفنان الذي يحتاج الى تفهم مباشر من الجمهور."

أ.ل.

الذكر الحسن

من أقوال الكاتب البرازيلي بيدرو نافا في أهمية أن يترك الانسان ذكراً حسناً: وراء رغبة المرء الجامحة في التشبث بذاكرة الغير تكمن الخيلاء والدفاع الذاتي. كل انسان يحاول أن يترك انطباعاً، أن يعيش قليلاً بعد، أن يترك الشعلة مضاءة، فلا يتفتت غباراً في التراب.

ت.ك.ر.

نسكافه
قهوة اللحظات السعيدة!
نسكافه قهوة صافية
محضّرة من أجود انواع البن
في العالم.
كوبٌ من نسكافه في الصباح
وفي أيّ وقتٍ مِن النهار يُعيد
اليك الحيويّة والنشاط.
أهنأ الأوقات تقضيها مع عائلتك
والأصدقاء بصُحبة نسكافه
اللذيذة والمُنشّطة.
نسكافه
قهوة الشباب العصريّ الناجح
نسكافه
القهوة السريعة التحضير

المختار
من ريدرز دايجست
أغسطس (آب) ١٩٨٨ — السنة العاشرة (سلسلة جديدة)
مقالات مقتبسة توفر لكم متعة دائمة

دليل الغذاء الصحّيح

هل السمك الذي يعيش في المياه المالحة اكثر ملوحة من السمك الذي يعيش في المياه العذبة؟

أي نوع من الزيوت يحتوي على اقلّ نسبة من الدهن وبالتالي يكون الأقل تسميناً؟

هل يجب تقشير الفاكهة قبل تناولها تخلّصاً من مبيدات الحشرات؟

اسئلة تراودنا ونود ان نعرف الاجابات عنها. في ما يأتي آخر ما توصّل اليه علم التغذية الحديث من إجابات تتسم بالدقة والتحديد.

■ هل لحم العجل الصالح للشي مقوّ اكثر من لحم الفروج الابيض؟

■ تتوقف خصائص الطعام المنمية للجسم على مقدار ما يحتويه صنف معين من البروتيين، واللحم الأحمر ولحم الدجاج متساويان من هذه الناحية.

■ يقال ان اللحم الابيض اسهل هضماً من اللحم الأحمر واللحم المطهو اسهل من اللحم النيء؟

■ خطأ. ولا نعلم مصدر هذه الافكار وهي، على رغم سعة انتشارها، تفتقر الى اي اساس علمي.

■ هل قطع اللحم الجيدة اكثر غذاء من سواها؟

■ لسوء الحظ هذا الامر صحيح احياناً. فكلما إرتفعت نسبة الانسجة العضليّة في

Condensed from «700 réponses sur les aliments», © 1986 by Hachette, Paris, France

القطعة (كما في القطع الصالحة للشيّ)، كانت مغذّية اكثر؛ وكلما ارتفعت نسبة الانسجة الضّامة أو الغضروفيّة فيها، كانت مغذّية أقل.

■ هل البيض طعام كامل؟

■ كلا. مع ان البيض طعام غنيّ ويحتوي تقريباً على جميع العناصر الضرورية للنمو الكامل، إلا انه لا يحتوي على الكربوهيدرات ولا الفيتامين "ث".

■ هل الدهن الموجود في السمك "جيد"؟

■ نعم، خصوصاً في السمك ذي اللحم المائل الى الزرقة مثل السردين والرنكة والسلمون والتنّ التي تحتوي على حوامض دهنيّة غير مشبّعة ولذا يوصى بها في نظام الحمية الذي يقضي بتناول الاطعمة ذات المحتوى القليل من الكولسترول.

■ هل سمك المياه المالحة اكثر ملوحة من سمك المياه العذبة؟

■ ان مستوى الصوديوم في النوعين هو نفسه تقريباً (٦٠ الى ٦٤ غراماً في المتوسط). فالقد والنازلي الطازجان ليسا اكثر ملوحة من سمك التروتة (الترويت) او الكراكي النهري. وبين اصناف الطعام البحري المختلفة، القشريات والمحار هي الانواع الوحيدة الغنية بالملح. (تحتوي مئة غرام من الكركند على قرابة ٢١٠ مليغرامات من الملح).

■ هل السمك مغذّ كاللحم؟

■ نعم، فمئة غرام وزنا صافياً من السمك توفر المقدار نفسه من البروتيين الذي توفره مئة غرام من اللحم. وهناك انطباع بان السمك "اقل تغذية" لأنه يُهضم بسرعة اكبر.

■ بماذا يتفوق السمك المعلّب على السمك الطازج؟

■ إنه أغنى منه بكثير بمادة الكلسيوم. فأثناء عمليّة تعقيم العلب وخلال مدّة التخزين، يصبح عظم السمك قابلاً للذوبان مما يزيد مقدار ما يحتويه لحم السمك المعلّب من الكلسيوم عشرة اضعاف ويرفع نسبته من ٣٣ الى ٤٣٧ في المئة. وبينما تزوّدنا مئة غرام من السردين النيء جزءاً من عشرين مما يحتاج اليه الجسم يومياً من الكلسيوم، فإن مئة غرام من السردين المعلّب تزوّدنا اكثر من نصف حاجتنا اليومية من الكلسيوم.

■ ما هي افضل الطرق لتحضير السمك المغذي؟

■ الاعتقاد السائد ان السلق هو الطريقة الفضلى، لانها لا تستخدم الدهن. إلا ان جزءاً من الفيتامينات والاملاح المعدنية يذوب في المرق الذي غالباً ما يُطرح خلافاً لما يجري مع مرق اللحم. وعندما يُحضّر السمك في الفرن او يُلف بورقة معدنيّة فإنه يفقد اجزاء اقل من العناصر الغذائية ويبقى سهلاً للهضم شأنه شأن غيره من الاصناف المعدّة بطرق اخرى.

■ اي نوع من الزيوت يحتوي على اقلّ من الدهن وبالتالي ايّها الأقل تسميناً؟

■ كل الزيوت، من الاقلّها كثافة الى الاكثرها كثافة، متساوية في مقدار ما تحتويه من دهن (٨١٤٥ وحدة حرارية في كل ليتر) ولذلك فإنها كلها تحدث التأثير نفسه على الوزن.

■ هل الزيت "الخفيف جداً" افضل للصحّة من غيره؟

■ نعم. والسبب انه كلما كان الدهن سائلاً في درجة حرارة عاديّة، زاد ما يحويه من الحمض الدهني غير المشبع وهو العنصر الذي يفيد في خفض مستوى الكولسترول وتحسين الدورة الدمويّة.

■ هل السكّر الاسمر افضل مصدر للفيتامينات والمعادن من السكّر الابيض؟

■ انهما متساويان في هذا المجال اي انهما لا يحتويان تقريباً على اي من الفيتامينات او المعادن. والواقع انه ليس ثمة اساس علمي للقول بأن السكر الاسمر يحتوي على فيتامينات اكثر وانه اكثر "نفعاً" من السكر الابيض. والفارق بين الاثنين هو في طريقة الصنع. فالسكّر الاسمر يستمدّ لونه من الدبس المضاف اليه.

■ هل يفضّل العسل على السكّر؟

■ غالباً ما نعتقد ذلك بسبب ما يحتويه العسل من فيتامينات ومعادن. إلا ان هذه المواد موجودة فيه بكميات ضئيلة جداً، وتلزمنا ٦ كيلوغرامات من العسل لسدّ ما يحتاج اليه الجسم من الفيتامين "ث" يومياً. وكل مئة غرام من العسل تحتوي على ٥ ميليغرامات من الكلسيوم في حين ان كوباً من الحليب يحتوي على ٣١٩ ميليغراماً.

■ هل يصلح الحليب غذاء للكبار؟

■ نعم ولا. فالغشاء المخاطي في الامعاء لدى الاطفال يفرز الـ"لاكتاز" الانزيمة الضروريّة لهضم الـ"لاكتوز" وهو السكّر الموجود في الحليب. ولكن مع مرور الزمن، ينخفض مستوى اللاكتاز لدى الكبار، لذلك نجد ان بعض الناس يتناولون الحليب ببطء ومصحوباً مع غيره من اصناف الطعام.

■ هل يجب ان يشرب الاطفال الحليب الكامل الدسم؟

■ الأفضل نعم، لأنه يحتوي على كميّة اكبر من الدهن، والحليب الكامل الدسم يحتوي على الفيتامين "أ" وفي بعض البلدان يضاف اليه الفيتامين "د". وهذان النوعان من الفيتامين ضروريان للنمو ويضافان ايضاً الى اصناف اخرى من الألبان.

■ هل يوفر اللبن الصحّي الكامل الدسم ضماناً لعمر طويل؟

■ للحكم عمّا إذا كان استهلاك اللبن بانتظام هو حقاً ضمان لعمر طويل، كما يزعم البعض استناداً الى المعمّرين الذين تجاوزوا المئة السنة في القوقاز، علينا اولاً ان نحدّد مدى الفضل العائد الى عناصر أخرى ربما أدّت الى طول اعمارهم (وإن يكن هناك خلاف حول هذه النقطة) مثل العيش الهنيء والهواء النقي في مناخ اجتماعي وسياسي وجغرافي محلّي.

■ هل في استطاعة اللبن ان يقوم مكان الحليب؟

■ الى حدّ ما. فاللبن، الحليب المخمَّر ببساطة والذي يتطلب صنعه اقل عدد من العمليات بين بقية مشتقات الألبان والاجبان والزبدة، يحتوي على العناصر نفسها التي يحتوي عليها الحليب ما خلا الفيتامين "د" واللاكتوز. ومقدار اللبن في مرطبان سعة ١٢٥ غراماً يوازي ١٧٥ ميليتراً من الحليب. على ان الحليب سهل الاستهلاك نظراً الى انه يمكن تناوله صرفاً او بنكهات مختلفة او إدخاله

في اطباق متنوعة مالحة او حلوة وذلك من دون سأم بينما تناوُل كميّة موازية من اللبن، اي ما يساوي اربعة مراطبين في اليوم، ربما كان مملّاً.

■ هل القشدة الطازجة مضرّة بالكبد؟

■ كلا، ان تأثيرها يشبه تأثير الكثير من المواد الدهنية، فإنها تحفز المرارة وتجعلها تنقبض وتطلق مادة الصفراء التي تختزنها.

■ عند تحضير الخضر، ما هي افضل الطرق لحفظ الفيتامينات والمعادن؟

■ يجب بشر الخضر او تنظيفها بالفرشاة بدل تقشيرها. ومن المستحسن تحضيرها قبل طهوها او تناولها مباشرة. والأفضل ان تغسل بالماء الجاري والا تُنقع. كذلك يجب طهوها كاملة. وعلى ربة المنزل ان تحرص، عند تقطيعها الخضر على جعل القطع او الشرحات كبيرة، فكلّما صغرت زاد مقدار ما تخسره من الفيتامين. وعليها ايضاً اعتماد الأوعية المصنوعة من الفولاذ الذي لا يصدأ (المواعين النحاسية تتلف الفيتامين "ث")، والانتباه الى وقت الطهو ودرجة الحرارة. اذ يفضل طهو الخضر في ٢٠ دقيقة بنار حرارتها ١٢٠ درجة مئوية على طهوها ساعة بنار حرارتها ١٠٠ درجة. (لهذا السبب تُعتبر طناجر (حلل) الضغط فكرة سديدة).

■ هل الأرضي شوكي (الخرشوف) مفيدة للكبد؟

■ هذه الشهرة غير مُستحقَّة. فالأوراق التي لا تؤكل، تحتوي على الـ"سينارين" وهي المادة التي تستخدمها صناعة الادوية في معالجة الكبد.

■ هل السبانخ هي الأغنى بالحديد؟

■ كلا. وعلى رغم سمعتها فإن مئة غرام منها تحتوي على ٣،٧٠ ميليغرام من الحديد بينما يحتوي مقدار مماثل من المشمش المجفف على ٦،٣٠ ميليغرام ومن الفستق على ٦،٧٥.

■ اي فاكهة هي الاكثر تغذية؟

■ يجمع عدد كبير من الخبراء على انها المشمش المجفّف. والى كونه مصدراً للطاقة والنشاط، فإنه يحتوي على الكلسيوم والحديد والفوسفور والبوطاسيوم وعلى مقدار كبير من الفيتامين "أ".

■ هل عدم تناول الفاكهة بمقدار كافٍ يسبب نقصاً في الفيتامين "ث"؟

■ كلا. فالخضر توفّر الكثير منه. ومقدار الفيتامين "ث" في مئة غرام في كل من الخضر الآتية هو: البطاطا (البطاطس) ٢٠ ميليغم، الهليون ٣٣، قرّة العين (البقلة المائية) ٤٣، الملفوف (الكرنب) ٤٧، والبروكولي (نوع من القنبيط لونه اخضر) ٩٣.

■ إذا كنت تتبع نظام حمية لتخفيف وزنك فهل تستطيع ان تتناول مقدار ما تشاء من الفاكهة؟

■ كلا. يعتقد الناس ان الفاكهة، كما الخضر، هي مصدر لا بأس به للماء وللفيتامينات والمعادن، لذلك يستطيع المرء ان يتناول منها ما يشاء ومتى اراد. إلا ان الفاكهة تحتوي على السكّر، ونصف كيلوغرام من العنب مثلاً يحتوي على ٣٥٠ وحدة حراريّة.

■ هل يجب تقشير الفاكهة للتخلّص من المبيدات؟

■ انه إحتراز غير مجد لأن اللب، مثل القشرة، غالباً ما يمتص مقداراً مماثلاً من المواد السامّة، لذلك ينصح الذين ليست لديهم مشاكل مع الألياف، بتناول الفاكهة بعد غسلها وتنظيفها بالفرشاة، من دون تقشير.

■ هل يُنصح بالتفاح في حال الإسهال او الإمساك؟

■ في الحالين. فللتفاح الطازج والمبشور مفعول يساعد على التماسك ولذا يُنصح به في حال الإسهال. من جهة أخرى يحتوي التفاح الكامل غير المقسوم والمطهو بالغلي البطيء، على الياف تحارب الإمساك.

■ كيف تقدّر محتوى الطعام من الملح (كلورايد الصوديوم)؟

■ إذا أجبت "بواسطة طعمه الاكثر او الأقل ملوحة"، فأنت مخطىء. فبعض انواع الطعام يحتوي على نسبة مرتفعة من الملح من دون ان يكون طعمه مالحاً مثل الاطعمة التي تحتوي على الملح في حالها الطبيعية كالبيض الذي يحتوي كل مئة غرام منه على ١٣٨ ميليغم من الملح والحليب الذي يحتوي كل ١٠٠ ميليلتر منه على ٤٩ ميليغم والجبن الذي يحتوي على ٢٠٠ في كل ١٨٠٠ ميليغم.

■ هل المياه "العسيرة" مضرّة بالصحة؟

■ تخلّف المياه العسيرة وهي الغنيّة بالكلسيوم والمغنيزيوم، رواسب في مواعين المطبخ وانابيب المياه والادوات المنزلية، لكنها لا تشكّل خطراً على الصحة. واظهر بعض الدراسات ان عدد الوفيات بامراض القلب والشرايين في المدن ذات المياه "العسيرة" هو أقلّ منه في غيرها.

انما هناك امر يجب ان تفعله كل صباح وهو ان تدع بضع ليترات من الماء تجري من الصنبور (الحنفية) قبل ان تشرب منها وذلك تخلصاً من رواسب الرصاص او غيره من المعادن التي تكونها المياه الراكدة في الانابيب خلال الليل.

■ ما هو متوسط ما يحتاج اليه الجسم من الماء كل يوم؟

■ قرابة ليتر ونصف ليتر. وباستثناء الاشخاص الذين يعانون مشاكل صحيّة معيّنة (في القلب والكلى)، فإن معظم الناس لا يتناولون ما يكفي اجسامهم من الماء خصوصاً الذين يعيشون في شقق هواؤها جاف ويعملون في أماكن مكيّفة. يجب ان نشرب الماء مراراً بجرعات قليلة اثناء الطعام وبين الوجبات.

جوزيت ليون

الباحث الجيد

قال الدكتور ألبرت سابين مكتشف اللقاح الشفهي لشلل الاطفال:
"على الباحث الجيد أن يتحلى بفضول وعناد هائلين وباستقامة عظيمة. فاذا اكتشف شيئاً بدا له أروع من أن يُصدَّق، فثمة احتمال كبير أنه ليس صحيحاً."

إ.ب.

ضحايا الكوكايين

لا حصانة لأحد ضد هذه الآفة المدمرة، لا القوي ولا الغني ولا الموهوب. وحتى حين لا يفتك الكوكايين بالجسم فإنه يفترس الذات مبيداً كل ذرة كرامة وثقة وحاملا نزعاً أقسى من الموت.

ينتشر ادمان الكوكايين بين المحترفين. لقد دمر مديرين ومحامين وأطباء وأصحاب مهن مختلفة. وعلى رغم تحصنهم الاوليّ من أهوال ادمان الشوارع، يتخبط أولئك المحترفون في مأساتهم عاجزين عن الخلاص كأي مدمن بائس في الازقة. وهنا قصص ثلاثة محترفين دمر الكوكايين حياتهم.

انهيار حلم

ولد ستان بيلين في الثلاثينات لعائلة مدينية أطبقت عليها الازمة الاقتصادية الكبرى التي عصفت بالولايات المتحدة آنذاك. وتفككت عائلته أكثر بسبب خلافات والديه المتواصلة. ويقول: "كنت أحيا في ظل شعور بهلاك محتم."

ما زال ستان يذكر يوم وقف على جسر يحدق الى مركب جميل. كان يرى الركاب يستمتعون بنزهتهم. انه مشهد من الراحة والترف ما كان ليتخيله أبداً. وأثارت تلك الصورة الذهنية فكرة النجاح في الصبي. فباتت أهدافه المال والقوة والنفوذ.

نجح ستان في المدرسة وبرز في المواد العلمية. لكنه افتقر الى الجرأة ليواصل التخصص الطبي وتحول الى طب الاسنان لكونه السبيل الاسرع الى تحقيق أهدافه.

تزوج شابة عرفها منذ أيام دراسته الثانوية، وعاشا نحو ٣٠ سنة حياة سعيدة حسدهما عليها كثيرون. انتشرت سمعته الحسنة وأخذت الاموال تتدفق عليه وعيّنته حكومة الولاية في منصب محترم. رزق طفلين جميلين وقطنت العائلة في منزل رائع وامتلكت سيارات فخمة وأمضت عطلات مثيرة.

حقق ستان هدف حياته حين اشترى يختاً فخماً وأبحر الى الجسر حيث لمح للمرة الاولى آمال مستقبله. لكنه يقول: "أحسست أن هناك خطأ ما. لقد اقتنيت كل ما حلمت به لكني شعرت بالحزن واليأس. وأسوأ من ذلك ادراكي أن

شعوري لن يتبدل."

في أوائل الثمانينات دعاه أحد أصدقائه الاطباء الى الغداء، وأخبره أنه يتناول الكوكايين كمضاد للانقباض. وصفه كمخدر رائع لا ينتهي الى الادمان. فاعتقد ستان أنه العلاج المناسب لانقباضه.

ويروي ستان: "أدمنت الكوكايين من الجرعة الاولى. لقد منحني رباطة جأش وثقة بالنفس وقوة، وهي أمور اعتقدت أني أستطيع شراءها بالمال. جعلني انساناً أفضل ومتحدثاً ألبق وطبيباً أبرع."

في البداية لم يقرّ ستان بأن ما يفعله خطأ: "لقد أغاظتني حملة مكافحة هذا المخدر المذهل واعتباره غير مشروع."

بعد سنتين من الادمان فقد ستان مناعته ضد مخاوف ادمان الشوارع لدى مقتل صديقه الطبيب. وبعد أسبوع غادر عيادته ولم يعد: "في ذاك الوقت اعتقدت أني عاجز عن تحمل ضغوط مهنتي، لكن الحقيقة كانت غير ذلك. كنت في حاجة الى مزيد من الوقت للادمان." وأمضى أيامه تائهاً من دون هدف وراودته فكرة الانتحار.

وفي السنة الثالثة أخذت تأثيرات الكوكايين تتلاشى. فأصبح ذلك الشعور بالنشاط يدوم بضع ثوان ليسقط ستان ثانية في أعماق كآبته. وهو يذكر: "أخيراً وصل بي الامر الى الاستسلام للبكاء."

وأدركت جين أن حال زوجها يائسة وأقنعته بدخول مصح لاعادة تأهيل المدمنين. فالتحق ستان بمؤسسة شهيرة لكنه أخفى ١٤ غراماً من الكوكايين في ثيابه. ويذكر: "أبديت تعاوناً لأيام قليلة الى أن تجرعت الكوكايين الذي كان في تي." ثم غادر المصح فجأة كما اعتاد يفعل كلما نجحت جين في اقناعه بطلب المساعدة.

وذات مرة بعدما اعتقد ستان أنه تغلب على إدمانه وجد قارورة صغيرة من الكوكايين منسية تحت بساط السيارة. ويتذكر: "مجرد رؤيتها أثار رغبتي فوضعتها في جيبي. فكرت في أن ابقاءها سيشدد عزيمتي ومقاومتي الاغراء. لكن عقلي لم يتجاهلها قط."

ومثل ثعبان ملتف استقرت قارورة الكوكايين في جيب ستان، واندلعت معركة في عقله أسفرت عن انتصار الثعبان بضراوة لا يعرفها سوى العاجزين أمام الادمان.

اليوم أنهى ستان برنامجاً شاملا لاعادة التأهيل، وهو يعمل مرشداً في برنامج لمكافحة المخدرات ويتقاضى سُبع ما كان يكسبه من طب الاسنان، وقد خسر منزله ويخته.

والآن، في بناء حياته الجديدة، يصرّ ستان على ألّا يدع الثعبان يقترب منه.

"الكوكايين يناسبني"

كانت حياة ماري شيا قصة نجاح نموذجية. عيناها الزرقاوان تتقدأن جرأة وثقة، وقد آمنت بأن المستقبل الممتد أمامها يحمل الأمل نفسه الذي انتزعها من منشأها الوضيع. في السادسة والعشرين من عمرها نالت اجازة في الصيدلة وحازت وظيفة جيدة. لقد جاهدت طويلا لتصل الى هذه المرحلة.

كانت ماري واحدة من خمسة أولاد لعائلة متوسطة في بوسطن. بدأت العمل في التاسعة وادخرت المال لـدخول الجامعة، وهو هدف لم يحققه أحد في عائلتها. وعلى رغم براعتها في الدراسة والموسيقى والرياضة، شعرت ماري بخيبة والديها وأزعجها ذلك باستمرار.

بدأت تتناول الامفيتامين في الثالثة عشرة. وكان هذا العقار ينشط أجهزتها فتكتفي بأربع ساعات من النوم وتحافظ على حركتها المسعورة.

وباستقلاليتها الدائمة كسبت ماري المال من حضانة الاطفال والعمل في صيدلية لدفع ثمن العقاقير التي لم تتعدَّ قدرتها المالية. لم تتورط في مشاكل قط ولم تبدُ عليها عوارض الادمان. وفي الحادية والعشرين التحقت بالجامعة وتوقفت عن تناول العقار. وتقول: "لم أعد أحتاج اليه. أصبحت ناضجة وحرة ومستعدة للحياة."

في السنوات الست التالية لم تتناول المخدرات. وبعد تخرجها في الجامعة حظيت بعمل صيدلي. واشترت هي وخطيبها مزرعة صغيرة وعاشت حياة مشحونة بالعمل الشاق والركض والتزلج والزراعة.

خلال تلك السنة الاولى في ١٩٧٩ زحف شيطان المخدرات الى حياة ماري. أخبرها بعض الاصدقاء عن خبرتهم المثيرة مع الكوكايين. وتتذكر: "تخلصت من المخدرات سابقاً بسهولة، وصدقت خرافة أن الكوكايين لا يؤدي الى الادمان. فلمَ لا أجربه؟ كنت أحب فورة النشاط الهائجة، وبدا أن الكوكايين يناسبني تماماً."

في السنوات التالية تناولت ماري الكوكايين مرة في الشهر. وذات يوم عثرت على كمية منه في الصيدلية وفكرت في أن أحداً لن يفتقده إذ انه مخزون بين الادوية التي انقضت مهلة استعمالها. حملت ماري كمية قليلة وتناولتها في البيت. وتكررت العملية حتى سيطر على الشابة هاجس موعد الجرعة التالية.

اكتشف خطيبها ما كانت تفعله وواجهها بالأمر. وتقول: "اتهمني بتبديل جميع قيمي، وأعتقد أنه كان على حق." وهي جبهته بعناد مفضلة الكوكايين عليه.

سيطر المخدر على حياتها ودمّر أثمن ما في مستقبلها. وتوقفت عن عملها إذ عجزت عن مواجهة الرتابة اليومية، وبدأت تعمل خادمة تنظف البيوت. للمرة الاولى في حياتها أصبحت ماري تحيا من دون هدف.

بعد فترة قُتل مدمن عرفته ماري في جريمة تتعلق بالمخدرات. وتقول: "أدركت أن عليّ الهروب."

الخوف من القتل أعاد ماري الى وعيها. فغادرت بوسطن وقطنت في بلدة صغيرة جنوب الولايات المتحدة. وسرعان ما حازت وظيفة في صيدلية. ويتذكر صاحب تلك الصيدلية: "كانت معاملتها للزبائن ممتازة وقد تحلّت بالصبر واللطف ولاسيما مع المسنين."

وتقول ماري: "كانت أمامي فرصة ذهبية لبداية جديدة." لكنها اقتنعت بـأنها تستطيـع تناول الكـوكـايين كمهدىء، وعمدت الى تناوله مرة كل

أسبوع. نجحت في الفترة الاولى ورُقّيت الى وظيفة مديرة للصيدلية.

إنما مرة جديدة فقدت ماري السيطرة على نفسها وبدأت تختلس الكوكايين من الصيدلية، الى حد أنها سرقته من الوصفات التي كانت تحضرها مبدلة اياه بمخدر عادي. ومنحها الكوكايين الراحة الوحيدة من الكآبة التي استبدت بها بسبب ضياع حياتها الموعودة.

وأثر الكوكايين في صحتها. ازدادت نبضات قلبها مما اضطرها الى تناول عقاقير لابطائها. كانت تتناول الاقراص المنومة للهروب من يأسها ومن واقعها. وقد أصرت على أنها تستطيع التغلب بمفردها على أي مشكلة، لذا لم تفكر في طلب المساعدة.

وفي محاولة أخيرة لاسترجاع احترامها لنفسها توقفت فجأة وقطعاً عن الكوكايين. عادت تمارس رياضة العدو وتعتني بنفسها. واقتضى جزء من مخططها عدم اقامة صداقات جديدة والتركيز على التحرر نهائياً من المخدرات. وتذكر: "أصبحت كأنني مدمنة الابتعاد عن الكوكايين، فبتّ وحيدة جداً."

بعد سبعة أشهر في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٤ اشتركت ماري في سباق عدو وفازت بالمرتبة السابعة بين ٢٠٠ عدّاءة. انتابتها نشوة عارمة من الثقة واحترام الذات. وفي نوبة غبطتها خرجت مع بعض الاصدقاء للاحتفال بالمناسبة. ومثل ثعبان سامّ متربص بين الاعشاب حاصرها الكوكايين بإحكام مروع.

هكذا صاحبت ماري مجموعة من المدمنين، وبينهم تجار خطيرون. وأصبحت تزودهم عقار الـ"ڤاليوم." كانت تزوّر الوصفات الطبية ثم تدفع ثمن الڤاليوم وتقايضه بالكوكايين. وفي فترة وجيزة بدأت تبيع الكوكايين.

انحدرت ماري ببطء الى مستويات مخزية لم تتصورها أبداً. عاشت في رعب دائم من الاعتقال. ونحو نهاية العام ١٩٨٤ استقالت من وظيفتها مرة أخرى. وفي هذا الوقت بات تأثير الكوكايين واهناً مهما بلغت كميته. فحاولت ماري حقنه في عروقها، كما حاولت تدخينه. وتناولت صنفاً مركّزاً وقوياً من الكوكايين.

أخيراً، حين لم يعد من منفذ الا الانتحار، التمست ماري العون. واليوم تبدو عيناها الزرقاوان حزينتين. لقد أتمت بنجاح برنامج علاج من المخدرات.

تقول ماري وهي الآن في الخامسة والثلاثين: "اني مسرورة لانتهاء الكابوس." وهي تتوقع الاشتراك في مجموعات لمكافحة الكوكايين بقية أيام حياتها: "كان من غير المجدي مقاومة المأساة بمفردي. ولطالما ظننت أنه يمكنني حلّ مشاكلي الخاصة، لكن ذلك كان صحيحاً قبل التورط في الكوكايين."

رقصة الموت

في العام ١٩٧٨ برز باتريك بيسيل راقصاً أول في "مسرح الباليه الامريكي" في نيويورك، وكان في الحادية والعشرين. نادراً ما بهر شاب مثله عالم الباليه المشحون بالمنافسات. وقد قال الراقص الاشهر ميخائيل باريشنيكوف في اطرائه: "انه أحد أسطع النجوم في عالم الباليه."

وساهم باتريك بيسيل أيضاً في دحض

الخرافة الامريكية القائلة بأن الباليه وقف على المخنثين. كان بقامته البالغة ١٨٨ سنتيمتراً شاباً خشناً ومفرطاً في الشراب، قادماً من تكساس، يهوى الدراجات النارية وأحذية الكاوبوي... والجنس. كان يتمتع بعضلات مفتولة، يقذف الراقصات في الهواء كفراشات رائعة.

في شهره السابع في ١٩٥٧ لم يكن بيسيل يمشي بل يركض كما تذكر والدته. وحين كان في العاشرة رجته شقيقته أن يرافقها الى صف الرقص إذ لم يكن لها رفيق. كانت مواهبه الطبيعية مذهلة في التناسق والقدرة على الاحتمال، ومنذ ذاك الحين أصبح الرقص حياته.

يُعرف عالم الباليه بقساوته في المتطلبات الجسدية والعاطفية. هدفه الاكبر الكمال المطلق. وخلافاً للرياضيين المحترفين، لا يعرف نجم الباليه الاكتفاء بتحقيق هدف نهائي أو التغلب على المنافسين. انه ينافس ذاته فقط، وقد تكون هذه المنافسة الأصعب لطالب الكمال.

كان باتريك أحد خمسة أولاد ولدوا خلال ست سنوات لباتريسيا ودونالد بيسيل. وكان هذان زوجين طموحين وقد غيّرا مسكنهما ست مرات قبل أن يبلغ باتريك الثانية عشرة.

باتريسيا بيسيل، التي عانت كبتاً وكآبة خلال تلك السنوات، مقتنعة بأن سبب تزعزع ثقة باتريك بنفسه عائد الى الضرب الجسدي والعاطفي الذي كان يتلقاه منها وهو طفل، فعكست كرهاً عميقاً لذاته.

ومهما يكن مدى صحة ذلك فقد بدت حياة باتريك بيسيل محفوفة بالعذاب منذ كان شاباً يافعاً. أشارت كل الدلائل، حتى في بداية عمله، الى ادمانه الكحول والكوكايين ومخدرات أخرى. لكن قوته ومهارته الفائقتين مكنتاه من تأدية أصعب المهمات من دون أن يدرك مديروه الحقيقة.

وفي سيرتها الذاتية "راقصة فوق قبري" أعلنت الراقصة غلسي كيركلاند أن بيسيل عرَّفها الى الكوكايين بعد نجاحه في نيويورك. وهي راقبت تفاقم جنون الارتياب لديه الى درجة أنه بات يحتفظ بفأس تحت سريره وسكين تحت وسادته أثناء النوم. وبات يقف ساعات عند باب بيته حاملا قنينة مسيِّل للدموع لردع المتطفلين الموهومين.

وفي يونيو (حزيران) ١٩٨١ بعد ثلاث سنوات من العمل أخفق بيسيل في محاولة انتحار. وفي هذا الوقت غدا هو وكيركلاند في حال تتعذر السيطرة عليها، يمضيان أسابيع في حفلات الكوكايين الصاخبة. وباتا يتغيبان باستمرار عن التمارين ويتأخران عن الحفلات. فطردا من العمل ثم أعيدا وطردا من جديد. أخيراً التمست غلسي كيركلاند المساعدة. لكن باتريك بيسيل لم يفعل.

وفي خريف ١٩٨٧ أرسلت مؤسسة الباليه بيسيل الى مركز "بيتي فورد" في كاليفورنيا. وهو أخبر أصحابه أنه على استعداد لتنظيف حياته وهو يبحث عن بداية جديدة.

غادر قبل أسبوع من الاوان ورجع الى نيويورك. وخلال ديسمبر (كانون الاول)

كانت ايمي روز، وهي راقصة باليه خطبها بيسيل، تجول في كاليفورنيا على أن تعود الى نيويورك بعد عطلة الاعياد. بقي بيسيل وحيداً، فاشترى شجرة للميلاد وزينها.

في ٢٣ ديسمبر (كانون الاول) اتصل بوالديه وتحدث اليهما طويلا. وتوسلت اليه والدته ليمضي العيد معهما في المنزل، فرفض متذرعاً بأنها فرصته ليثبت أنه أصبح قادراً على العيش من دون كوكايين.

بعد أربعة أيام من عيد الميلاد دخلت ايمي روز الشقة ووجدت جثة باتريك على الاريكة في غرفة الجلوس. فقد توفي باتريك بيسيل اثر جرعة مفرطة من الكوكايين وسواه من المخدرات. وكان بلغ الثلاثين.

يتهدج صوت باتريسيا بيسيل وهي تذكر ما نشرته صحيفة "نيويورك تايمس" عن وفاة ابنها. فقد جاء في عنوان الخبر: "تصبح على خير أيها الامير الجميل."

من المستحيل تقدير ما كان لينقذ باتريك حين بدأ رقصة الموت الطويلة. وتقدّم والدته تبصراً حكيماً اذ تقول:

"نحن نسرع في القاء اللوم على الآخرين وعلى الضغوط المعاكسة والاشغال المجهدة وتجار المخدرات، على كل شخص ما عدا أنفسنا. لكن معظم هذه المشاكل ينشأ في البيت أثناء تربية الاطفال. يصعب عليّ الاقرار بذلك، لكني أخفقت في تعزيز الثقة واحترام الذات لدى باتريك، وهما ما احتاج اليه لمواجهة الحياة. فمهما بلغت نسبة نجاحه كان يشعر دائماً بالخيبة. وقد لجأ الى المخدرات لأنها ساعدته على الهروب من هذا الشعور. حين نتوصل الى فهم وجه الادمان هذا وقبوله، قد نستطيع أن نفعل شيئاً حياله."

هنري هورت

درب الكلى

في معهدنا الطبي دأب الطلاب على استخدام قسم الكلى والمجاري البولية كطريق مختصرة الى جناح آخر في المبنى. لذلك نعمد في أثناء اجراء جراحة الى تعليق هذه العبارة على باب القسم: "يجرى الآن زرع للكلى. قد يتعين على عابري هذا القسم أن يتبرعوا بكليهم."

ج.م.

سائقون مجازون

في ولاية منيسوتا الامريكية شركة حافلات مدرسية تطلق على سائقيها صفة "اختصاصيين مجازين بنقل المراهقين."

ف.م.

هُواة ينبشون كنوز ألمانيا

أحفر حيثما شئت في ألمانيا تستخرج كنوزاً من العصر الحجري والروماني والجرماني و... القرون الوسطى

□ في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٥٤ كان هاينرش زونتاغ المزارع في قرية فرتسدورف، من منطقة الآيفل ينبش حفرة في أحد حقوله كي يخزن الشمندر للشتاء. وحين بلغ في حفره ٥٠ سنتيمتراً عمقاً اصطدمت مجرفته بشيء معدني. أثار الأمر استغرابه فأخذ ينبش التراب، فاكتشف كأساً ذهبية من مدينة مسيني البائدة في كريت ترقى الى نحو العام ١٤٠٠ قبل الميلاد.

□ في ربيع ١٩٦٨ في قرية غونرزدورف في منطقة الراين، عزم مالك بيت بطبقتين على بناء قبو وكان العمال باشروا الحفر مخترقين طبقة من حجر الخفّاف البركاني عندما عثروا على حجار غير عادية حفرت عليها رسوم حيوانات وبشر. أخيراً كشفت عمليات الحفر عن أطلال ثلاثة بيوت مغطاة بالجلود وخيمتين كان يقطنها صيادون رُحَّل قبل نحو ١٢ ألف عام.

Photo: Gerhard Bäuerle

▫ ڤلفغانغ يوهيه هاوي آثار كثير التردد على مواقع البناء في وسط مدينة مينتس. وحيث يحظر الحفر الشخصي يتعقب ولفغانغ شاحنات النفايات الى أماكن تفريغ حمولتها باحثاً ومنقباً في الحجار. وفي العام ١٩٧٢ وقع على كشف العمر: سيف ضابط روماني محفوظ تماماً مع غمده المزخرف، وقيمته نحو ٥٠ ألف مارك (٢٨ ألف دولار).

ألمانيا التي يقطنها البشر منذ عشرات آلاف السنين هي بمثابة صندوق كنوز يحوي آثاراً متقادمة في الزمن. يقول هاينتس غونتر هورن النائب السابق لمدير متحف راينلند الحكومي في بون: "في مقاطعة الراينلاند وحدها نرتاب في وجود قرابة ١٥٠ ألف موقع تحوي آثاراً. ولكن الى اليوم تم التعرف الى عشرة في المئة منها فقط."

ليست ثمة مدينة تضاهي كولونيا بآثارها الرومانية وتلك التي ترقى الى القرون الوسطى، وقد ترسخت المدينة كمستعمرة رومانية عام ٥٠ بعد الميلاد. وفي بقاع أخرى تسود آثار من العصر الحجري والبرونزي أو ذات أصل سلتي أو جرماني أو ذات صلة بالفايكنغ.

ويوضح يورغ بيل وهو رئيس علماء آثار ما قبل التاريخ والفترة المبكرة منه في وكالة بادن فرتمبرغ الحكومية لصون النصب التذكارية التاريخية في شتوتغارت: "ان معالجتنا اليوم لعلم الآثار مغايرة لتلك التي سادت قبل عشرين عاماً. فنحن لا نهدف الى العثور على الاشياء العتيقة فحسب، بل الى اعادة تركيب البنية الاجتماعية وطراز الحياة الصناعية والزراعية التي عرفتها حضارة غابرة." وبغية تحقيق ذلك يعمل علماء الآثار بالتعاون مع علماء من فروع أخرى كعلم الانسان وعلم النبات. وكم من هاو قدّم بصائر مهمة لفهم ثقافات طواها النسيان.

مقبرة مراكب - في ربيع ١٩٧٠ فيما كان هوبيرت اينبرغر يعد مصعد التزلج في منتجعه الشتائي في قرية بيدنغ في جبال الالب البافارية، عثر عرضاً على حفر حَوَت ٦٠٠ طوق عنق نحاسية وأجزاء من ٣٠٠ طوق أخرى، وكلها ترقى الى العصر البرونزي الأول. وقد أبان الكشف أن معرفة سكان جنوب ألمانيا بعلم المعادن في العام ١٨٠٠ قبل الميلاد كانت بالغة التطور، إذ استُعمل الزنك لتقسية النحاس.

وفي احدى مزارع الحبوب قرب شتوتغارت اكتشفت ربة البيت ريناته ليبفريد قبر الامير هوخدورف، وهو أحد أروع الاكتشافات في أوروبا هذا القرن.

بدأ الحفر عام ١٩٧٨، وأخرج من باطن الأرض قبر كامل لم يمس مع أغراض مدفونة ذات جمال خلّاب تذكر بعظمة ما وجد في قبر الفرعون توت عنخ آمون. ولكن أهم من المظهر البراق للكنز المعروض في متحف بادن فرتمبرغ الحكومي في شتوتغارت، هو ما يزودنا من معرفة حول الثقافة السلتية. وللمثال فان احدى التحف التي وجدت في القبر صاغها صنّاع اغريق في جنوب ايطاليا، مما يدل على أن السلتيين في ألمانيا كانت لهم علاقات تجارية وطرق تجارة عبر الألب.

أغسطس

Prähistorische Staatssammlung München (M. Eberlein)

ونحن مدينون لهاو آخر بمعرفة أن السفن الرومانية المبحرة في الانهار كانت مختلفة جداً عن الرسوم التي نجدها منقوشة في الصخر أو الفسيفساء. كان ذلك الهاوي يمشي ذات ليلة من شهر نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨١ في محاذاة موقع للبناء في ماينتس. فعثر على قطعة خشب بدت كأنها جزء من سفينة. فاتصل بغيرد روبرخت رئيس علماء الآثار في الوكالة الحكومية لصون النصب التذكارية في راينلند - بالاتينات. فأوعز هذا بوقف أعمال البناء وشرع في حفر تبين أنه الاكثر كلفة في المانيا.

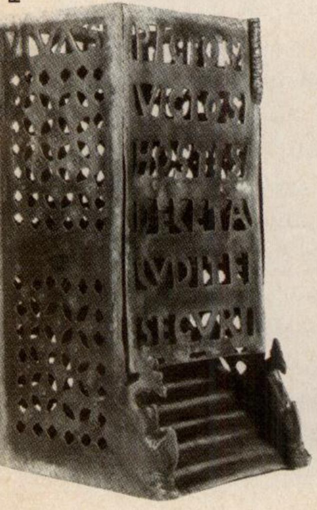

(الى اليسار) هذا التمثال البرونزي الصغير الذي يعرض الآن في متحف فيسننبورغ الروماني، استخرجه بستاني هاو.

(أسفل اليسار) آلة الميسر الرومانية "توريكولا" لا نظير لها في العالم.

(تحت) قبر لوسيوس بوبليسيوس ذو الطبقات الثلاث أعيد بناؤه طبقاً للأصل.

Römish-Germanisches Museum Cologne

Rheinisches Landesmuseum Bonn

بعد ثلاثة أشهر اكتُشفت ١١ سفينة، أضخمها تجاوزت ١٦ متراً طولا و٢،٥ متر عرضاً. وتبين أن السفينة منها مصنوعة في القرن الرابع. وفي ظن العلماء أن موقع الاكتشاف ربما كان مقبرة للمراكب.

وباء التنقيب - انهمك شابان، في العشرين والثانية والعشرين من العمر، في العمل كعالمي آثار محترفين. فاكتشفا قبر لوسيوس بوبليسيوس أحد المحاربين في الفيلق الروماني الخامس الشهير. ويذكر يوزف غنز: "قررنا العمل على نحو علمي." ولذا قدم وشقيقه هاينتس وبعض الأصدقاء سجلا بالغ التفصيل عن الحفريات، واصفين كل تمثال وجدوه برسوم ذات مقاييس نسبية وصور تغطي كل مراحل الحفريات.

بدأت الحكاية عام ١٩٦٥ حين همّ الاخوان بالعمل على توسيع منزل والديهما في ساحة شلودڤيش بمدينة كولونيا. وقد اصطدما على عمق ثلاثة أمتار تحت أرض القبو بعائق صخري كبير. يقول يوزف: "حسبته جزءاً من ناووس روماني، فأنا أعرف أن بيتنا قائم على "درب أبيان" حيث كان الرومان يدفنون موتاهم." وبعد ازاحة التراب تمكن الاخوان من قلب الصخرة. وقد شهقا لما رأيا: تمثال "بات" حارس القطعان والرعاة.

في اليوم التالي أعلما المتحف الروماني - الجرماني بالامر. وبعد معاينة الخبراء للأثر المكتشف أصدرت سلطات المدينة مرسوماً بحماية الموقع، وحظر على الشابين متابعة الحفر. وفي أي حال كان الأخوان يفتقران الى المال والرجال لتنقيب كامل. واذ لم يحدث شيء لبعض الوقت عزما على العمل سراً.

وظّف الهاويان اليافعان ٤٣ ألف مارك ونحو ١٣ ألف ساعة من العمل الشاق، لكن المردود جاء مجزياً على نحو باهر، اذ سحبا أكثر من ٦٠ حجراً محفوراً ومنقوشاً بعناية وتفصيل، وأربعة تماثيل كاملة. وفي العام ١٩٦٧ أذاعا النبأ. وبعد ثلاث سنوات باعا الكنوز من المتحف الروماني - الجرماني بمبلغ ٥٠٠ ألف مارك (٢٨٥ ألف دولار). وقد أعفيا من مخالفتهما الحظر نظراً الى عظم انجازهما.

التنقيب غير المشروع هو ما يدفع علماء الآثار المحترفين الى نعت التيار السائد للهواة بـ"الوباء." وبحسب قول هانز غيرد هلنكمبر مدير المتحف الروماني - الجرماني: "قلائل من الهواة ينقبون في سبيل متعة الاكتشاف أو يحدوهم اهتمام بالتاريخ والفن. فالجيل الجديد من صيادي الكنوز لا هم له سوى القيمة التجارية للآثار."

وكثيراً ما يتوافد لصوص القبور مجموعات في الليل وفي عطل نهاية الاسبوع مزودين رفوشاً ومذاري. يتوجهون الى مواقع الحفر غير المحروسة ويفتشون عن كنوز يبيعونها من حوانيت الفن والقطع القديمة. ويشتبه في أن بعضهم يعمل لحساب تجار الآثار. يقول بيل: "المسألة أخطر من فقدان قطعة أثرية عتيقة، اذ يُقضى على معلومات قيمة حين يسلب المنقبون غير الشرعيين المواقع."

توريكولا! - في سبيل حماية الحفريات ينظم علماء الآثار الحكوميون دوريات جوّالة في الليل وفي نهاية الأسبوع، ويعمدون أحياناً الى تركيب أجهزة مراقبة الكترونية. ولسوء الحظ قلّما يقبض على السُلّاب. ونادراً ما يمثلون للمحاكمة أو يحكم عليهم. يقول كورت ڤنكلمن النقيب في شرطة كولونيا: "اذا ما صدر حكم بالتجريم فيتوجب على اللص دفع غرامة من ألفي مارك. غير أنه قد يقبض ٥٠ ألف مارك في مقابل الآثار التي يعثر عليها."

والمشكلة الاعسر تكمن في صيادي الكنوز الذين يستعملون معدات كشف الكترونية. وفي بعض مناطق ألمانيا الغربية يطوف أعضاء نوادي التنقيب في الارياف أيام عطل نهاية الاسبوع مزودين أجهزة تطلق أصواتاً مميزة كلما حددت موضع أحد المعادن. ثم يغدو الحفر أهوج. وفي هذا يقول الاستاذ يواخيم رايخشتاين رئيس وكالة شلزڤيغ - هولشتاين الحكومية لأبحاث فترة ما قبل التاريخ وبواكيره: "بعد مسح كهذا في نهاية الأسبوع تبدو البقعة كأنما جحافل الخلد قد غزتها. وبالطبع فان أي أثر قيِّم يقضى عليه."

ويتطلب استعمال الآلات الكاشفة إذناً في معظم ولايات ألمانيا الغربية. وقوانين كشف الآثار متباينة، ولكن ينبغي تسجيل أي اكتشاف فوراً في المكتب المحلي التابع لوكالة صون الآثار التاريخية التذكارية. وجميع الولايات الالمانية، الا واحدة، تخوّل من يعثر على أثر الحصول على نصف قيمته، ويكون النصف الآخر من حق صاحب العقار حيث وجد الأثر. وتحدد الاسعار في السوق العالمية للفن القيمة التجارية لكل قطعة أثرية.

والمكافأة في الغالب مثار خلاف. فإذا ما شعر مكتشف الأثر بأن المبلغ المدفوع غير كاف، فانه لا يبلِّغ عن جميع الكنوز. وثمة مكافأة بقيمة ١،٨ مليون مارك (نحو مليون دولار) دفعت لبستاني في ڤيسننبورغ في بافاريا استخرج من فناء داره عام ١٩٧٩ أحد أكبر الكنوز الرومانية المحفوظة، وبينها تماثيل برونزية صغيرة ولوحات فضية وكراس تطوى، مما دفع البافاريين الى الاحتجاج بأن القطع جزء من التراث العام وليست ملكية خاصة.

نقش باللاتينية على آلة ميسر (قمار) رومانية: "إلعبْ بلا همّ، وتمتع بنصيبك من الدنيا." وقد استخرج الآلة مزارع في قرية فتڤايس - فرويتسهايم على الراين عام ١٩٨٣. أما الآلة البرونزية التي لا نظير لها فتعرض اليوم في متحف راينلند في بون. ويبلغ ارتفاعها ٢٣ سنتيمتراً وعرضها ١٠ سنتيمترات، وتدعى "توريكولا." وطريقة استعمالها بسيطة: يسقط اللاعب النرد من أعلاها، فيتدحرج عبر حواجز من البرونز منحدراً الى درجات يبلغ بعدها رقعة اللعب.

ما كنا لنشهد هذه الذرة الاثرية لو لم تقدنا اليها عين يقظى لعالم آثار هاو.

جون دورنبرغ

الامتثالي هو عبد بارادته.
ر.ج.

تأملات معاصرة

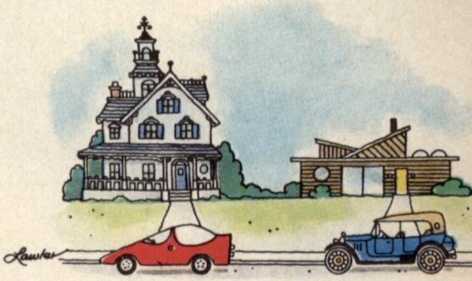

الاعراس

تحمل حفلات الزواج الى أهل العروسين معاني وايحاءات قد لا يدركها هذان. لماذا؟ ليس فقط لان الوالدين شاهدوا أعراساً أكثر وألفوا هذا النوع من الاحتفالات، بل أيضاً لانهم يعون ما يحمله الحدث من حقائق وما يشير اليه من سلطان. وفي أفراحهم وأتراحهم ظلت ذكرى زواجهم ماثلة أمامهم. فهم يعرفون اذاً ما الزواج، بكل مغازيه السامية والمثيرة.

و. ب. ه.

ليلة في الطبيعة

دعيت مرة في ليلة رأس السنة الى حفلة في مزرعة فوق تلة تشرف على قرية صغيرة. عند منتصف الليل توقف تساقط الثلوج وسطح البدر فوق البساط الابيض فيما سجل ميزان الحرارة في الخارج ١٨ درجة مئوية تحت الصفر. وخرج جميع من في الحفلة ليتأملوا الثلج الناصع. وساد في الجوار صمت مطبق خُيّل معه الى الحاضرين أن العالم فارغ وطاهر وجديد. فلا نأمة تسمع في المكان، لا هدير سيارة ولا حتى عواء كلب. ولم يكشف ضوء القمر ما يلوث نقاء الطبيعة. غير أن هناك أناساً يعيشون في القرية، ولا بد من أن يكونوا رموا زجاجات فارغة وغسالات وبرادات عتيقة قريباً من هنا، لكن الثلج غطّاها حتى لكأنها لم تكن.

إنْ يخرج المرء الى العراء في ليلة كهذه يكتشف تلك الروعة التي يقول الناس المعاصرون انهم فقدوا القدرة على اختبارها لكنهم في الواقع كفوا عن تلمسها في الامكنة المناسبة.

ن. ب.

النفس الاخير

حين أكون في المستشفى مع مريض يحتضر يغلب علي وزملائي المزاح. أما العاملون الآخرون في الرواق فيعتقدون أننا نتجاهل الحقيقة. ولكن يجب أن ندرك ان الناس ليسوا "عائشين" أو "مائتين"، انهم اما أحياء واما أموات. فما داموا قيد الحياة فعلينا أن نعاملهم كأحياء. ولهذا السبب أجد كلمة "مميت" مضيمة الى حد كبير. انها تعني أننا بدأنا اعتبار ذلك الشخص كأنه مات فعلا ولم يعد قادراً على الضحك او الفرح.

الدكتورة برني سيغل

ديفيد كوك.

«شـــادو» لعبــة طــائـرة

صُمّمت الطائرة الصغيرة في غرفة الجلوس وبنيت في قبو المنزل وحلقت الى ذروة النجاح

كان المهندس البريطاني ديفيد كوك في الحادية والأربعين من عمره عندما فصل من عمله، فعزم على إعادة بناء حياته. جثا في غرفة الجلوس وفرش صحائف ورق على السجاد وبدأ يرسم طائرة. في ذهنه تلمع رؤيا: آلة في منتهى الخفة، سلسة القيادة، ممتعة في أثناء الطيران ورخيصة بحيث تصلح لجميع خدمات الطيران في بلدان العالم الثالث.

خلال أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨١ انهمك كوك كلياً في عمله فيما زوجته كاترين وولداه جاكوب (٩ سنوات آنذاك) وكلوي (٧ سنوات) يروحون ويجيئون بهدوء حوله. أخيراً نهض عن الارض وقد تشنجت رجلاه وأنجز رسم نموذج أولي لـ "شادو"(١). لا زيادة غير ضرورية في الوزن، وفي تركيبها الداخلي عامل أمان تحقق بالتواء بارع في الجناح.

صنعت الطائرة المبتكرة الصغيرة في

(١) Shadow أي الظل.

Photos: Julian Nieman

ثلاثة حوانيت في مقاطعة سافوك شرق بريطانيا، وجرى اختبارها في مطار بارهام المحلي حيث اجتذبت جمعاً كبيراً من المعجبين، بينهم الطيارة إيف جاكسون التي قطعت العام الماضي ١٩ ألف كيلومتر الى أوستراليا على متن "شادو" اطلقت عليها اسم "غيرتي." وقد تغنت شعرياً في وصف الحرية التي تمتعت بها وهي تقود طائرة "أعظم من الثروة."

مصنع منزلي – لدى تصميمه طائرة "شادو" اجتمع لديفيد كوك، الى حذقه كمهندس في مصانع ريتشارد غاريت في ليستون قبل أن تقفل في العام ١٩٨٠ وترمي به وبستمئة آخرين في الشارع، خبرة واسعة في حقل الطائرات الخفيفة.

ظل كوك لسنوات طويلة منهمكاً في اختبار الطائرات المنزلقة(٢). وقد رمى

(٢) الطائرة المنزلقة (glider) جسم مجنَّح يتعلق به الهاوي ويرتمي من مكان عالٍ فيحلق لفترة ثم يهبط.

بنفسه مرة عن الاجراف القليلة الارتفاع في توربنيس في سافوك ممتطياً الرياح التي تهب من بحر الشمال. وجهز طائرة منزلقة بمحرك وأخذ يركض لاهثاً عدة كيلومترات من دون أن يتمكن من الاقلاع، الى أن حصل على القوة الدافعة الضرورية للتحليق بوساطة جهاز للدفع صممه وصنعه بيديه. وفي العام ١٩٧٨ نال ميدالية "نادي الطيران الملكي" البرونزية لمآثر الملاحة الجوية لقطعه بحر المانش جواً بأقل مقدار ممكن من الطاقة، وذلك على متن منزلقة أمريكية من طراز "فولمير جنسن" مجهزة بمحرك قوته تسعة أحصنة.

ان منزل كوك في ألدرينغهام بسافوك غير عادي، يتألف من حافلة قطار قديمة مرفوعة على قوائم طويلة، وبين القوائم فسحة أرضية تشكل القبو حيث عمل كوك بمساعدة ستيف إمرسون، الذي كان رسامه في معامل غاريت، على بناء نموذجي "شادو" الاول والثاني. وعندما وصف احد المهندسين كوك بـ "العبقري" لجعله القياس بين روابط الاجنحة في حدود ٤،٥ مليمتر دون حد الكمال المطلوب لمقاومة الضغط، اعتذر هذا عن عدم قبول الاطراء معترفاً: "كان يقتضي أن يكون العرض بهذا القياس لكي يتيسّر اخراج الطائرة من باب القبو."

كان يسكن في المحلة رجلا أعمال متقاعدان هما دنيس بريت وجورج أيرلند، فوثقا بكوك ومداه بالمال لانشاء شركة تعنى بتطوير الطائرة. وعملت زوجته كاترين مدرِّسة وتعلمت تسجيل تكاليف "شادو" وحافظت على هدوئها حين كانت غرفة الجلوس ترتج بفعل أصوات المحركات التي تخضع للتجارب في الطبقة الارضية. وتتذكر: "كانوا يستخدمون ميزان المطبخ لوزن أجزاء الطائرة وسكين الخبز لقطع الاسفنج. وقبل أن أباشر كيّ الملابس كان علي أن أحف طلاء الطائرة عن المكواة."

اختبارات - ذات يوم مشرق من العام ١٩٨٢ صعد كوك الى النموذج "٠٠١" الاولي، واقلع على مدرج مهجور في قاعدة مهجورة لسلاح الجو الامريكي. وكان يطير بحذر وعلى مهل ولا يرتفع عن المدرج أكثر من ٣٠ سنتيمتراً.

حملت هذه التجربة، وتلك الاكثر طموحاً التي تلتها، أنباء سارة وأخرى سيئة: لقد كان التصميم صحيحاً، لكنّ الاسراف في استخدام مواد بلاستيكية خفيفة جعل الطائرة قابلة للانثناء جداً.

لذلك برزت "شادو ٠٠٢" المصنوعة من الخشب المضغوط ومزيج الالمنيوم الاكثر متانة من المواد البلاستيكية. وقد شهدت كاترين في هذه المرحلة بصبر وطول أناة اعادة استخدام أدواتها المطبخية في صنع الطائرة الجديدة.

في مارس (آذار) ١٩٨٣ أصبح كوك جاهزاً ليجري اختباراً لطائرته الجديدة. وحالما حلق بالنموذج "٠٠٢" أدرك أنه توصل الى تحقيق هدفه وحصل على ضالته المنشودة. لقد كان بين يديه ما يعتبر الى حد بعيد أفضل طائرة من النوع الخفيف جداً (دون ١٥٠ كيلوغراماً) وهي تضاهي من جميع النواحي، ما عدا الوزن، كثيراً من الطائرات الخفيفة التامة

التجهيز، وتؤمِّن، مثل طائرة منزلقة، بهجة للنفس في التحليق. ومنذ ذلك الوقت قام بأكثر من ٨٠٠ رحلة في "شادو ٠٠٢" التي أصبحت طائرته الخاصة، وارتفع بها مرة الى علو ٣٣٥٠ متراً وهو أعلى رقم تجرأ على بلوغه بلا أوكسيجين، وقال: "لقد شعرت بفخر."

وقد حظي بلحظة أكثر افتخاراً حين تولى طيار اختباري مستقل يدعى بيتر ديفيس اختبار الطائرة وأطلق لها العنان. وأظهر تسجيل فيديو للاختبار استقرار الطائرة الرائع وهي تظهر واقفة على ذيلها مثل حيوان كنغر وتكاد تكون بلا حراك، فلا تنهار ولا تسقط مدوِّمة - وهاتان ضرورتان ملحّتان في حقل الطيران.

رحلة لعبتين - ذهبت مع كوك ذات صباح الى مدرج بارهام المتشقق حيث أخرجنا "شادو ٠٤٠" المعدّة للعرض، من العربة المقطورة وجمعناها بعضها الى بعض. واستغرقت هذه المهمة التي قمنا بها نحن الاثنين، عشر دقائق فقط: كل ما فعلناه هو تثبيت كل جانب بأربعة مسامير مصوملة لربط الاجنحة والقوائم، وشبك المسامير بأربعة دبابيس أمان.

بدا هيكل الطائرة نحيلاً منسجماً كسيارة سباق. فقد وقفت ثابتة على عجلتين للهبوط وعجلة في المقدم، وجناحها الاعلى منسجم مع سطح ركن الطيار الخلفي، وقد ركّب المحرك "روتاكس" الثنائي الدورة وقوته ٤٠ حصاناً الى الوراء لادارة المروحة الدافعة. وامتد أنبوب من الالمنيوم الى الوراء كرافعة لامساك سطح الذيل الافقي والدفة.

جلس كوك في الركن الامامي وجلست أنا في المقعد الخلفي. كان الاقلاع مجرد اندفاع قصير متسارع حلقت بعده الطائرة بهدوء تام كدنا لا نشعر به. وفي وجود القائد وحده تستطيع "شادو" الاقلاع عن مدرج طوله حوالى ٢٠ متراً. واذا أوقف المحرك على ارتفاع ١٥٠٠ متر تتحول الطائرة آنذاك منزلقة تسبح محمولة على الهواء مسافة ٢١ كيلومتراً قبل الهبوط الى الارض.

وعرض كوك ميزة أخرى من ميزات "شادو" هي قدرتها الاستثنائية على المناورة، وقال: "لنفترض أنك ترغب في مراقبة احدى البنايات"، وأمال الطائرة بقوة حتى أصبح الجناح الايمن موجهاً الى برج المراقبة في المطار. وفيما كنا ندور حوله كان الجناح الموجه يكاد يلامس جدران البناء - مروراً بالباب الامامي... الى الباب الخلفي... ثم الباب الامامي... قال كوك: "في وسعنا مواصلة هذه المناورة ساعة كاملة."

لدى هبوطنا تكلمت مع روي سيرز وبريان هيل، وهما زبونان قدما من ستافوردشاير بطائرة "شادو" اشتراها سيرز في سبتمبر (أيلول) ١٩٨٦، لطلاء خدوش فيها. قال سيرز، وهو مدير شركة تلفزيونات: "طرت وبريان في عطلة خلال السنة الماضية الى كورنول. فذهبت زوجتانا في السيارة وطرنا نحن في لعبتينا."

عجوز هارب - لا يمكن صنع أي طائرة

وعرضها للبيع في بريطانيا ما لم تحظ بموافقة سلطات الطيران المدني. وقد اقتضى الحصول على موافقة هذه السلطات أشهراً مضنية من الاحباط مما دفع كوك الى القول: "كدت أتداعى منهاراً تحت وطأة الضغط."

ولكي يفي كوك بشروط سلطات الطيران بشأن قوة "شادو" كان عليه أن يرفعها ثم يتركها تسقط الى الارض. وفي اختبار آخر كان على كوك وامرسون أن يأخذا الطائرة الى مخزن مزارع ويكدسا أكياس ذرة على الجناحين تعادل ثقل ثلاث سيارات "أوستن ميني"، على حد قول إمرسون. أما أسوأ ما في الامر فكان المعاملات الكتابية. قال كوك ساخطاً: "لن نحصل على الموافقة الا متى زاد وزن أوراق المعاملات على وزن الطائرة." في هذه الاثناء بدأت المبيعات الى الخارج فيما ظل بيع "شادو" متعذراً في بريطانيا.

عند هذا الحد تقدم الكولونيل المتقاعد مايك بلومان عارضاً مساعدته. وكان شاهد "شادو" في أحد معارض الطيران وأدرك امكاناتها. فقال له كوك: "قد قبلت مشكوراً."

أراح بلومان كوك من الشؤون الادارية مستعيناً بخبرته في الجيش للتعامل مع سلطات الطيران المدني. ويتذكر إمرسون: "أخيراً، في أثناء تناول القهوة ذات صباح، دخل ديفيد وأعلن مرحا أننا حصلنا على الموافقة."

واليوم تستخدم شركة "فاكس المحدودة للمعادن" في مصانعها لـ"آلات كوك الطائرة"، ١٥ عاملاً يرئسهم ستيف إمرسون (٣١ سنة) كمنسق للانتاج. ومن ستة أوفدهم "برنامج تدريب الشبيبة" أصبح الآن ثلاثة كاملي التمرين. وكلما اكتمل صنع طائرة "شادو" جديدة وتم اختبارها في الطيران، يحلق واحد منهم فيها. يقول امرسون: "ان هذا يساعد على ضمان البراعة الكاملة في العمل."

يروّج كوك لبيع "شادو" بالتحليق في طائرة "٠٠٢" في العروض التنافسية في بريطانيا والخارج. وعام ١٩٨٦ فاز بمعية صديقه الربّان ديفيد سوتويل في المسابقة الدولية "من الفجر الى الغسق" التي نظمها نادي "تايغر" من ريدهيل. فقد تفوقا على طائرات ذات محركين وعلى مروحيات، وطارا ٩٢٧ كيلومتراً في يوم طويل من يونيو (حزيران)، وزارا ٦٧ قاعدة عسكرية امريكية بنيت خلال الحرب العالمية الثانية.

لكنّ أعظم اللحظات فخراً في حياة كوك كانت في أغسطس (آب) ١٩٨٧ عندما طلبت منه الشرطة المحلية مساعدتها على العثور على عجوز في الخامسة والثمانين مضى يومان على اختفائه. وبعد تحليق ٢٠ دقيقة شاهد كوك الرجل راقداً بين نبات الوزّال بحيث لا يراه رجال الشرطة الباحثون في الجوار. فحوَّم فوقه ودلّهم على مكانه.

مبيدة الجراد - يبلغ انتاج طائرات "شادو" أربعاً في الشهر حالياً. وقد بيع منها أكثر من ٨٠ طائرة، نصفها جاهز، بمبلغ يراوح بين ١٢٩٠٠ و١٣٥٥٠ جنيهاً استرلينياً، والنصف الآخر كأجزاء معبأة في صناديق.

في الطيران السوي تبلغ سرعة "شادو" ١٥٠ كيلومتراً في الساعة. ويبلغ ثمن الوقود الذي تستهلكه في التطواف بسرعة ١٠٥ كيلومترات في الساعة أقل من خمسة جنيهات استرلينية في الساعة. والمالكون الذين يؤمِّنون خدمة الطائرات بأنفسهم قد لا تتعدى كلفة نفقاتهم العامة عشرة جنيهات استرلينية في الساعة.

ومع أن قوانين سلطات الطيران المدني تسمح لـ"شادو" بالطيران في رحلات ترفيهية، فقد تعمل أيضاً كآلة اقتصادية. يقول معلم الطيران في يوركشاير بريان غودِّن الذي يتقاضى ٣٩ جنيهاً استرلينياً لتعليم ساعة واحدة في طائرة "شادو" مزدوجة القيادة يقابلها ٦٠ جنيهاً في الساعة للتعليم في طائرة خفيفة عادية: "انها متميزة بصفتها طائرة تدريب، آمنة ويسهل التكهُّن بردود فعلها." وتستخدم شركة "تارغت تكنولوجي" في كنت التي تصنع لوزارة الدفاع أهدافاً طائرة تُضبط من بعد، طائرة "شادو" لاختبار التجهيزات الالكترونية.

وفي خارج بريطانيا، حيث أنظمة الطيران أقل تشدداً، أثبتت "شادو" أنها مثالية في مراقبة خطوط الانابيب والبحث عن الناس الذين تدهمهم المصاعب والكشف عن الحرائق في الغابات. وبابدال العجلات بعوامات أقلع نروجي باحدى هذه الطائرات من بحيرة. وفي اليمن تستخدم "شادو" حاليا لرسم سجل فوتوغرافي للمحاصيل لحساب منظمة هولندية. وفي يوليو (تموز) ١٩٨٧ قبل الامير فيليب زوج الملكة اليزابيث، بصفته رئيس "الصندوق العالمي لتمويل الحياة البرية"، طائرة "شادو" طار بها المسؤولون الى زيمبابواي حيث تستخدم في مكافحة سرقة وحيد القرن الأسود من المحمية.

اذا زودت الطائرة خزان وقود اضافياً يغدو في وسعها أن تقطع مسافة ٨٠٠ كيلومتر بسرعة ١١٠ كيلومترات في الساعة. كذلك يمكن وضع وحدة متطورة خاصة برش المبيدات فوق ركن الطيار الخلفي. ويقول كوك: "اذا غزت أسراب الجراد السودان ففي إمكان ٢٠ طائرة "شادو" محمَّلة مبيدات أن تقضي عليها بفاعلية أكثر وبتكاليف أقل من طائرة عادية واحدة مخصصة للرش. وهذا ما فكرت فيه منذ البداية."

جون أنيس

حديث جارتين

سأل أبي أمي: مع من كنت تتحدثين على الباب ما يقارب الساعة؟"
فردت: "مع جارتنا أم حسان."
قال أبي: "يبدو أنها كانت مشغولة فلم يتسنَّ لها وقت للدخول."

كنوز

Picherie / Paris Match

البارون

اقتنى هذ الخبير احدى أهم المجموعات الفنية في العالم، وذلك لغاية سامية أن يشارك الناس في متعتها

جلس "البارون" في سيارته الليموزين الفخمة يقلب صفحات بيان لمزاد علني. وجذبت انتباهه فجأة صورة "تشكيل بالرمادي والأزرق" لموندريان. وهذا في عرف الخبير النهم حب من أول نظرة. فكان لزاماً عليه اقتناء اللوحة. لكنها كانت تباع في لندن تلك الليلة، والبارون مدعو الى العشاء في بيت السفير الامريكي بباريس. لا مشكلة، فقد وصلت الخطوط الهاتفية بين بيت السفير وقاعة المزاد. وانقطع التيار الكهربائي على نحو مفاجىء اثناء المزاد، غير أن البارون استمر في المزايدة. وحين جلس لتناول العشاء كانت ثروته زادت لوحة لموندريان.

البارون هو هانس هاينريك تايسن - بورنيميزا، رجل طويل القامة ناحل أشيب في السابعة والستين من عمره. شكله جذّاب وهو مفعم بحب الحياة والفكاهة والفطنة، ثري على نحو لا يصدق بأهوائه ومقتنياته وبدخل شخصي يبلغ بضعة ملايين من الدولارات سنوياً.

ولكن بين كل مقتنيات البارون، القطعة الأنفس هي عينه البصيرة التي ساعدته على اقتناء احدى أهم المجموعات الفنية الخاصة في العالم والتي تصنف في المرتبة الثانية بعد مجموعة ملكة بريطانيا. وتضم مجموعته ١٤٠٠ لوحة تمتد من فترة ما قبل عصر النهضة في اوروبا الى الحاضر، وفيها روائع لرسامين مثل مونيه وموندريان وبيكون وسيزان وبيكاسو ورمبرانت وكارافاغيو.

وفي المجموعة أيضاً تماثيل برونز من عصر النهضة وجواهر وأثاث ومجموعات روسية من ثياب الباليه ورسوم وعلب ذهبية ترقى الى القرن الثامن عشر، تضاف اليها احدى أروع المجموعات الاوروبية من السجاد الشرقي. ويقول ج. كارتر براون مدير "المعرض الوطني للفنون" في واشنطن: "المجموعة مذهلة. ان تايسن يجلس على منجم للملك سليمان الحكيم."

معظم قطع مجموعة البارون البديعة تزدحم في الحجرات الفخمة في قصره "دايلزفورد" الذي يعود الى القرن الثامن عشر والكائن في غلوسترشاير ببريطانيا، وفي منازله في لندن واسبانيا وجامايكا. لكن المقر غير المنازَع لمجموعة تايسن هو "لا فافوريتا"، وهو دارة فخمة ترقى الى القرن السابع عشر وتقع على ضفة بحيرة لوغانو في سويسرا.

وقد الحق بالدارة معرض مؤلف من ٢٠ غرفة علق فيها بين ٣٠٠ و٣٥٠ تحفة، وهي مفتوحة للجمهور الراغب في زيارتها. اذ ان تايسن الذي أمضى حياته وهو يكنز مجموعة خاصة بالغة الروعة، يصر على أن تكون مجموعته في متناول الجميع.

مبادلة مع السوفييت - خلال أكثر من ٢٥ عاماً كانت معظم لوحات تايسن معارة الى المعارض الموقتة في المتاحف الكبرى حول العالم. وقد أقام "متحف الفن الحديث" في باريس عرضين منفصلين للروائع الحديثة التي يملكها تايسن. وفي العام ١٩٨٣ عرضت ١١٣ لوحة من تحفه الامريكية في متحف الفاتيكان. وفي ربيع ١٩٨٨ عرض ما يربو على خمسين تحفة من روائعه القديمة في "المعهد الملكي للفنون" في لندن. وعرضت مختارات أخرى في ألمانيا الغربية وايطاليا واسبانيا والمجر (هنغاريا) والولايات المتحدة وأوستراليا ونيوزيلندة واليابان.

وخلال السنوات الخمس الماضية نظم تايسن ثلاث مبادلات فنية مع الاتحاد السوفييتي، وبذلك يكون أول شخص أو بلد أو متحف يقوم بهذا العمل. وفي يونيو (حزيران) ١٩٨٣ أرسل السوفييت ٤٠ لوحة من المرحلة الانطباعية وما بعد الانطباعية من متحفي "إرميتاج" و"بوشكين" الى "لا فافوريتا" في مقابل

Thyssen-Bornemisza Foundation, Lugano, Switzerland

"لا فافوريتا" دار تايسن من القرن السابع عشر، وهي حالياً مقر مجموعته.

٤٠ تحفة قديمة من مجموعة تايسن.

وكادت المبادلة ألا تتم. فقبل الموعد المقرر لافتتاح المعرض في "لا فافوريتا" أعلن السوفييت أن ليست ثمة طائرات تنقل لوحاتهم الى سويسرا. فبعث البارون برسالة تلكس فورية: "نأسف لان الأمور لا تجري كما خطط لها. واني لن أرسل أياً من لوحاتي أيضاً." وفي غضون ٢٤ ساعة كانت الطائرات السوفييتية تنقل اللوحات، وافتتح المعرض في لوغانو في الموعد المضروب لجمهور غفير ملأ الصالات. وقوبل افتتاح معرض لوحات تايسن بحفاوة مشابهة في موسكو ومن ثم في لينينغراد وكييف.

يقول تايسن: "في الاتحاد السوفييتي أمَّ المعرض مليون شخص دفع كل منهم ثلاثة روبلات، أي ما ما يعادل ايجار منزل لمدة أسبوعين، ليشاهدوا لوحاتي في المبادلة الثالثة خريف ١٩٨٧، وفيهم تعطش مزمن لا يشفى غليله لرؤية الأشياء الواردة من الغرب. واني في موضع يمكنني أن أخدم في هذا المجال، ولذا فاني مستمر."

بصيرة نافذة – ولد هانس هاينريك تايسن – بورنيميزا (ويدعوه أصدقاؤه هايني) في لاهاي بهولندا عام ١٩٢١. أمه مارغت ابنة بارون مجري يدعى بورنيميزا منح صهره وسلالته حقاً في لقب التشريف الذي يحمله. وأبوه هاينريك ابن أحد أقطاب صناعة الفولاذ، جمع ثروته الخاصة من إرث مختلط من مناجم الفحم وشركات الهندسة. انتقل عام ١٩٣٢ الى سويسرا حيث اشترى دارة

"لا فافوريتا" وشاد من بعد صالة العرض ليؤوي فيها مجموعته المتنامية من اللوحات والروائع القديمة.

وكان هايني الصغير نادراً ما يرى أباه. انه أصغر أخوته الأربعة، وقد نشأ على يدي مربية ألمانية في هولندا. عام ١٩٣٩ قلق هاينريك من مطامح هتلر فاستقدم ابنه الى سويسرا. هناك درس هايني الحقوق والاقتصاد وتاريخ الفن في جامعة فريبور. وبعد سنوات أصبح مواطناً سويسرياً.

وكان هايني يتردد الى "لا فافوريتا." ويقول: "وسط القارة الأوروبية التي مزقتها الحرب كانت لا فافوريتا المكان السلمي الوحيد." وفي وداعة هذه الضيعة الفاتنة، تحوطه مجموعة أبيه الفنية، نشأت علاقة حب بينه وبين الفن.

ولدى وفاة أبيه عام ١٩٤٧ أُقحم فجأة ومن دون خبرة تجارية، في إدارة تكتل من الشركات الخربة والمثقلة بالديون. لقد دمرت الحرب امبراطورية هاينريك، وما لم تقضِ عليه الحرب صادرته قوات الحلفاء. شرع الشاب ذو الستة والعشرين ربيعاً في اعادة بناء مؤسسة العائلة، عاملا على استعادة ممتلكاتها في أوروبا وأمريكا. ويتذكر: "كانت محنة قاسية آنذاك، لكنها شائقة مسلية."

ومع أن والد هايني أوصى ببقاء المجموعة الفنية كاملة إلا أن أخاه وشقيقتيه عارضوا الوصية. أخيراً آلت اليه "لا فافوريتا" بالميراث. لكن اللوحات الخمسمئة توزعت على الاقارب. ويقول هايني: "تشتت نصف المجموعة عندما عزمت على عرضها أمام الجمهور. وكان علي أن أجمع لوحات جديدة لسد الثغرات." وغدت لملمة المجموعة مهمة تايسن الشخصية. وهو زعم أنه خلال ثلاث سنوات اشترى لوحات من الولايات المتحدة تزيد في عددها على ما اشترته متاحفها مجتمعة.

ويقول متذكراً: "آنذاك كانت معرفتي بالفن ضئيلة. ولكن كان لدي نوع من الحدس أو البصيرة. فما ان أشاهد لوحة تروقني حتى أخالها معلقة في الصالة لدي. كنت لا أعلم من رسمها، بل أشعر بتوق اليها فحسب."

قرارات حاسمة – توسع هايني في مجموعته مضيفاً اليها ببطء. وقد ابتاع قماشات رسم عليها غويا وفراغونار وغواردي وكاناليتو ومعلمون أخر قدماء. وثابر على توسيع أعماله التجارية

Tnyssen - Bornemiza Foundation, Lugano, Switzerland

صالة العرض في "لا فافوريتا" يؤمها الجمهور.

سواء بسواء. واليوم تنتشر المؤسسات التابعة لمجموعة تايسن - بورنيميزا في أرجاء المعمورة في ميادين أنظمة الاتصال والاعلام والطاقة والنقل والالكترونيات وصناعة المعادن والمضخات والأنابيب، وأنظمة الزراعة المبرمجة بالدماغ الالكتروني.

في منتصف الستينات بات تايسن على اقتناع بوجود فنانين حقيقيين في القرن العشرين، فشرع في تفهم الفن الحديث، بدءاً بالتعبيريين الالمان. ثم انجذب الى الرسامين الاكثر تجريداً أمثال كاندنسكي والرواد السوفييت، اضافة الى التكعيبية والسوريالية وسواهما من المذاهب المعاصرة في الفن. تقول سيمون دو بوري القيمة على مجموعة تايسن منذ سبع سنوات والمشرفة على مجموعة "سوثبي" في أوروبا اليوم: "انه يشتري يوماً تمثالاً من العاج يرقى الى القرون الوسطى، ويبتاع أحد أعمال جاكسون بولوك في اليوم التالي."

في زعم تايسن أنه يعقد العزم كل ليلة من ليالي رأس السنة على الامتناع عن الشراء، لكنه ينكث قراره في الأول من يناير (كانون الثاني). وفي قوله: "اللوحة كالمرأة الجميلة، ما ان يلمحها الانسان حتى يشعر بقلبه ينبض اشتياقاً ويود أن يمتلكها، فيطاردها، ولا يحول دون هدفه حائل."

عام ١٩٨٣، حسبما تروي دو بوري، أعاد تايسن تسع لوحات لغوغان استعارها من السوفييت وكانت معلقة في حجرة الجلوس في "لا فافوريتا." كان الامر محزناً. ومن حسن الحظ أن إحدى لوحات غوغان عرضت في مزاد في نيويورك في ١٥ مايو (أيار) من السنة التالية. واذ عرضت اللوحة ذلك المساء كان تايسن يزايد عليها عبر الهاتف من غرفة في أحد فنادق طوكيو. وقد اشتراها بمبلغ ٣،٨٥ ملايين دولار وهو أكبر مبلغ دفع أبدا لاحدى لوحات غوغان.

محظيات - على رغم اهتمام تايسن بالفن فانه يحاذر صداقة الفنانين المعاصرين. والاستثناء الكبير هو الرسام البريطاني لوسيان فرويد. فقد جلس تايسن أمامه ليرسمه في لوحتين، وتضاربت الآراء حول احداهما. تقول دو بوري: "انها تحفة بالغة الاذهال، لكن البارون الوسيم في الحياة يغدو في اللوحة بشعاً." وقد أبدت تيتا زوجة تايسن ومعظم أقاربه وأصحابه اشمئزازهم من اللوحة. واذ يرد ذكرها يتنازعون حولها بمرارة. لكن تايسن يهوى اثارة الموضوع، فالخلاف يسليه أيّما سلوى.

وثمة أمور أخرى تسليه. تقول دو بوري: "لديه حس بالغ بالفكاهة." كان في اجتماع عمل ممل، فاستدار نابحاً أمام أحد زملائه. ويذكر الزميل ذلك قائلا: "لم يكن نباحاً بسيطاً، بل عواءً. كان تايسن يبحث عن مخرج، فنزلت الى الارض جاثياً على يديّ وركبتيّ وشرعت أنبح رداً عليه. وقد أخرجنا ذلك من الاجتماع. وكنا نعمد الى ذلك كلما واجهنا موقفاً مماثلا."

إن الحياة مع تايسن هي كالعيش في بلاط الملوك. فمساكنه تغص بالمشاهير

كالأميرة مارغريت ودوق ودوقة مارلبورو ومالك السفن ستافروس نياركوس.

وثمة لوحات تنال حظوة لديه، مثل "الفارس الفتي" لكارباتشيو فنان البندقية، وأخرى مذهلة من عصر النهضة تظهر حسناء فلورنسية للرسام غيرلندايو، وهي اللوحة الوحيدة التي لم يعرها تايسن ولن يعيرها أبداً.

هبة الى العالم - مع أن جورج هاينريك، أكبر أبناء تايسن الاربعة، تولى إدارة الأعمال التجارية للأسرة، فان جدول أعمال البارون ما زال يسبب الدوار لكثرة مواعيده. وهو ما زال نشطاً في أعماله، اذ هو في عداد مستشاري معرض سوثبي في لندن وأحد أعضاء مجلس الانماء في "صالة العرض الوطنية" في واشنطن. كما انه مشارك في عدد كبير من المؤسسات الخيرية وأعمال الاحسان. وتزداد لوحاته المعارة وهو يختارها بنفسه أحياناً كثيرة، اضافة الى حضوره معظم حفلات افتتاح المعارض والقيام بدوره كمرشد اجتماعي على أتم وجه.

لكن للنشاط ضريبة. فقبل سنة ونصف سنة أصيب تايسن بسكتة طفيفة في الدماغ (فالج). وأشار عليه الاطباء بالراحة، غير أن مشاغل البارون كثيرة. ففي زيارة حديثة للاتحاد السوفييتي أقر تايسن ورايسا غورباتشيف زوجة الزعيم السوفييتي اتفاقاً جديداً للتبادل الفني بدأ في يونيو (حزيران) ١٩٨٨.

غير أن هم تايسن الذي يفوق كل هم هو مستقبل مجموعته الفنية. فقد ضاقت بها قاعات العرض في "لا فافوريتا" منذ زمن وينبغي ايواؤها في مكان آخر. وقد عرضت اسبانيا دارة "فيلاهيرموسا" التي ترقى الى القرن السادس عشر، وهي قصر في وسط العاصمة مدريد. وقدمت ألمانيا الغربية كبرى قلاعها الباروكية وتدعى "شلوس لودفيغسبرع" قرب شتوتغارت أو متحفاً جديداً في المدينة. وأعربت مؤسسة "غيتي" في الولايات المتحدة عن رغبة مماثلة. وسويسرا تائقة طبعاً الى ابقاء المجموعة حيث هي.

ويبدو أن اسبانيا هي الأوفر حظاً. ففي ابريل (نيسان) ١٩٨٧ عقد اتفاق مبدئي بين البارون والحكومة الأسبانية لاعارة نحو نصف مجموعته مدة عشر سنين لمؤسسة ستجدد "فيلاهيرموسا" لعرض تلك الأعمال فيها.

في مثل هذه الحال ما على تايسن سوى اعطاء كلمته فتبتّ المسألة. ولئن يحلو له أن يبدو ملكاً بين فينة وأخرى، الا أنه يقدر تمام التقدير النعم التي أفاضها الله عليه. وقد قال مرة: "على الناس أن يتساءلوا لماذا يجمع شخص واحد كل هذه الأعمال الفنية. إن موهبة الفنان عطيته الى العالم. وعيناي هبة من الله، ولا يسعني إلا أن أحاول الافادة من هذه الهبة بأن أتيح لأكبر عدد ممكن من الناس ان يستمتعوا بما جمعت."

بريسيلا باكلي

عامل الطفل كما لو كان الآن الشخص الذي سيكونه غداً. هـ.ج.

من أسرار القادة الناجحين

سواء تسلقت سلم العظمة في حياتك أو سلكت سيرة عادية، إليك هذه النصائح

١- أن تكون محبوبًا

بينيت سيرف الرئيس السابق لمؤسسة "راندوم هاوس" في مدينة نيويورك كان أحد أشهر الرجال المطلوبين في العالم، علماً أنه لم يكن حسن المنظر ولا خطيباً مفوَّها ولا صاحب صوت جذاب.

كان بينيت طريف المزاج وذا اهتمام كبير بالآخرين. فبعد تمضية عشر دقائق معه تجد نفسك مستغرقاً في حديث عميق يدور حول شخصك في معظم الاحيان.

وتميز سيرف، أكثر من أي شيء آخر، بكونه جديراً بأن يُحبّ. وأنا، كخبير بالاتصالات ومستشار في وسائل الاعلام، اكتشفت أن الناس إذا أحبوك فانما يصفحون عن كل خطأ يبدر منك. أما إذا لم يحبوك فقد تنجح في كل ما تعمله ولكن ليس هناك من يبالي أو يكترث.

هذا ما أسميه "عامل المحبة." وفي ميدان السياسة فان الاصوات التي "مصدرها المحبة" قد توجِّه سير الانتخابات، كذلك في عالم التجارة والاعمال. فالذين سيتولون قيادة الادارات في المستقبل هم نخبة قد يكونون من ذوي العقول الصلبة انما ميزتهم أنهم استحقوا محبة الآخرين. فالقادة، سواء عملوا في ميدان التجارة أو في أمور أخرى

Condensed from «You Are the Message,» copyright © 1988 by Roger Ailes, published by Dow Jones — Irwin, Homewood, Ill.

تتعلق بالمواطنية، يحتاجون الى تأدية وظائفهم براحة بال في ميدان تتفتح فيه عيون الناس الناقدة على ما يفعلون، وبطـريقتهم يكسبـون المستخـدمين والمتطوعين ووسائل الاعلام.

ليس من أحد يمكنه أن يخبرك تماماً كيف تصبح جديراً بمحبة الآخرين. فكثير من الناس يبذلون جهدهم ليكونوا من هذه الفئة لكنهم يخفقون. انما من الممكن أن نعيّن بعض الصفات التي يتحلى بها من هو جدير بالمحبة.

التفاؤل هو احدى هذه الصفات. هنالك قول قديم ينصُّ على أن "المتشائم يرى صعوبة في كل مناسبة بينما المتفائل يرى مناسبة في كل صعوبة."

ان المتفائلين لا يتورّعون عن طلب المساعدة من الآخرين، فهم يتجاوبون مع الاخفاق، فإذا ما رفض طلبُ أحدهم لوظيفة ما فانه يعمل لاستنباط خطة عمل أخرى. أما في مناسبات كهذه فإن ردود الفعل لدى المتشائمين تختلف كثيراً. فإنهم لدى مواجهتهم صعاباً كهذه يزعمون أنهم عاجزون عن اتيان أي عمل لتغيير تلك الظروف.

عندما تحضر بين أناس يتشكّون دائماً من سوء معاملة الآخرين لهم، فإنك تشعر برغبة في الابتعاد عنهم. أما أولئك الجديرون بالمحبة فلا يرثون لأنفسهم بل يبادرون الى مساعدة الآخرين وينصرفون الى أعمالهم الخاصة ويضحكون بسهولة وخصوصاً على أنفسهم.

صفة اخرى للشخص الجدير بالمحبة هي مقدرته على جعل الآخرين يشعرون بارتياح. ان القادة الذين يتحكمون بعواطفهم يُريحون الآخرين. انهم يتقبلون الناس كما هم فيجعلونهم أكثر انتاجاً.

وفي الطرف المقابل هناك قادة قساة يحاولون أن يستغلوا أفضل ما في الآخرين بعنادهم ولؤمهم. وخبرتي في هذا المجال هي أن بعضاً من هؤلاء القادة يديرون مشاريع مُربحة، إلا أنهم يعانون مشاكل اخلاقية وانسانية مـزمنة. ان هؤلاء الاداريين ليعجـزون عن كسب دعم مرؤوسيهم وزملائهم لأنهم متعجرفون ويظهرون لهم العداء والخصومة. أجل، انهم فائزون من الوجهة الاكاديمية انما خاسرون على صعيـد الاصوات التي تعطاهم بدافع المحبة.

ان الشكوى التي أسمعها كثيراً من المديرين القدامى هي أن مساعديهم متعجرفون. وفي هذا الخصوص قال أحد كبار المديرين مفسّراً: "إن لم يحسّن هؤلاء القادة الشباب مهارات موظفيهم فإنهم سيصرفون حياتهم وهم ينفّرون الآخرين، وهذا عاقبته مشؤومة."

ان كثيراً من الذين فقدوا وظائفهم لم تكن تعوزهم المقدرة. انمـا بحسب الدراسات التي أجراها بعض مديري التوظيف تبيّن أن السبب يعود الى التضارب في الشخصيات. وقد جاء في مقال عن فن الادارة في نشرة "بوتوم لاين برسونال"(★): "عندما يبلغ الموظف الاداري منتصف طريقه على سلم التدرج والارتقاء، أو يتجاوزه، تبقى مهارته في الاتصال برؤسائه وبعث النشاط في الموظفين هي المقياس الرئيسي لإتمام ارتقائه."

(★) Bottom Line Personal

ان الجديرين بالمحبة لا ينظرون الى أنفسهم أو الى وظائفهم بجدية مفرطة، سواء كان تعاملهم مع جماعات أو أفراد.

وأخيراً، هل أنت ذلك الشخص الذي يُسرُّ الآخرون بحضوره؟ ان الجواب عن هذا السؤال على جانب عظيم من الخطورة بالنسبة الى عملك وحياتك.

روجر ايلز وجون كروشار

روجر ايلز خبير اعلامي خدم كمستشار لعدة رؤساء أمريكيين.

٢ - أن تحترمَ خصومَكَ

كانت معركة ساراتوغا أحد الانتصارات الحاسمة في الثورة الامريكية (١٧٧٥ - ١٧٨٣). فبعدما انتهت وسلم الجنرال البريطاني بارغوين سيفه الى الجنرال غايتس جلس ضباط الجيشين المتنازعين ليتناولوا العشاء معاً.

لو قرأت عن هذا المشهد وأنا أصغر سناً لاعتبرته سخيفاً ومنافياً للعقل. فبعد كل ما جرى، ها هي مجموعة من المتحاربين المتحمسين جالسون الى طاولة يتناولون عشاء سائغاً بعدما كان كل فرد منهم قبل ساعات مصوِّباً بندقيته نحو صدر الآخر. إنما بعد عشرين سنة من عملي بين رجالات السياسة بدأت أفهم لماذا يتجاوب المنتصرون الحكماء بطريقة كهذه.

ان هذه البادرة، في نظر الامريكيين، تحمل معنى عميقاً. فأي وسيلة تخمد شهوة القتال لدى الجنود البريطانيين أفضل من طمأنتهم الى أن خسارتهم أمام الامريكيين ليست أمراً شنيعاً؟

من المهم جداً أن تتبع في كل مسالك حياتك تلك الحكمة القديمة القائلة: "عانق أصدقاءك بشدَّة وأعداءك بشدة أقوى كي لا يقدروا على التلوي او الاهتزاز." أجل، هذه الحكمة ذات أهمية كبرى، خصوصاً في عالم السياسة.

في العام ١٩٦٨ كاد نائب ايلينوي دان روستنكوزكي يصبح رئيساً لمجلس النواب الامريكي. وكان عمره آنذاك ٤٠ عاماً فقط، لكنه، سياسياً، كان بلغ درجة مرموقة من القوة والشعبية. ثم وقع ضحية أمام عدو صغير ذي ذاكرة جبارة.

أثناء انعقاد المؤتمر الوطني للحزب الديموقراطي عام ١٩٦٨ في شيكاغو تسرَّبت فوضى التظاهرات المناهضة للحرب الى قاعة المؤتمر، فأخذ زعماء الحزب يزعقون ويرفعون أيديهم في وجوه زملائهم أمام عدسات التلفزة. وكان من الجلي أنَّ رئيس المؤتمر وزعيم الاكثرية النيابية كارل ألبرت فقد سيطرته كلياً على كل الاجراءات.

وغضب الرئيس الامريكي آنذاك ليندون جونسون لما شاهد هذه المأساة على الشاشة الصغيرة. فاتصل بروستنكوزكي الذي كان وقتئذ الرجل

Condensed from «Hardball,» copyright © 1988 by Christopher Matthews, published by Summit Books / Simon & Schuster, Inc., New York, N.Y.

الديموقراطي الرابع من حيث المرتبة في البرلمان، اضافة الى كونه تحت حماية عمدة شيكاغو ريتشارد دالي. فما كان منه الا أن أبلغ الى المجلس فوراً استياء الرئيس وتناول المطرقة من ألبرت المرتبك وتولّى بنفسه رئاسة المؤتمر.

بعد ثلاث سنوات أصبح ألبرت رئيساً لمجلس النواب. ولما أوصى زعيم الاكثرية الجديد بتعيين روستنكوزكي منظماً للحزب بحيث يصبح صاحب المرتبة الثالثة، خذله ألبرت شر خذلة، وعين بدلا منه توماس أونيل الذي خلف ألبرت في ما بعد رئيساً لمجلس النواب.

لم ينتهِ انتقام ألبرت عند هذا الحد. اذ بعد أيام قلائل رشح روستنكوزكي نفسه نائباً لرئاسة اللجنة البرلمانية الديموقراطية التي من شأنها اختيار المرشحين وتقرير السياسة الحزبية. ففوجىء اذ رأى نفسه منهزماً أمام منافس جاء حديثاً الى الميدان هو مرشّح رئيس المجلس كارل ألبرت.

وقد أصبح روستنكوزكي رئيساً لاحدى اللجان البرلمانية المهمة. ولكن لما عاد أحد أصدقائه بالذاكرة الى تلك البرهة من مؤتمر ١٩٦٨ قال: "كانت رئاسة المجلس الآن من نصيب داني لو أنه صان لسانه."

ان هذه الامثولة يجب أن تؤخذ في الاعتبار في كل المهن. فإذا عجز شخص عن أن يكون لطيفاً مع منافسيه فإنه يضيع فرصاً ذهبية لا تعوَّض. إن القائد الفطن يعلم أن من يخاصمه اليوم في معركة ما قد يكون له حليفاً ذا شأن في معركة مقبلة.

كريستوفر ماثيوز

شعلة الفكر

كل الافكار الجيدة متوافرةٍ عادةٍ في الكائنات البشرية في شكل طاقة. لكن كثيراً من هذا الوقود لا يحترق جيداً أو لا يولّد ناراً على الاطلاق الا اذا أوقدته شعلة أو شرارة من خارج، من شخص آخر مثلا.

أ.ش.

انتهاز الفرص

أن تكون انتهازياً هو أن تعرف كيف تقتنص الفرصة المناسبة لتفيد منها الى أقصى الحدود. وهذا يعني، أساساً، أن تطبق فمك عندما لا يجوز لك الكلام، أو أن تقول الكلمة الصائبة في الوقت المناسب، أو ألا تفعل شيئاً قد يرتد عليك.

فرنكو زيفيريلي، مخرج سينمائي ايطالي

التعاسة الكبرى لا بد من أن تبتلي من هم في نُشوز مع جوهر نفوسهم.

ماركوس أورليوس

مأساة واقعية

الكلبة المنقذة

في أواخر العام ١٩٨٦ قرأت ميسي بركنس اعلاناً عن كلبة هجينة عاقر تبلغ من العمر ثلاث سنوات، كبرت على منزل مالكتها فعرضت أن تهبها مجاناً. بدت الكلبة حلاً مثالياً لمشكلة متفاقمة.

كانت طيور البط والدجاج في مزرعة فرمونت الصغيرة الخاصة بآل بركنس تأكلها السمامير والثعالب والراكون، والخُضَر ترزح تحت وطأة الارانب والغزلان. فالكلبة المناسبة قد تبعد الحيوانات، فضلاً عن أن ميسي وزوجها وأولادهما الخمسة هم من محبي الحيوانات ويرحبون بضم كلبة الى العائلة.

اتصلت ميسي هاتفياً بالمعلنة التي قالت انها ستأتي بالكلبة الى المزرعة في

اليوم التالي. وعندما رأت ميسي الكلبة تساءلت عما اذا كانت تقترف خطأ في قبولها. انها تزن ٣٦ كيلوغراماً، شعثاء، نصف كلبة نيوفاوندلندية(★) ونصف "شيء ما خرج من الادغال." وقد أقلق ميسي أن ينشر فرو الكلبة الكثيف رائحة الزريبة في أنحاء المزرعة.

أما الكلبة فتركت الاولاد يشدون فروها وأذنيها من دون زمجرة. بدت هادئة ولكن يقظة، ودودة، ملائمة جداً. ومع أن حيواناً بتلك الضخامة ستكون له شهية جبارة فان مزرعة آل بركنس تنتج ما يشبع الكلبة.

لكنّ "شيئاً ما" ضايق ميسي. كان مالكو الكلبة يدركون بلا شك أن الجروة

(★) Newfoundland كلب ضخم معروف بقدرته على السباحة.

التي يربونها مقدر لها أن تكبر، اذ عرفوا أنها نصف نيوفاوندلندية أي من النوع الذي يستطيع ترجيح كفة الميزان أكثر من ٦٨ كيلوغراماً. كان عليهم ان يدركوا انها ستكبر على منزلهم. فهل ثمة من سبب آخر حمل أصحابها على التبرع بها؟ هل ثمة سر في هذه الكلبة لم يخبروها عنه؟

الدبة والاولاد – أحب الاولاد الكلبة من النظرة الاولى. وهم التمسوا الاحتفاظ بها. أما ميسي فلانت بشرط أن تُعاد الكلبة اذا لم تنجح الامور.

كان اسم الكلبة روزي (وردة)، ولكن ليس الى وقت طويل. قال زيك البالغ من العمر ثلاث سنوات، واصفاً الكلبة المكسوة بالصوف وذات الاذنين المتراخيتين والاقدام التي تشبه أخفاف النوم: "انها ليست وردة، بل تشبه أكثر ما تشبه دبة." وهكذا أصبحت روزي "الدبة".

لم تكن "الدبة" تلوك الاشياء او تطارد السيارات، بل بدا أنها تعرف أن عملها هو حماية الحيوانات الاخرى. وهي حرست الاولاد كذلك، فكانت تراقبهم عن كثب كما تراقب طيور الدجاج والبط. شتاءً تعدو الى جانب الاولاد وهم يتزحلقون على التلال الثلجية، وصيفاً تسبح معهم في نهر مجاور.

لكلاب نيوفاوندلند غرائز حادة للانقاذ المائي، وهي ميزة ربّاها فيها، عبر قرون، صيادو الاسماك في المحيط الاطلسي الذين كانوا يستعينون بها في شد الشباك وانقاذ الرجال الواقعين في البحر. كان نصيب "الدبة" واضحاً: عندما يغوص الاولاد في النهر تسبح هي في دوائر حولهم، تنبح عندما تشعر بأنهم غامروا في الذهاب بعيداً جداً. انها الكلبة الكاملة للمزرعة، والرفيقة والحارسة والحامية.

منذ البدء كان زيك الولد المفضل لدى الكلبة. فحالما تتوارى سيارة المدرسة بالاولاد الاربعة الكبار يتوجه زيك و"الدبة" مع ميسي الى الزريبة لحلب البقر.

بعد الغداء يتكوّم الاثنان في المطبخ قرب موقد الحطب. أحياناً تغفو "الدبة" بينما يتظاهر زيك بأنه يقرأ لها. وغالباً ما يغفو الاثنان على نحو يتشابك فيه فرو قاتم وشعر أشقر ويدان صغيرتان وأخفاف ضخمة. ويوفّر زيك ضمته الاخيرة لصديقته المفضلة الى وقت النوم ليلاً.

بنتان وغريق – في ١٩ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٧ غادرت ميسي المزرعة آخذة ربيكا (١٠ أعوام) الى تمثيلية مدرسية وجوشوا (١١ عاماً) الى منزل صديق. وبقي الاولاد الثلاثة الصغار يلعبون خارجاً على الثلج مع "الدبة". واذ عاد والدهم الى المنزل سألته مرتا (٨ أعوام) عما اذا كان يسمح لها هي وزيك وساره بالتزحلق على البركة.

في عقار بركنس بركتان تتغذيان من ينبوع. ومنذ أيام عدة والجو قارس البرد وكلتا البركتين مجمّدة حتى القاع.

منح ديل الاولاد موافقته ودخل المنزل. وراحت مرتا وساره وزيك يتزحلقون. وبعد بضع دقائق أعلنت ساره أنها ضجرت: "تعالا نذهب ونتزحلق على بركة لي."

تبعد بركة لي قرابة ٢٢٥ متراً، يحجبها عن منزل آل بركنس صف من الشجر. وقد حفرها مزارع في مرعى لسقي ماشيته. وللبركة ضفاف بطول ٢٠ متراً تنحدر الى عمق مترين ونصف متر. وقد ظنّ الاولاد أنه اذا كانت بركتهم مجمدة فالبركة الاخرى ستكون بالتأكيد كذلك.

هتف الاولاد الثلاثة فرحين وراحوا يتزحلقون هناك. وكانت احذيتهم تنزلق بسهولة على الجليد. وضحكوا كثيراً حين راقبوا المحاولات العقيمة التي تبذلها "الدبة" للتوقف. ولما تعب الثلاثة جلسوا على الجليد و"الدبة" قربهم. وبغتة انخسف الجليد تحت وطأة ثقلهم، فقفزت "الدبة" الى الضفة فيما غاص الاولاد الثلاثة في المياه المتجمدة.

صرخت مرتا وساره وكافحتا لايجاد موطىء قدم على أرومات الشجر أو الصخور المغمورة بالمياه. وبرزت أغصان أيكة قريبة فأمسكت بها الفتاتان وجذبتا نفسهما الى الضفة. أما زيك الصغير ففار بيأس في الماء متمسكاً بقطعة جليد وهو غير قادر على ارتقائها. صرخ طالباً النجدة. وكافحت مرتا وساره للوصول اليه لكنه كان ابعد من متناولهما. ومع أن الفتاتين تحسنان السباحة فقد أدركتا أنهما ليستا قويتين كفاية للبقاء عائمتين بثيابهما المبللة الكثيفة.

كانت مهارة زيك في السباحة ضئيلة جداً. وبمقدار ما ازداد ضربه برجليه ويديه ازداد انجرافه بعيداً مع التيار. وتشبعت سترته وحذاؤه وثيابه التحتية وسرواله بالماء مما هدد باثقال كاهله. وفتشت الفتاتان عن قضبان طوال تمدانها نحو أخيهما، لكنهما لم تجدا شيئا من ذلك. وراح الجميع يصرخون جزعاً.

رسالة واضحة – كانت ميسي غادرت المنزل قبل نصف ساعة فقط. ولما عادت تفقدت زوجها ديل في الداخل ثم جالت في الخارج للتأكد من أن الاولاد يرتدون ثياباً دافئة. لم يكونوا على البركة الصغيرة كما توقعت، فتوجهت الى الزريبة، وفي منتصف الطريق سمعت صراخاً آتيا من جهة بركة لي.

ابتهلت ميسي الى الله لكي تصل في الوقت المناسب. وأسرعت عبر المرج تنادي أولادها بأسمائهم. صرخت: "أجيبيني يا مرتا. يا زيك، هل أنت هناك؟ سارة، أجيبي." كان أقرب جار يبعد حوالى نصف كيلومتر، لذا من غير المحتمل أن يكون أحد رأى الاولاد أو سمعهم.

ضعفت قبضة زيك على الجليد، فصرخت شقيقتاه: "تمسك جيداً." أما "الدبة" التي تسلقت الى الضفة فبدا أنها أدركت خطورة الوضع. أطلقت سلسلة من النباح وغطست في الماء متوجهة الى زيك. عضت ياقة سترته وجذبت الصغير الخائف نحو الضفة الى ماء ضحضاح حيث استطاع الوقوف.

ثم فعلت "الدبة" أمراً لم تفعله من قبل ولم تفعله من بعد. دارت حول نفسها ومدت ذيلها الى زيك. كانت رسالتها واضحة حتى لطفل مضطرب ومروَّع. أمسك زيك بالذيل فسحبته "الدبة" الى مكان آمن. وبشدَة أخيرة وبمساعدة مرتا وساره جذبت الكلبة الصبي الى الضفة حيث

أجهش في البكاء بين أذرع شقيقتيه. صرخت ساره: "عظيمة أنت يا دبة!"

عندما وصلت ميسي رأت الثلاثة متكومين بعضهم على بعض، فجثت على ركبتيها وأخذتهم بين ذراعيها ضاحكة وباكية في آن. أما "الدبة" فأخذت تلحس وجهاً مبللاً بعد آخر.

تلك الليلة، على العشاء، شكر آل بركنس الله على كل يوم تكون فيه العائلة مجتمعة. ان ما حدث ذلك الاصيل أعطاهم وعياً جديداً للحياة.

انتشر خبر بطولة "الدبة" الى ما وراء منطقة فرمونت. وبعد أيام امتلأ مطبخ آل بركنس بالصحافيين والمصورين ومندوبي التلفزيون.

واجهت "الدبة" الامر كأنه عرضي، قانعة بحراسة دجاجها وخرافها وأولادها. وقال زيك وهو يطوّق بذراعيه عنق الكلبة الكبيرة: "انها تود أن تبقى الدبة ذاتها."

قرأت المالكة السابقة أخبار "الدبة" فقصدت مزرعة بركنس. وذكرتها ميسي بارتيابها في سبب تخليها عن الكلبة، فقالت المرأة ان الكلبة كانت حقاً كبيرة على بيتها، لكنها أضافت بخجل: "تصوري، لقد ظننا أبي غبية."

بير أولا وإميلي دولير

تحت مشرط الغريم!

عندما كنت في المستشفى أستعد لجراحة صغيرة سألتُ ممرضة شابة وجميلة هل تعتقد أني سأتحسن يوم السبت المقبل بحيث أدعوها الى العشاء. فابتسمت بعذوبة وأجابت: "ربما كان عليك أن تسأل خطيبي الذي سيجري لك الجراحة صباح غد."

أ.ل.

جرس الطوارئ

بنى الزوجان على جزيرتهما النائية كوخاً لسكناهما ومخزناً للحبوب وحظيرة للماشية. ثم علق الزوج جرساً في شجرة وقال للزوجة: "عندما يجدّ طارئ اقرعي الجرس فأحضر حالا."

وذات يوم كان الزوج في طريقه الى الغابة لقطع الشجر عندما سمع الجرس. فهرع مستفسراً فقالت له زوجته: "ظننت أنك تريد بعض القهوة." فشرح لها أن الجرس يستخدم في الاحوال الطارئة فقط ورجع الى عمله. وما كاد يتناول الفأس حتى سمع الجرس ثانية، فأسرع الى البيت حيث قالت له الزوجة: "ان حوض الغسيل مثقوب يرشح ماء." فنهرها: "تباً لك يا امرأة، هذا ليس حادثاً طارئاً."

وبعد ساعتين قرع الجرس للمرة الثالثة فهرع الزوج ليجد الكوخ يحترق وامرأته مصابة بسهم في كتفها وممددة على الارض. فهتف: "أحسنت يا عزيزتي، هذه حالة طارئة فعلا!"

ب.س.

قيس وليلى

أثناء زيارتي المدينة حضرت مسرحية "قيس وليلى" التي شارك فيها ابن اخي.

كان نهاري شاقاً في السوق، والمسرحية بطيئة، فغلبني النعاس ورحت أغفو بين فينة وأخرى. فجأة اندفع ابن اخي الى المسرح منادياً البطلة التي كان اسمها مثل اسمي: "ليلى، ليلى، أين أنت؟" أجفلني النداء فقفزت من مقعدي في الصف الامامي وأجبت: "أنا هنا!" حملق ابن اخي فيّ بغضب بينما تلقيت تصفيقاً حاراً من الجمهور.

ل.ن.

عائلة متكاملة

تقدم طالب للانتساب الى كلية الطب. وخلال مقابلة اللجنة الفاحصة سئل ما الذي يرغبه في دراسة الطب. فأجاب: "حسناً، ان شقيقتي حائزة شهادة في الصيدلة، وأمي ممرضة قانونية، وأبي مصاب بوسواس المرض."

إ.أ.

عروس وعريس

رجع العريس من عمله فبادرته عروسه مضطربة: "لا أدري كيف أخبرك. كنت أكوي سروالك فاحترق قفاه."

فقال العريس مطمئِناً: "لا عليك يا عزيزتي. أنت تعلمين أن لدي سروالا آخر لهذه البذلة."

فهتفت العروس بارتياح: "آه، أجل، هذا من حسن حظي، فقد رقعت به الحرق."

ب.ف.

أرملة المرحوم

قال المحامي معزياً أرملة باكية لم يترك زوجها المرحوم وصية: "هل كانت للفقير كلمات أخيرة؟"

- هل تعني قبل موته مباشرة؟

"أجل، فقد تكون كلماته الاخيرة عوناً لنا على تدبّر الامر."

- حسناً... قال لي: "لا تحاولي أن تخيفيني، فأنتِ لا يمكنك أن تصيبي ثوراً بهذا المسدس."

ف. إ.

واجـهوا أولادكُمْ المراهقين بصَبر ومحَبّة

نصائح تربوية لتمتين العلاقة وزيادة الثقة بين الآباء وأبنائهم المراهقين

كشفت امرأة عن قلق شائع بدأ يساورها عندما بلغ ابنها الخامسة عشرة من عمره وقاربت ابنتها الثالثة عشرة. قالت: "كثيراً ما نسمع أنا وزوجي بمشاكل المراهقين من جنس وعقاقير وكحول وخلاف مع الوالدين وترك المدارس وغير ذلك. وبصراحة، لقد أمرضنا قلقنا على ولدينا." وبعدما صمتت هنيهة تابعت: "كنا دوماً عائلة متماسكة متحابة، والآن أعتقد أن كل شيء سيتغيَّر."

سألتها: "ولماذا يتغيَّر؟" فاذا كان المراهقون يمرون باضطرابات عاطفية وجسدية عميقة إلا أن هذا لا يعني أنهم حتماً سيتخلون عن الاخلاق أو يثورون على النظام الاجتماعي، مع الاشارة هنا الى أن المراهقين المضطربين لا يشكلون سوى جزء صغير من مجموعة المراهقين كلهم.

سألتني الام: "كيف لي أن أتأكد من أن اولادي سيسيرون على خطى الاكثرية؟"

فأجبتها: "ان مطلبك هذا يتحقق إن أنت بقيت أماً قوية ومحبة." وهذا لا يعني أن تبقى معاملتهم اليوم كما كانت وهم صغار، لأنهم عندما يتقدمون في السن تزيد مطالبهم ويستحقون حرية أوسع. لذلك فمعاملتنا للمراهق بخشونة وتعسُّف قد تؤدي الى صراع مدمِّر معه. وليس هناك والد سوي يريد أن يفقد صلته بأولاده في وقت هم في أمس الحاجة الى معونته ومساندته.

ليس هنالك من قاعدة سحرية يمكنكم بموجبها تكييف أسلوبكم التربوي ليناسب كل فرد في الاسرة، لأن كل مراهق، حتى ضمن العائلة الواحدة، له مواقفه وردوده المختلفة. انما تبقى بعض الارشادات النافعة التي تساعدكم على تجنب الوقوع في هفوات هذه السنوات الحاسمة. وهاكم بعضها:

كونوا على استعداد مبكّر. كلما كانت العلاقة متينة بينكم وبين أولادكم في السنوات التي تسبق سنيّ المراهقة، هان عليكم أن تكونوا والدين مرشدين في ما بعد. فالأولاد الذين "يُرَون ولا يُسمَعون" يبلغون سن المراهقة عادة وفيهم شعور ضعيف بأهمية شخصيتهم.

لا تعوّدوهم تجاهل سردهم للاحداث اليومية وتعتبروه تافهاً، لأنكم بإصغائكم الى أطفالكم انما تبلغونهم أن ما يقولونه مهم وأنكم تقدّرون آراءهم. وبذلك تنمون فيهم الثقة بالنفس واحترامها.

علموا أولادكم اتخاذ القرار. في وسعكم أن تصرّفوا أعمالكم من دون أن تتصرفوا كمدربين عسكريين. والحقيقة أن احدى غايات التهذيب هي أن تعلّموا اولادكم فن اتخاذ القرار.

وفّروا لولدكم حق الاختيار عندما يكون ذلك ممكناً. اسألوه مثلا هل يفضل أن ينظف غرفته الآن أو بعد عودته من المدرسة. لا شك هنا في أنكم تتوقعون منه أن يرتّب غرفته، إنما انتم تمنحونه الحق في اختيار الوقت الذي يريد فيه أن ينجز عمله.

عندما كان ولداي في مدرسة ابتدائية انتقلنا الى شقة جديدة. وبدل أن أُقرر بنفسي تأثيث غرفتي نومهما ارتأيت أن أستشيرهما في هذا الموضوع، وكانت النتيجة أننا حصلنا على غرفتي نوم بفروق مميزة، اضافة الى تمرين قيّم في الاختيار. إن هذا النوع من التدريب المبكر يُنمي في الولد المقدرة على أن يزن ما له وما عليه.

تفهموا آلام النمو. ان الاولاد مع اقترابهم من سني المراهقة يحتاجون الى حرية أكثر وغالباً ما يأخذونها. وهذا أمر طبيعي وسليم، ومع ذلك تراني كل يوم أقدم النصائح الى الوالدين الذين لا يقدرون أن يفهموا لماذا يعصاهم أولادهم المراهقون أو يرفضون المشاركة في شؤون العائلة.

اشتكت والدة من أن ابنتها البالغة الرابعة عشرة من عمرها تأبى أن تمشي إلا أمامها أو وراءها عندما تكونان خارج البيت. وتساءلت الام عما اذا كانت ابنتها تستحيي منها. أما تفسير هذا التصرف فهو أن الابنة المراهقة ترفض أن يراها رفاقها ورفيقاتها المنتشرون هنا وهناك تحت رعاية أمها أو في حراستها. لذلك، بتوفيركم لأولادكم المراهقين فسحة أكبر - بالمعنيين المجازي والحرفي - تحفظون لهم استقلالهم الشكلي وتتجنبون مواجهة غير ضرورية.

اشركوا أولادكم في التقرير. اقترحت ذات يوم على أم أن تأخذ رأي ابنتها البالغة الخامسة عشرة من عمرها في بعض الامور، كالتجميل وتصفيف الشعر واختيار الملابس. وكانت علاقتهما متوترة حتى ذلك اليوم، إذ كانت الابنة ترغب في الاستقلال وأمها تعارض هذه الفكرة. وأخيراً قبلت الام أن تمتحن اعطاء ابنتها ما تريد.

وكانت النتيجة أن تبيّن أن ذوق تلك الابنة كان متطوراً جداً. وكان تسوّقهما عصر ذلك اليوم فترة مبهجة وخبرة ممتعة. وأهم من ذلك أن المراهقة شعرت

ببهجة الإطراء لأن أمها وضعت ثقتها في رأيها. وبعد شهر أخبرتني الام أنها ناقشت ابنتها، للمرة الاولى، في الجنس والعادات والاخلاق، واعترفت بأن وجهات نظرهما لم تكن متطابقة كلياً لكنهما تمكنتا على الاقل من تبادل الآراء.

ان مجرد التحدث عن الرغبات المتبادلة يفتح عادة خطوط المواصلات بين الطرفين، وبعد فتحها فالله يعلم ما نوع المعلومات الحيوية التي ستجري عبرها.

لتكن أوقات الطعام مناسبات مميَّزة. بدل أن تكون وجبة الفطور، مثلا، على عجل، بكّروا موعدها عشر دقائق لكي يتسنى لكل أفراد العائلة أن يجلسوا معاً الى الطاولة. واحرصوا على أن يبقى الحديث في هذه الاثناء بسيطاً وسطحياً.

واذا صادف ان ذكر ولدكم المراهق شيئاً عن امتحان في الرياضيات، فتمنوا له التوفيق ودعوه يشعر بتشجيعكم إياه، لأن الوقت فات لاتهامه بعدم جدوى طريقته في الدرس. وانها لفكرة حسنة أن تتابعوا الموضوع معه عصر ذلك اليوم. وان جاز الامر فاذكروا له أنكم أنتم أيضاً عليكم أن تجتازوا امتحاناً في اليوم ذاته في اجتماع عمل مهم أو مقابلة حاسمة. ان معلومات كهذه تولد رباطاً خاصاً بين الاهل وأولادهم.

وببذل جهد أكبر قليلا يمكنكم أن تحوِّلوا وجبات العشاء مجال اختبارات عائلية غنية جداً. في بيتنا قاعدة مشدَّدة تقضي بالا يُفتح التلفاز أثناء وجبات الطعام، فلا شيء يُخمد العلاقات ويعكر صفوها مثل تلك الآلة. ومن جهتي فأنا أشجع أولادي على أن يدعوا رفاقهم الى العشاء كما أدعو زملائي. وأقولها علناً انني لا أفرض قيوداً على أي موضوع للبحث. وعادة تكون محادثاتنا مريحة ومنوِّرة.

تعرَّفوا الى أصدقاء أولادكم المراهقين. إن المراهقين قلما يتورطون في المشاكل من تلقائهم. وتركيبة مجموعة المراهقين التي يعاشرها ولدكم هي النافذة الفضلى على حياته. كثيرون من الوالدين يفتحون بيوتهم يومياً للإستقبال ويشجعون أولادهم على دعوة رفاقهم الى العشاء أو الى حفلات صغيرة كوسيلة للوصول الى معرفة اولادهم. وهذه الطريقة لا تتيح لكم فقط فرصة الاجتماع برفاق أولادكم بل تجعل من بيتكم ملاذاً يلجأون إليه.

واذا حدث أن اجتمع ابنكم المراهق بأصحابه في مكان آخر فما عليكم إلا أن تجدوا طريقة ما للاتصال به. طلبت احدى الامهات من أصدقاء ابنتها أن يأتوا الى بيتها للتمرن على أدوارهم في تمثيلية مدرسية. هنا عليكم أن تتجنبوا انتقادهم، فلا تقولوا مثلا: "كم هي مريم مفرطة في تبرجها" أو "كم هو سامي عديم الهندام" وغير ذلك. تذكروا أن غايتكم هي أن تفتحوا باب بيتكم وتتعرفوا الى هؤلاء الصغار.

أما اذا كان ولدكم المراهق يعارض جهودكم الاجتماعية هذه فعليكم أن تلجأوا الى أسئلة لطيفة مثل: "هل لي أن أعرف مع من تمضي وقتك هذه الأيام؟" أو

"لماذا لا ألتقي أصدقاءك؟" وان لم يأتِ هذا أيضاً بنتيجة ايجابية فيكون قد حان لكم أن تكتشفوا السبب.

أقيموا شبكة استعلام. لا شيء يزعج المراهق أكثر من أم أو أب يسيء الظن به على الدوام. ولكن هناك مبررات سليمة لحاجتكم الى معرفة ماذا يجري مع أولادكم المراهقين خارج البيت. والمعلمون عادة يستطيعون تزويدكم آراء ورؤى قيمة، لذلك لا يفوتنّكم حضور اجتماعات المعلمين مع الاهالي.

هناك مصدر آخر لاستقاء المعلومات وهو ذوو رفاق أولادكم. وهذه ليست شبكة تجسس إنما وسيلة لتحري ما يجري من أمور خارج نطاق النشاطات العادية. لنفرض مثلا أن ابنتك البالغة السادسة عشرة من عمرها أخبرتك أن صديقة دعتها الى تمضية عطلة نهاية الاسبوع في بيتها الواقع على شاطىء بحيرة. فكيف لك أن تتحققي من صحة هذه الدعوة من دون أن تلمحي الى أنك لا تثقين بكلام ابنتك. فاذا عارضت ابنتك رغبتك في مكالمة والدة صديقتها هاتفياً لتشكريها على الدعوة فان تذكيرها بأنك أم مهتمة بأمور ابنتها يبرر المكالمة ويوفر عذراً مقبولا. وفي كلتا الحالين يمكنك أن تتحققي من تلك الدعوة من دون أن تثيري عاصفة احتجاج ومقاومة.

ارسموا حدوداً معقولة. شأن معظم الوالدين، سهرت ليلة سبت منتظراً رجوع ابني. وما ان سمعت فرقعة قفل الباب حتى وثبت الى فراشي وكأنني كنت هناك طوال الوقت. كنت قلقاً على ولدي طبعاً، فهناك في الخارج سيارات مسرعة وسائقون رعناء وأناس أشقياء وأخطار كثيرة أخرى.

شاركوا أولادكم المراهقين في اهتماماتكم ومخاوفكم واشرحوا لهم أنها نابعة من محبتكم لهم وليس من عدم ثقتكم بهم. يمكنكم أن تتداولوا الامر وتعينوا معاً وقتاً مناسباً للرجوع الى البيت. وأنا كثيراً ما رددت على مسامع ابني وابنتي المراهقين أن يتصلا بي هاتفياً ويعلماني إذا ما اضطرا الى التأخر عن المجيء الى البيت.

ليس من المسلّمات أن ولدكم سيتعاطى شيئاً من المحرّمات. ولكن، صبياً كان أم فتاة، اهتموا بأن يتلقى معلومات دقيقة عن الكحول والمخدرات والجنس قبل بلوغه سن المراهقة بوقت طويل. وهذا ممكن في البيت أو بمساعدة معلمين مختصين أو من خلال قراءات مناسبة. والوسيلة الاقل نفعاً هي المحاضرات الفردية الطويلة وفنون الترهيب.

ان للصبر والتفاهم والمحبة الوافرة تأثيراً كبيراً في طريقة التعامل مع المراهقين. فإذا منحتموهم هذه العناصر بسخاء فإنكم تدركون سريعاً أن سني المراهقة قد تكون أخصب فترة في حياة العائلة.

لي سالك

الكاتب أستاذ الطب النفساني وطب الاطفال في جامعة كورنيل في نيويورك ومؤلف تسعة كتب في الابوة والحياة العائلية.

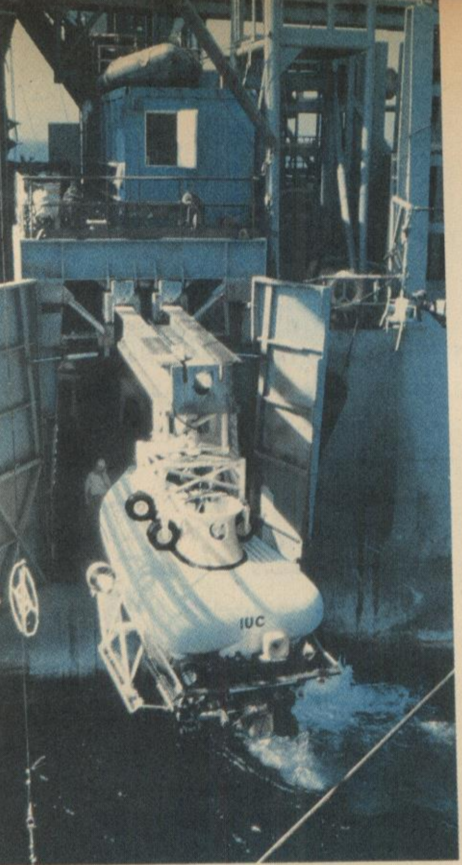

مركبة الغوص "بيسز ٦" على متن سفينة الحفر "سقن سيز" عام ١٩٧٩.

أندريه غاليرن رائد الأعماق

أتاحت الابتكارات التكنولوجية لهذا المغامر الفرنسي الخوض في قاع المحيطات على نحو لم يسبق له مثيل

كان النسيم العليل يداعب أمواج شمال الاطلسي عندما وقف أندريه غاليرن على متن السفينة "مس وندي" يراقب باعتزاز مركبة القيادة في أسطول الغوص، "بيسز ٦" وهي تغوص في الاعماق بعدما انفصلت عن "مس وندي" التي كانت تقطرها. وبتأنق بيانيّ خاطب الراكبَين اللذين كانا على متنها، يوجين كلارك الخبير ذا الشهرة العالمية في سمك القِرش وإموري كريستوف مصور مجلة "ناشونال جيوغرافيك": "لن تأسفا على الوقت الذي ستمضيانه في مركبة الغوص هذه. انها تحفة تكنولوجية رائعة ستنزل بكما الى الأعماق المدهشة."

في ذلك اليوم من يونيو (حزيران) ١٩٨٦ كانت "بيسز ٦" التي سبق أن استخدمت لسنوات في حفر آبار النفط وفي عمليات الانقاذ البحرية، ستغوص الى عمق ٦٠٠ متر لمشاهدة وحش لا يطفو أبدا على سطح الماء: سمك القرش ذي الخياشيم الستة. والصور التي التقطت لاحقاً بآلة تصوير مزودة جهاز تحكّم من بعد تظهر احدى هَذه الاسماك تكاد تعادل الغواصة طولا وهي تنخس بخطمها زجاج الكوّة.

يتكلم غاليرن بلهجة الواثق بنفسه

Photo: IUC INC, N.Y.

كأنه القبطان نيمو بطل رواية جول فيرن "عشرون فرسخاً تحت البحر". هذا البطل العائش بيننا هو رجل أعمال فرنسي عمره ٦١ عاماً، يتقد حماسة ويجمع المرح الفرنسي الى الحماسة الامريكية ويدير أول مؤسسة دولية للغطاسين المحترفين. وتستخدم شركته "مقاولو الاعماق الدوليون"(١) ما يزيد على ١٤٠ غطاساً في المياه الخلو من الجليد، مع مركبات غواصة يمكن التحكم بها من بعد، وأدوات متطورة عالية التقنية تستخدم في البناء تحت الماء وفي أعمال التقصي في قيعان البحار، انطلاقاً من مراكزها في باريس ونيويورك وسنغافورة.

في قلب بركان - دي دي، كما يناديه غطاسوه الفرنسيون، عاش دائماً مغامراً. كان طموحه الاول أن يصير طيار اختبار، ولكن عندما مزقت الحرب العالمية الثانية فرنسا لم يكن بلغ السن التي تؤهله للانضمام الى سلاح الجو. فالتحق وهو في السابعة عشرة بحركة المقاومة السريّة، وأثبت أنه نشيط مقدام. أسر خلال مهاجمة احدى القوافل الالمانية فعذب وحكم عليه بالموت رمياً بالرصاص. الا أنه فرّ قبل تنفيذ حكم الاعدام فيه بثوان معدودة ونجا حاملاً معه ثلاثة ثقوب في سترته وواحداً في قبعته.

بعد انتهاء الحرب تعثرت مشاريعه المهنية. غير أن انخراطه في الحركة الكشفية الفرنسية كقائد فوج من الكشافة الجوال أتاح له الفرصة لمتابعة هواية أخرى هي استكشاف الكهوف. فأسس نادياً لهواة استكشاف الكهوف ودراستها انضم اليه فتيان راوحت أعمارهم بين ١٦ و٢٢ سنة.

بحلول العام ١٩٤٦ كان الهواة أصبحوا خبراء ماهرين فذهبوا في أولى رحلاتهم الاستكشافية الطويلة التي استغرقت ١٤ يوماً على عمق أربعة كيلومترات داخل كهوف لومبريف في قلب جبال البيرينيه. كذلك هبطوا الى أعمق مسيل ماء جوفي معروف آنذاك، وهو كالادايير في منطقة فانكلوز، حيث اعترضت جهودهم لبلوغ العمق بحيرات وانهار جوفية. غير أن غاليرن قال لرفاقه: "في المرة المقبلة سنأتي بتجهيزات للغوص، لكنّ المحاولة ستكون خطرة جداً."

في ذلك الوقت لم تكن ابتكارات جاك - إيف كوستو، رائد الاعماق الشهير، معروفة على نطاق واسع فعمد غاليرن وفريقه الى اختبار أنواع مختلفة من التجهيزات. وقر رأيهم على منظّم تهوئة وكمامة تنفس بدائيين. وتدربوا على الغوص تحت الماء. يقول غاليرن: "اليوم لن أستخدم هذين الجهازين حتى في مغطس الحمام. لقد بقينا بأعجوبة على قيد الحياة."

مضت ست سنوات وهم يتوغلون في الكهوف ويغوصون في البحيرات الى عمق ٢٥ متراً. وحدث عام ١٩٥٢ أن وقعت شركة كهرباء فرنسا في مأزق في أثناء حفر نفق ينقل المياه المتجمعة منذ زمن طويل في فوّهة بركان خامد الى مساقطها حيث تولّد الطاقة الكهربائية. كان لا بد من استكشاف أعماق البحيرة البركانية، لكنّ الغطاسين التقليديين الذين

(١) International Underwater Contractors

يعتمرون الخوذ رفضوا النزول بناء على الاعتقاد الخاطىء السائد آنذاك أن الضغط على عمق ٣٧ متراً يسحق الانسان.

اتصلت شركة الكهرباء بغالين وسأله مهندس المشروع جيبرا: "هل تعتقد أنكم قادرون على الغوص الى عمق ٣٧ متراً في البحيرة؟"

فأجاب غالين: "لسنا مجهَّزين لهذا النوع من العمل، ولكن اذا اشتريتم لنا رئتين مائيتين(٢) أمكننا أن نلقي نظرة."

غاص غالين ثلاث مرات بعد حصوله على تجهيزات الغطس الجديدة. وبعدما صعد الى سطح الماء للمرة الثالثة قال: "يقتضي أن تغيروا زاوية النفق." فلم يقتنع بكلامه أحد من الاعضاء الستين في الجهاز التنفيذي للشركة، فغاص غالين للمرة الرابعة وعاد حاملاً قطعة من الصخر بغية اقناعهم وقال: "ان هذه القطعة لم تكن عائمة."

أثبتت تقارير غالين أنه كان مصيباً. فقال له جيبرا: "ان شركة كهرباء فرنسا في حاجة الى شخص مثلك." كانت تلك الكلمات تشجيعاً له فعمد الى تأسيس "الشركة العامة للاشغال البحرية، سوجترام" وهي اول تعاونية للغطّاسين المحترفين، برأس مال مقداره ٦٠ دولاراً فقط، إضافة الى "رئتين مائيتين"، وشعار "نحن مستعدون لكل عمل في كل مكان تحت الماء."

الاطفائي ديفيد ريفاس (الى اليسار) قرب الحجرة التي أنقذت حياته، والى جانبه بيل بنسكي المدير الطبي في "المركز الامريكي للضغط العالي."

مغامرات متلاحقة - اشترى غالين وشركاؤه مركباً جانحاً فعوموه وأرسوه في نهر السين كمكتب يديرون فيه أعمالهم. ومرت ستة أشهر لم يروا خلالها زبوناً، وبعدها بدأت ترد عليهم طلبات قليلة لاعمال صغيرة. وطلبت شركة "لويدز" للتأمين في لندن من غالين أن يفتش لها عن قرط يحوي ٤٠ حبة ألماس أضاعته زبونة فيما كانت تتمشى على ضفة "القناة الكبرى" في قصر فرساي. ويتذكر غالين: "لم يتجاوز العمق ثلاثة أمتار. لكنَّ القناة كانت مملوءة بالطين السائل. ورحنا نبحث في ظلام مطبق حتّم علينا التفتيش بين ملايين الحلازين التي تعادل قرط الالماس حجماً. ومع ذلك تمكنا من العثور عليه بعد ساعتين من الجهد الشاق."

ازدهرت أعمال "سوجترام" بدافع أخبار أعمالها الجريئة التي أحدثت ثورة في صناعة الغوص التجاري. وفي أوائل ١٩٥٨ أثبت غالين للمرة الاولى، بمساعدة الطبيب في البحرية الفرنسية

(٢) Aqua-Lungs وهي ماركة مسجلة.

Photo: Jim Estrin / N.Y. Post

الدكتور بيار كبارو، فائدة مزيج من الأوكسيجين والنيتروجين (الازوت) في التنفس خلال الغوص في المياه الضحلة. لقد ظل ساعة كاملة على عمق ٤١ متراً من دون أن يشكو اضطرابات الطّفو المعهودة عند الصاعدين من الاعماق. والمزيج لم يحسّن القدرة على الغطس لكنه أتاح لغطاسي "سوجترام" البقاء تحت الماء وقتاً أطول من سائر الغطاسين التقليديين الذين يرتدون بذلات غوص ثقيلة ويستخدمون الهواء. وما لبثت الشركة ان اشتهرت في أوروبا بابتكاراتها.

عام ١٩٦٤ قرر غاليرن أن ينتقل الى سيتي آيلند في نيويورك وينشىء شركته الخاصة "الشركة الدولية المحدودة لمتعهدي الاعماق." كانت الأشهر الاولى من اقامته في الولايات المتحدة في غاية الصعوبة. وكان عليه أن يجبه عالماً جديداً من دون معين وهو يجهل اللغة وقواعد النظام التنافسي الشرس. لكنّ شهرته كانت سبقته، فانهالت عليه العقود.

خلال العام ١٩٦٨ كان التنقيب عن النفط في البحار أوجد فرص عمل للغواصين القادرين على الغوص في مياه أكثر عمقاً. فشرع غاليرن يفكر في ابتكار تكنولوجي جديد للعمل في الاعماق: مركبات ربوطية وغوّاصة. وبدأت مغامرته التقنية العالية عام ١٩٦٩ لدى حيازته "بيفر م ك ٤" الغواصة القادرة على العمل في عمق ٦٠٠ متر والمجهزة بمعدات نموذجية شملت جهاز تلفزيون مقفل الدائرة ومسجلات فيديو وآلات تصوير ٣٥ ميليمتراً وجهاز سونار لاكتشاف العوائق تحت الماء وتجنبها.

تلت هذه مركبة الغوص "بيسّز ٦" التي تصل الى عمق ٢٥٠٠ متر، لكن "إبولار" التي تملكها الحكومة الفرنسية هي الاكثر تعقيداً، فهي لا تحتاج الى طاقم وتجوب الاعماق طليقة حتى عمق ٦٠٠٠ متر لانها موجهة من بعد. وهذه القطعة النادرة تمكن برمجتها لرسم مسح متعامد على شبكة متسامتة بوساطة مرشد لاسلكي، وتغيير خط سيرها في أي وقت بارسال اشارات من السفينة المساندة، وهي تطفو على سطح الماء حالما ينقطع الارسال.

كنز ذهب – تكفي سفينتان، واحدة على الشاطىء الغربي للولايات المتحدة والثانية على الشاطىء الشرقي، للتوجه الى أي بقعة في المحيطات وإنزال العربات الغاطسة والغواصين والمعدات الالكترونية للعمل على تفحص آلات التنقيب واستكشافها وانقاذ مَن عليها، واجراء المسح الاوقيانوغرافي والجيوفيزيائي. يقول غاليرن: "عملنا في كل مكان من العالم، غصنا في البراكين وفتشنا عن الذهب تحت الماء وأنقذنا سفناً غارقة ودرسنا سمك القِرش وتفحصنا معامل الطاقة الذرية وأصلحناها، حتى اننا انتشلنا أسلحة سرية من قاع البحر."

عام ١٩٨٤ أسس غاليرن في برمودا شركة "منقذي الاعماق" المتخصّصة بانتشال السفن الغارقة والتي تطوّر في الوقت الحاضر تقنيات جديدة لاسترداد السفن القابعة في القاع منذ القرن

السابع عشر. وقد أثير اهتمامه بالتفتيش عن الكنوز الغارقة إثر تلقيه اتصالاً في العام ١٩٨٠ من فرد أردولينو، قبطان سفينة الصيد "أمبرجاك ٦" الذي فاتحه في أمر تخليص السفينة "ريبوبليك" التي كانت تحمل ذهبا وغرقت في كيب كود عام ١٩٠٩.

أمهل غاليرن شهراً واحداً فقط - يونيو (حزيران) ١٩٨٦ - للعثور على الذهب قبل أن تكلف شركة أخرى انتشاله. وقد اغتنم الفرصة ليستخدم فريقه جهاز غوص مشبعاً يتسع لاربعة غواصين ويحفظهم في غرف مكيفة الضغط لمدة ثلاثين يوماً، متفادياً بذلك اضطرابات الطفو المتكررة التي تستدعي عمليات ازالة الضغط تدريجاً من جسم الغطاسين. ربطت حجرة الغوص بالمعدات على ظهر السفينة "توين دريل" المساندة. وفي كل مرة كان الغواصون ينقلون منها الى غرفة الضغط المكيّفة. وقد دهم الوقت غاليرن فلم يستطع العثور على الذهب. لكنه قال معلقاً: "لقد تعلمنا الكثير."

وتابع: "نحن ننجز أعمالاً لم يخطر ببالنا امكان تحقيقها قبل عشر سنين، لان عملية الغوص تتطور بتكنولوجية عالية تتصل بكل حقول المعرفة." وأحد هذه الحقول هو الطب.

بدأ غاليرن دراسة غرفة الضغط العالي الطبية التي استخدمت لمعالجة اضطرابات الطفو الطارئة منذ بدأت شركات التنقيب عن النفط في عرض البحر تحض الغواصين على النزول الى أماكن أكثر عمقاً. يقول غاليرن: "لم يكن في وسعنا تحقيق ذلك لولا هذه الغرف التي تتيح اجراء المعالجة الطبية حين الاقتضاء."

القبطان نيمو - يدل غاليرن زائريه باعتزاز على غرف ازالة الضغط في "المركز الامريكي للضغط العالي" في مقر شركته في سيتي آيلند. وداخل الغرف يدرَّب الغواصون كما لو كانوا في قاع البحر، وفي الامكان استخدامها لمعالجة مرضى المستشفيات معالجة متخصصة بحالات الغنغرينا والتهاب نِقي العظام والتسمم بأول أوكسيد الكربون. ويشرح الدكتور رولاندو سانشيز الطبيب المسؤول عن المعالجة، قائلاً: "ان المعالجة تحت ضغط ثلاث وحدات جوية وأثناء استنشاق أوكسيجين نقي، تضاعف تزويد الجسم أوكسيجيناً. انها معالجة رائعة!" وكثيرون مدينون بحياتهم لهذه الغرف.

أحد هؤلاء هو نيل سكويتيري، سائق سيارة تنظيفات في مدينة نيويورك. في الرابعة والنصف من صباح ٢٧ يناير (كانون الثاني) ١٩٨٤ أدار جهاز التدفئة داخل سيارته من دون ان يدري أن تلفاً في عادم الصوت يسرب غاز أول أوكسيد الكربون الصرف الى حجرة القيادة. وبعد ثلاث ساعات وجده زميلان فاقداً الوعي فطلبا سيارة اسعاف. وعندما وصلت لم يتبين فيه الفريق الطبي أي علامة للحياة. ومع ذلك عالجه بتدليك القلب لاكثر من ساعة ونجح في ابقاء قلبه ينبض الى أن وصلت به سيارة الاسعاف الى مركز المعالجة بالضغط العالي في الشركة.

يقول غلين بتلر مدير غرفة الضغط العالي: "وصل الينا في حالة قصور قلبي،

ولم نتوقع أن يعيش. واذا عاش فسيكون قد لحق بدماغه ضرر فادح."

وُضع سكويتيري في غرفة الضغط للمعالجة الفائقة التي تجرى لمن غطسوا الى عمق ٤٠ متراً تحت الماء، فينشّقون أوكسيجيناً نقياً بضغط يعادل ثلاثة أضعاف الضغط العادي.

في الاولى بعد الظهر فتح سكويتيري عينيه وكانت ملكاته العقلية سالمة، فغادر المستشفى في ٢٩ يناير (كانون الثاني) في تمام عافيته.

واتفق لاحقاً في تلك السنة أن شب حريق في دكان في حي برونكس في نيويورك. امتدت النار بسرعة وأصيب أحد رجال الاطفاء اصابة بالغة لتنشقه كمية كبيرة من أول أوكسيد الكربون. فسحبه رفاقه من احدى البنايات المجاورة وهرعوا به في طائرة مروحية الى سيتي آيلند للمعالجة في مركز الضغط العالي لدى "الشركة الدولية المحدودة لمتعهدي الاعماق."

يقول الدكتور سانشيز: "ازدحم المكان برجال الاطفاء. في ذلك اليوم أدرك سكان مدينة نيويورك مدى أهمية مركز الضغط العالي كجزء من نظام جهاز الطوارىء في مدينتهم. وقد بدأوا - هم وسواهم في أنحاء العالم - يدركون أن القبطان نيمو لم يعد مجرد أسطورة بل تجسّد رجلاً فرنسياً حقيقياً جعل من الخرافات وقائع.

خورخي فالوس

فاعلة خير!

عجز رجل عن ادارة محرك سيارته فاتصل بمرأب طالباً ونشاً يقطر سيارته "البويك" الحمراء الداكنة المتوقفة في قلب المدينة التجاري وتحديداً قرب أحد العدادات الرسمية في الشارع الفلاني، ويودعها ميكانيكياً أعطى عنوانه.

ركب الرجل سيارة أجرة عائداً الى مكتبه حيث تلقى بعد قليل مكالمة هاتفية من المرأب تعلمه أن سائق الونش لم يجد السيارة. فهب الى حيث ترك سيارته ليتقصى الامر، فرأى الونش متوقفاً قربها في المكان الذي حدده.

قال معاتباً سائق الونش: "ألا ترى السيارة أمامك بكامل مواصفاتها؟ فلمن ظننتها؟"

فرد هذا أنه حسبها فعلا السيارة المطلوبة، لكنه عندما كان منهمكاً في ربطها وصلت امرأة وأصرت على أن السيارة تخصها.

ثم لاحظ الرجل قصاصة ورق على الزجاج الامامي تحت المساحة. وقرأ فيها: "كان الونش على أهبة أن يأخذ سيارتك للحجز، فوضعت قطعة نقدية في العداد وأنقذتك. فاعلة خير."

ج.ج.

الكلام رخيص الا اذا وكلت محامياً.

و.م.

«غريبٌ في بيتنا»

فجأة لم يعد زوجي ذاك الرجل الذي عرفته لسنوات

تكلمنا عنه كثيراً. وها قد حصل. نحن متقاعدان.

ولكن عمَّ كان الكلام حقيقة؟ المال. أسيكون منه ما يكفي؟ لدينا قطعة أرض. تساءلت طويلاً، وقلقت بصمت. لقد قرأت، مثل الجميع، عن شجون التقاعد. كتب متهكم: "ما هو التقاعد؟ زوج مضاعَف ونصف راتب." ضحكت كثيراً عندما قرأت هذه الكلمات.

ولكن أسيكون ذلك أمراً مضحكاً حقاً؟ أسيكون زوجي فيِ كل جزء من المنزل يخبلني؟ أسيكون ضجراً؟ قرأت مرة، بقلب واهن، أن بعض الرجال يموتون من فور تقاعدهم.

الامَ نحن واصلان؟ السبت والاحد لا يحسبان طبعاً، ولكن هنا مشهد من ذلك الاثنين الاول:

يأتي الى المطبخ فاركاً يديه بخفة، مسربلاً بصدرة صوفية منسجمة مع سرواله القاتم. حذاؤه كمرآتين. انه كالخارج من مجلة ازياء. وأنا أشبه بقايا تصفية منزلية من السلع المستعملة غير المرغوب فيها: خف عادي وثوب قديم.

أجرع القهوة محاولة فتح عيني. بدأ

© 1982 by Hannah Sampson. Condensed from Los Angeles Times (June 25, '82), Los Angeles, Calif. Illustration: Alan Olson

يفتش في البراد. عمَّ يبحث؟ عن السمك المقدد؟ أليس لدينا سمك مقدد؟ صباح الاثنين؟ أيظن أننا في فندق الاحلام؟ لكنني لم أشأ أن أفسد أول أيام حريته، وهكذا حضّرت عجة بيض لذيذة.

قبل أن ينهي احتفاله الاول بالتقاعد وقفت في الباب احدى السيدات المتاجرات بالاراضي. حسناً هذا الصباح لست وحدي. حيا السيدة ببشاشة واستغرق معها في حديث اجتماعي شائق. أهذا زوجي حقاً؟

تمر الايام، وهو يزداد غرابة. أما أنا فأعترف بأنني لم أعد واثقة كما كنت مما سيفعل بعد. عندما تزورني صديقتي على غير انتظار لاحتساء فنجان قهوة والدردشة قليلاً، يسحب الجريدة عن الكرسي وينحني ويومىء اليها بالجلوس كأنما هو أحد فرسان الكتب. يقول مبتسماً: "فكري في أنني لست هنا." أما صديقتي فيتملكها اضطراب اذ كانت تحيته المعتادة "مرحباً" شاردة.

ضَجِرٌ؟ ليس زوجي ضجراً حقاً. انه سعيد جداً. يظل يقول لي: "هاتِ، دعيني أفعل ذلك." لقد تحرّر أخيراً من حياة عمله، فانشغل بخطط وأعمال... وبي.

ها هو قد ارتدى بذلة أنيقة ولمع حذاءه وها أنا أسرّح شعري قبل أن أدخل المطبخ.

كأنما نحن ننتظر زواراً.

أجدني أفكر فيه، في جميع فترات النهار، من هو؟ هل هو حقاً مهتم بكل الاعمال اليومية التافهة كما يبدو لي؟ كلِ تلك المهمات الطفيفة التي تمنعت طويلاً عن ازعاجه بها؟

قال بغتة ذات صباح: "الآن، وأنا أراك وقتاً طويلاً من النهار، أشعر بأنك لست المرأة التي ظننت أنك كنتها."

ها قد وصلنا الى النهاية انه يكرهني! أنا لست ذاتي. أنا غريبة حتى عن نفسي.

سألته بقلب واهن: "إلى أي حد أنا مختلفة؟"

سعل وابتسم بخجل وأجاب: "لا يمكنني التحديد. كل شيء مختلف. كأننا التقنيا لتونا وأنا أسعى الى نيل اعجابك."

حنة شمشوم

طلاب الفيديو

فيما كنا ننتظر وصول الاستاذ في الصباح الباكر راح أحد الطلاب يتحدث عن حفلة كبيرة حضرها في الليلة الفائتة. وكان بادياً انه تأخر في النوم وخرج مسرعاً ليدرك صفه، اذ فيما وضع كل الطلاب آلاتهم الحاسبة على طبقاتهم راح هو يفتش في حافظة كتبه، ثم أخرج جهاز التحكم بالفيديو من بُعد.

ك.ل.

عالج عملك بجدية ولكن عامل نفسك برفق.

ث.و.م.

فضائح التحاليل المخبريّة

صحة الملايين وحياتهم معرضتان للخطر بسبب فحوص مخبرية خاطئة وقد تكون أنت واحداً منهم

ينفق الامريكيون مليارات الدولارات سنوياً لاجراء فحوص مخبرية حيوية في سبيل تشخيص الامراض والكشف عن العلل المهلكة. ولكن في بعض الاحيان تأتي نتيجة الفحوص خاطئة، وقد تكون الاخطاء قاتلة:

□ شعرت باميلا باريش، من مدينة سياتل في ولاية واشنطن، بتوعك خفيف، فاستشارت أحد الاطباء الاختصاصيين بامراض النساء في مايو (أيار) ١٩٨٠. شخّص الطبيب أنها مصابة بمرض معيَّن، فأجرى لها فحص "باب" وارسل الى المختبر شريحة زجاجية عليها عيِّنة للفحص. فكان تقرير المختبر أن ليس هناك أي أثر للسرطان. وإذ لم تزُل العلة في نوفمبر (تشرين الثاني)، استشارت باميلا طبيباً ثانياً أظهر له الفحص المجهري نشوء سرطان في عنق الرحم.

Photo: © Ed Lettau / Medichrome

فأجريت للمرأة جراحة استئصال الرحم وعولجت بالاشعة، ولكن كان فات الاوان. فقد عجز الطب عن وقف امتداد المرض، فتوفيت المرأة عن ٣٣ سنة في فبراير (شباط) ١٩٨٣. ولو أصابت نتيجة الفحص الاول لتم اكتشاف السرطان قبل ستة أشهر ولقدِّر لباميلا باريش ان تبقى قيد الحياة.

□ في مونتانا يحتّم قانون الولاية أن يخضع المواليد الجدد لفحص الغدة الدرقية. وقد ظلت غدة أحد المواليد ثلاثة أشهر من دون فحص، فلم يشتبه باصابته بقصور في وظائفها، ولم يفد الفحص المخبري عن مستوى منخفض لهرمون "ثيروكسين" الذي تفرزه مما يشكل تحذيراً واضحاً من قصور وراثي في الغدة الدرقية. فنتج من هذا الاهمال الفاضح أن أصيب الطفل بعطل دائم في الدماغ والعضلات والأعصاب.

□ في مانسفيلد بولاية لويزيانا استؤصلت شامة من غايل هنتر وأرسلت الى مختبر حكومي أفاد أنها غير خطرة. وبعد ثلاث سنوات استأصل الجراح كتلة سرطانية كبيرة من تحت إبطها الايمن، وأثبت الفحص وجود ورم قتامي (★) هو نوع خبيث جداً من السرطان. ولكن كان فات الاوان لانقاذ هنتر فماتت بعد ثمانية اشهر.

تقرير مقلق - أعلن السناتور وليم كون عضو لجنة فرعية أولاها مجلس الشيوخ أمر التدقيق في الفحوص الطبية: "أن الفحوص الخاطئة أصبحت تشكل خطراً كبيراً على الصحة." وهذه المشكلة ليست أمراً جديداً، لكنها ساءت في السنوات الاخيرة. فقد ازدادت الفحوص على نحو هائل، نظراً الى تطوير اختبارات جديدة وأجهزة الكترونية فاعلة للفحص بكلفة معتدلة. ويتيسر للاطباء الآن شراء أجهزة مدمجة تمكنهم من اجراء الفحوص في عياداتهم.

ولكن ما هي نسبة تعدد الاخطاء؟

ليست هناك احصاءات وطنية، ومن المدهش أن أحداً لا يعرف عدد المختبرات العاملة. هناك نحو ١٢ ألف مختبر تخضع لرقابة مديرية تمويل الرعاية الصحية. وتعنى المديرية بوضع برامج لتقويم أداء المختبرات، لكنها تفوض الى الدوائر الصحية في الولايات الترخيص للمختبرات بالعمل. ان المختبرات التي لا صلات تجارية لها بولايات أخرى تخضع فقط للاشتراع المعمول به في الولاية حيث تعمل. وهناك تباين كبير في أنظمة الولايات، اذ ان ثلاث عشرة ولاية فقط تنظم عمل مختبرات عيادات الاطباء التي يراوح عددها بين ٨٠ ألفاً و١٠٠ ألف. وقد تكون هذه مختبرات صغيرة تجري فحوصاً بسيطة للبول والدم، وقد تكون مختبرات متقنة تضاهي المختبرات العاملة تجارياً.

مع أن المختبرات الكبيرة تخضع لسلطة مديرية تمويل الرعاية الصحية، فمن المدهش أن الادارة لا تنظم جداول بشروط الوقاية والفاعلية المطلوبة ولا تنظم تقارير دورية في شأن المختبرات. ولكن في أواخر أغسطس (آب)، استجابة لطلب من اللجنة الفرعية في مجلس

(★) Malignant melanoma

الشيوخ التي تحقق في الفحوصات، قدمت المديرية تقريراً مقلقاً عن انجازات ١٤٥٠ مختبراً تعمل بموجب برنامجها.

ضبط المختبرات - خلال فترة السنتين التي انتهت في يونيو (حزيران) ١٩٨٦ قلّصت صلاحية ١٨٦ مختبراً - أي ١٣ في المئة من المجموع - لاجراء بعض الفحوص المعينة، ومنها ٧٨ مختبرا لعدم كفايتها و١٠٨ مختبرات أخرى فضّلت التنازل طوعاً عن حقها بدل التعرض للملاحقة القانونية. ولا أحد يعلم كم من الاخطاء ارتكبت في تحليل نتائج الفحوص أو ما هو عدد الاشخاص الذين ذهبوا ضحايا لهذه الاخطاء.

كانت "مراكز مكافحة الامراض" في أتلانتا بولاية جورجيا تمتحن بانتظام مؤهلات المختبرات في الولايات. فتعمد أربع مرات سنوياً الى ارسال عينات الى كل مختبر لاجراء سلسلة من الفحوص عليها، وتبعث النتائج الى مراكز المكافحة التي تقارنها بالمقاييس الصحيحة المقررة.

في تقرير لمراكز المكافحة عام ١٩٨٦ عن التحاليل الكيميائية للدم، تبين أن ٤٧ مختبراً - أي ثمانية في المئة - اخطأت في تحديد كمية الكلسيوم. واذا بلغت زيادة الكلسيوم حداً مرتفعاً معيناً، نتج من ذلك توقف عمل الكلى فالصدمة والموت. وأخفق أربعة في المئة من المختبرات في تحديد كمية الغلوكوز في الدم، وهو الفحص المتبع لكشف داء السكري.

ربما كانت نسبة الخطأ هذه - أربعة في المئة - غير ذات أهمية في نظر المواطن العادي، لكنها تعني عدداً هائلا من الفحوص الخاطئة. وتقدر شركة "إ. إ. دوبون دو نيمور" التي تصنع معدات اختبارات طبية أن ستة مليارات فحص أجريت في الولايات المتحدة عام ١٩٨٥، منها ثلاثة مليارات في المستشفيات و١،٨ مليار في المختبرات التجارية ومعظم ما تبقى في عيادات الاطباء. فلو أخذنا بنسبة أربعة في المئة من الخطأ لكان هناك ٢٤٠ مليون فحص خاطىء أو لا فائدة منه أو مسبب للاذى.

لكن مراكز المكافحة أوقفت فحص الكفاية في أغسطس (آب) ١٩٨٦ في سبيل الاقتصاد في النفقات أساساً، واستعاضت منه باخضاع المختبرات لفحوص تجريها وكالات خاصة. فاذا أخفق أحد المختبرات في ثلاثة من أربعة فحوص تنظم كل ثلاثة أشهر - وفي هذا النظام كثير من التساهل - فانه يفقد الحق في اجرائها.

ان المختبرات القليلة التي تخفق في هذه الفحوص تعاني مشاكل فادحة حقاً. فالمختبر في هذه الفحوص يدرك أنه يخضع لامتحان رسمي، لذلك تكون النتيجة قياساً لدقته القصوى وليس لدقته العادية.

وقد عمدت مراكز المكافحة الى اثبات ذلك بطريقة "الاختبار الاعمى"، اي بارسال عينات غير معرف عنها بملصقات. وفي أحد هذه الفحوص للكشف عن تعاطي المخدرات أخفقت ستة مختبرات من أصل ستة في الفحص

الاعمى، بعدما نجحت جميعها في فحوص الكفاية.

لا عذر للخطأ – لماذا يخفق هذا العدد الكبير من المختبرات؟

هناك اولا عمليات غش رديئة بحيث تفرغ العينات في المرحاض ويصار بعدها الى تزوير النتائج.

أما الاسباب الاكثر شيوعاً من الفحوص الزائفة فهي الاخطاء التي تنتج من عدم الدقة في تعيير الآلات، واستخدام مواد كيميائية تالفة في الفحص، وعدم كفاية تقنيي المختبر أو تعبهم، وأخطاء كتابية كابدال أسماء المرضى على العينات.

وهناك فحصان رئيسيان، هما فحص كولسترول الدم وفحص "باب" النسائي، تنتج منهما مشاكل خاصة. فالاطباء يعمدون الى خفض كولسترول الدم بهدف تخفيف خطر الاصابة بأمراض القلب، وهذا يحتّم الدقة في تحديد نتائج التحاليل. ولكن في اختبار أجرته "الكلية الامريكية لعلم الامراض" بهدف تحديد كفاية ٥٠٠٠ مختبر، جاءت تحاليل ٨٠٠ منها بعيدة عشرة في المئة عن النتائج الصحيحة، وتحاليل ٤٠٠ أخرى بعيدة بنسبة ١٥ في المئة. وهذه النتائج ضُمّنت دراسة أجراها هربرت نايتو من عيادة كليفلاند في أوهايو بطلب من معاهد الصحة الوطنية. وعلى الاثر نظمت هيئة التوعية ضد الكولسترول في تلك المعاهد حملة للحض على تقليص مجال الخطأ.

يستخدم فحص "باب" للكشف المبكر عن سرطان الرحم الذي يقضي على ٧٠٠٠ امرأة في الولايات المتحدة سنوياً. ونسبة الشفاء من هذا المرض عالية اذا اكتشف السرطان وهو لا يزال موضعياً أو في حال سابقة لتكونه. غير أن دراسة عينة "باب" تحت المجهر تشبه خوض متاهة معقدة. وفي امكان العين المدرّبة أن تكشف تركيبة الخلايا الشاذة، ولكن قد يحدث ما يلهي تلك العين الثاقبة فتخطىء في تقويم النتيجة.

كثير من مختبرات تحاليل "باب" تحمّل التقنيين لديها أعمالا فوق طاقتهم، وهناك مختبرات أخرى تدفع أجراً مقطوعاً لكل فحص مما يشجع العمل السريع فتأتي النتائج خاطئة. وبحسب دراسة "الكلية الامريكية لاطباء التوليد والامراض النسائية" فان بين عشرين وأربعين في المئة من فحوص "باب" تأتي نتائجها سلبية خاطئة. وذلك لا يدل على أن النساء المعنيات مصابات بالسرطان، انما قد يكنّ في حال تدعو الى العناية. والنتائج السلبية الخاطئة قد تؤدي بالمصابة الى فاجعة.

جانيس جونسون زوجة وأم في احدى ضواحي واشنطن، أجري لها فحص "باب" في أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٨ وأكتوبر ١٩٧٩، وجاءت النتيجتان سلبيتين. ولكن في فبراير (شباط) ١٩٨٠ أظهر التشخيص أنها مصابة بالسرطان، وتوفيت بعد سنة. وتبيّن لاحقاً أن فحصي "باب" السابقين كانا ايجابيين، والخطأ المزدوج ارتكبه التقني الوحيد في المختبر المكلّف اجراء فحص "باب".

طرق الوقاية – ماذا يجب عمله لمعالجة هذه المشكلة؟

من الواضح أنه يجب اصلاح الخلل في القوانين المنظّمة. فالحكومة الاتحادية لا تطلب اختبار كفاية للمختبرات التي تُجري فحوص "باب". ثم ان الحكومة الاتحادية لا تفرض حداً أقصى لعدد الفحوص التي يجريها المختبر، وهذا يشكل اهمالا كبيراً. وعلى الولايات أن ترفع مستوى العمل في جميع مختبراتها الى مقياس المختبرات الاتحادية.

وامتحان الكفاية حقل آخر يحتاج الى اصلاح. فليست هناك وكالة تستخدم "الاختبار الاعمى" بانتظام لانه "مزعج" ومكلف. لكن هذه الطريقة متفوقة وتستحق أن ترصد لها موازنة اضافية. فلا شيء يضاهيها في نقل صورة صادقة عن كفاية المختبر، ولا شيء مثلها يبقي المختبر في حال تيقظ دائم. ومنذ وقت طويل والمختبرات المرموقة تجري الاختبار الاعمى تلقائياً.

لكن غاية الاطباء يجب أن تكون حماية المرضى، وعلى المرضى أن يسعوا الى حماية أنفسهم ويدركوا أن الفحوص ليست خالية حتماً من الاخطاء. فاذا لم تبد نتيجة الفحص منسجمة مع مؤشرات مرضك أو تاريخك الطبي، فيجب أن يساورك شك في صحتها. وقبل أن تخضع للمعالجة اطلب من طبيبك اجراء الفحص في مختبر آخر.

اسأل طبيبك عن المختبر الذي يعتمده وماذا يعرف عنه وهل أجري اختبار أعمى لذلك المختبر. في بعض الاحيان يبعث الاطباء عينات المريض ذاته الى مختبرين لضبط أي تباين خطير قد يحصل في نتائج الفحص.

وأهم ما يجب أن تتذكره أن الهدف من الفحص هو المساعدة في التشخيص، لكنه ليس بديلا منه. وعندما يكون هناك شك في النتيجة فما عليك الا أن تعيد اجراء الفحص.

اروين روس

تعريفات

التعاون: عملية ينجز بوساطتها شخصان امرأ ما وكل منهما يعتقد أن هذا الامر يخصه.

الثقيل الظل: شخص عندما تسأله كيف حاله يخبرك.

الرأي العام: ما يظن الناس أن الناس يظنونه.

م.ت.ل.

إقرأ تُشكر

عندما وبّخ الممثل الهزلي الامريكي جاي لينو أمينة صندوق السوبرماركت لانها لم تشكره عند الدفع أفحمته بالقول: "اقرأ كلمة شكراً على الايصال!"

The sky is still our limit

45 % of total newsweekly magazines sales in Greater Beirut Metn and Kesrouan extract of a bookshop survey conducted by C.E.P.I. in November 1985

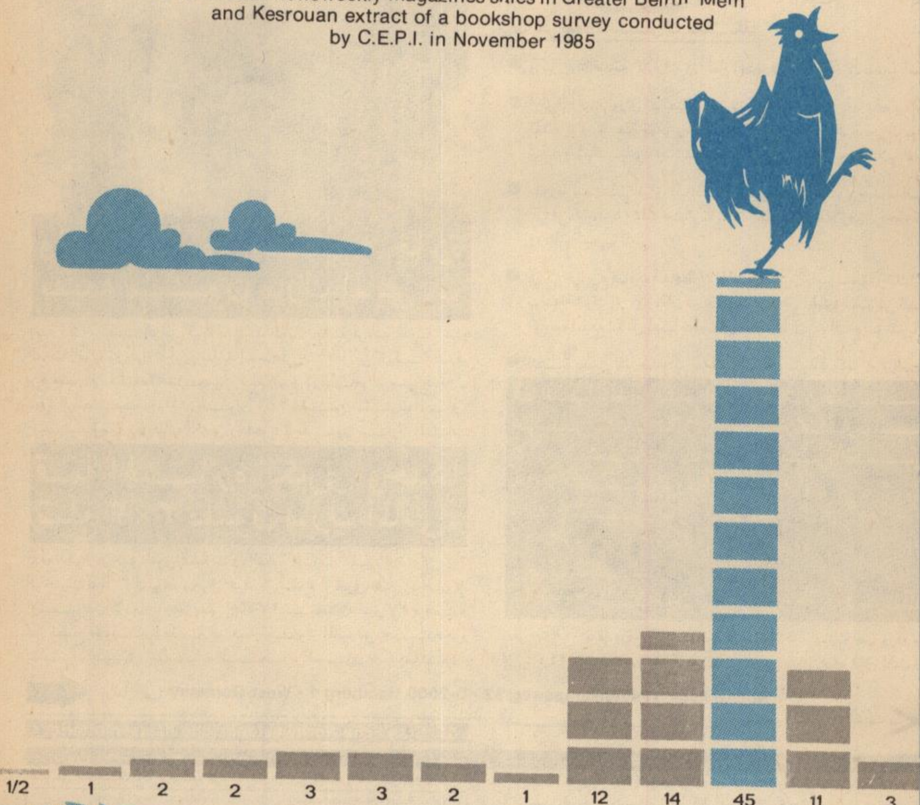

النهار العربي والدولي

an nahar arab & international

مجلة كل لبنان، مجلة كل اللبنانيين

exclusive advertising representative **TAMAM S.A.L**

دورة اليانصيب الوطني رقم ٨١ لشمال ـ غرب ألمانيا
خاضع لرقابة الدولة

والآن: كل يوم جمعة جائزة بقيمة مليون مارك ألماني ...

يقدم لكم اليانصيب الوطني لشمال ـ غرب ألمانيا، الخاضع لرقابة الدولة، هذه الفرصة الفريدة و جوائزاً أخرى عديدة. إنه مدهش حقا! فأقل من كل ثالث رقم يربح مضمونا خلال مدة السحب. ويبلغ مجموع الأرباح التي ستوزع خلال دورة اليانصيب رقم ٨١ حوالي ٢٠٦ مليون مارك ألماني، حيث تبلغ قيمة الجوائز الكبرى وحدها ٣٠ مليون مارك ألماني.

قيمة الجائزة الكبرى وحدها تبلغ ٣×٢ مليون مارك ألماني.

تدفع الجوائز بإحدى أقوى العملات في العالم "المارك الألماني". تسري دورة اليانصيب لمدة ٢٧ أسبوعا. ويجرى سحب كل أسبوع كما يجرى سحبان إضافيان في الأسبوعين الأخيرين. وهذا يعني إجمالا ٢٧ سحبا وبالتالي ٢٧ فرصة لكي تصبح مليونيراً! وتتزايد قيمة الجوائز المالية من سحب لآخر. يشرف على كل عمليات السحب مراقبون حكوميون.

. Staatliche
rdwestdeutsche
assenlotterie

"إليك عرضنا الخاص: كيف تصبح مليونيرا!"

ربح مضمون لكل ثالث ورقة تشتريها
خلال الستة أشهر لمدة سريان اليانصيب
٢٧ سحب = ٢٧ فرصة للربح!

Nordwestdeutsche Klassenlotterie Staatliche

إن طريقة الاشتراك سهلة:

- إرسل إلينا قسيمة الاشتراك في أسفل الصفحة ـ أو رسالة إذا فقدت الق
- إرفق بها قيمة أوراق اليانصيب التي تريد أن تشتريها إما نقداً بالبريد ا المسجل، أو بواسطة حوالة بريدية دولية، شيك عادي، شيك مسحوب بو بنك أو شيك سياحي. ويمكنك أيضا دفع قيمة ورقتك بعد إستلام الف
- بدورنا نبعث لك أوراق اليانصيب والمعلومات الإضافية وجدول الس الرسمي. ثم بعد كل عملية سحب نرسل إليك القائمة الرسمية للأرقام الرابحة و ورقتك للسحب التالي.
- في كل مرة تربح فيها، سوف نخطرك بذلك في غضون أيام. وستحوّل إليك ا بواسطة شيك إلى أى مكان أو عنوان تريده. إن الجائزة معفاة من الض الألمانية وتدفع بكامل قيمتها بدون أى حسم. كما أن إسم الرابح يبقى سريا
- إننا نضمن لك خدمة سريعة موثوقة وسرية في كافة أنحاء العـ

لهذا السبب فإنه أمر مشوق لكم بالإشتراك في هذا اليانصيب
جوائز مالية بقيمة ٢٠٦ مليون مارك ألمـ
٣ × ٢ مليون مارك ألماني الجائزة الكبر
١٩ × ١ مليون مارك ألماني
٥ × ١ مليون مارك ألماني أو
٥٠ × ١٠٠ ٠٠٠ مارك ألماني
وإضافة إلى ذلك:
٢٤٠ ٣٩٠ جائزة أخرى تصل إلى ٥٠٠ ٠٠٠ مارك ألمـ

تطرح ٦٠٠ ٠٠٠ ورقة يانصيب فقط للبيع. من هذه الستمائة ألف ورقة يـ
٢٤٠ ٤١٧ رقم في دورة السحب: وبذا فإننا نضمن ربحا لكل ثالث

إرسل إلى: Walther Ruge · Heidenkampsweg 32 · D-2000 Hamburg 1 · West Germany

قسيمة الاشتراك

81. Staatliche Nordwestdeutsche Klassenlotterie

دورة اليانصيب الوطني رقم ٨١ لشمال ـ غرب ألمانيا * يجرى السحب ابتداء من ٢٣ سبتمبر ١٩٨٨ لغاية ٢٣ مارس ١٩٨٩

إضمن لنفسك الآن فرصة الربح! إرسل القسيمة اليوم!

إرسل إلى: Walther Ruge · Heidenkampsweg 32 · D-2000 Hamburg 1 · West Germany

الرجاء الكتابة باللغة ○ الألمانية ○ الإنجليزية ○ سيد ○ سيدة ○ آنسة
إملأ القسيمة من فضلك بحروف واضحة

First name الإسم
Surname اللقب
Street الشارع
P.O.B. ص . ب
City المدينة
Country الدولة

Charge my ☐ DINERS CLUB ☐ AMERICAN EXPRESS ☐ EUROCARD ☐ VISA
Name of Card Holder
Acc. No.
Expiration Date
Signature

إربح ١٠٠ ٪ بشراء ورقة كاملة، أو ٥٠ ٪ بشراء ١/٢ ورقة أو ٢٥ ٪ بشراء ١/٤
ولا تنسى: على أى حال، كل ثالث رقم يربح مضموناً! جرب حـ

الرجاء ذكر عدد الأوراق التي تريد طلبها بهذه القسيـ

	* أسعار الصرف للدولار الأمريكي أو الجنيه الإسترليني تقديرية فقط. للإطلاع على الأسعار بالتحديد الرجا الإتصال بمصرفك المعتمد.	
١/١ ورقة	٧٤١ مارك ألماني (حوالي ٤٥٨ دولار أمريكي أو ٢٤٠ جنيه إسترليـ	
١/٢ ورقة	٣٨١ مارك ألماني (حوالي ٢٣٨ دولار أمريكي أو ١٢٤ جنيه إسترليـ	
١/٤ ورقة	٢٠١ مارك ألماني (حوالي ١٢٨ دولار أمريكي أو ٦٤ جنيه إسترليـ	

* سوف تحوّل إليك الجائزة سريا بواسطة شيك إلى أى عنوان أو بنك في أى بقعة من أنحاء ا
* يقبل دفع قيمة الورقة بواسطة شيكات عادية بالمارك الألماني أو الجنيه الإسترليني أو الد الأمريكي، أو بواسطة حوالة مصرفية، أو بطاقة أمريكان إكسبريس، داينرز كارد، يورو أكس، ماستر كارد أو ڤيزا.

تدفع جميع الجوائز لكل عمليات السحب متضمنة رسوم البريد الجوي ومرفق بها قائمة الأرقام الر بعد كل سحب. ولا تستوجب أية تكاليف إضافية! تعد الورقة صالحة فقط إذا كانت قانو

AM1

سياجات

السياج الذي يضع الحدود
أصبح رمز حضارة

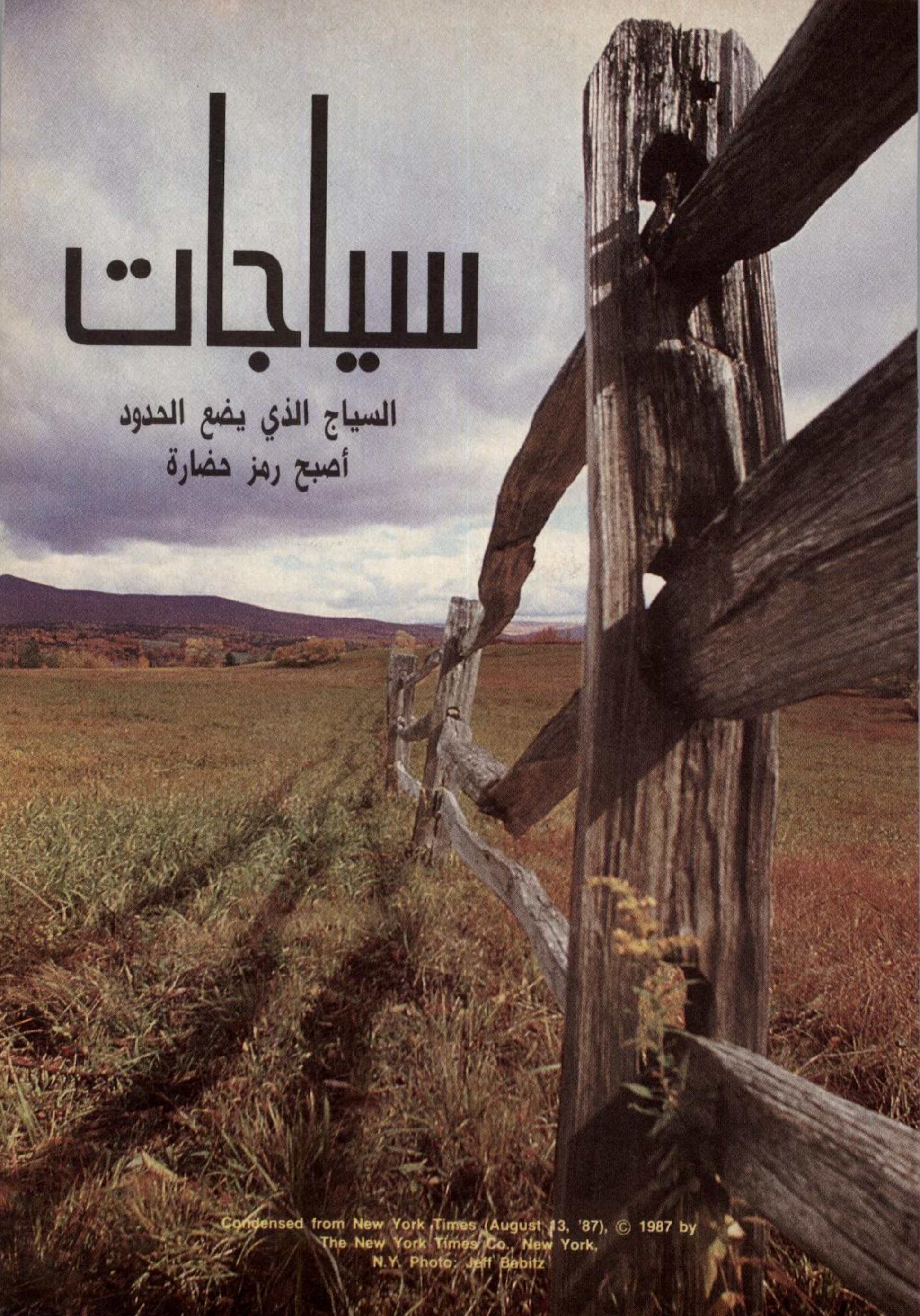

Condensed from New York Times (August 13, '87), © 1987 by The New York Times Co., New York, N.Y. Photo: Jeff Babitz

(فوق) جزء من السياج الفولاذي والحديد المسبوك أمام البيت الابيض.

(الى اليسار) سياجان مقضًبان نموذجيان في الولايات المتحدة.

Photos: (Above) Kenneth Garrett; (far left) Chuck O'Rear / West Light; (background) Michael Stuckey / Comstock

للسياجات صبغة خاصة، مثل طوم سوير (★) الذي أمضى نهاراً في ميسوري يبيّض أحدها، ومثل الشاعر الامريكي روبرت فروست الذي نصح بسياجات جيدة بين الجيران. ويقال ان السياسيين الامريكيين يقضون وقتاً طويلا في "اصلاح سياجاتهم" أي في ترسيخ التآلف بينهم وبين خصومهم القدامى. وحين "يستند المرء الى سياج" فهذا يعني رفضه اتخاذ موقف محدد من أي قضية. وهكذا فان السياجات، التي تسوّر الحقول والاملاك الامريكية، دخلت القاموس كتعبير اصطلاحي ودخلت الحضارة كتقليد.

(★) بطل قصة شهيرة للروائي مارك توين.

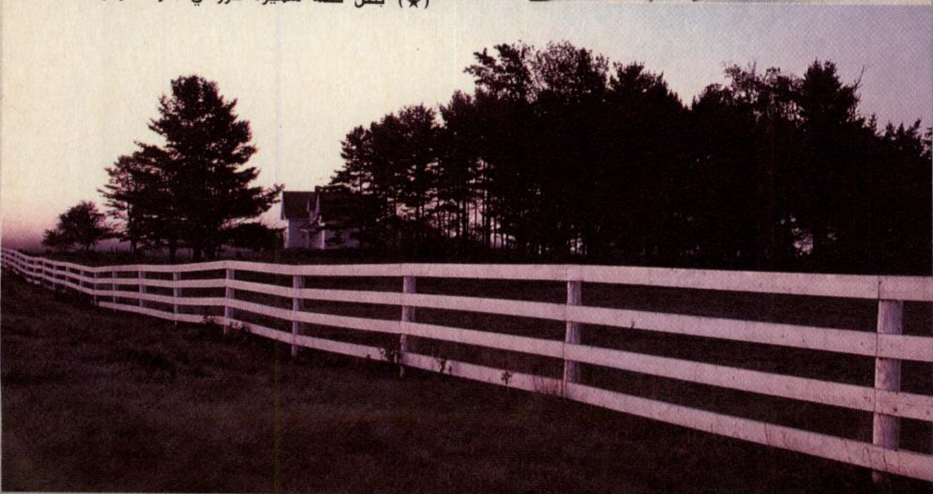

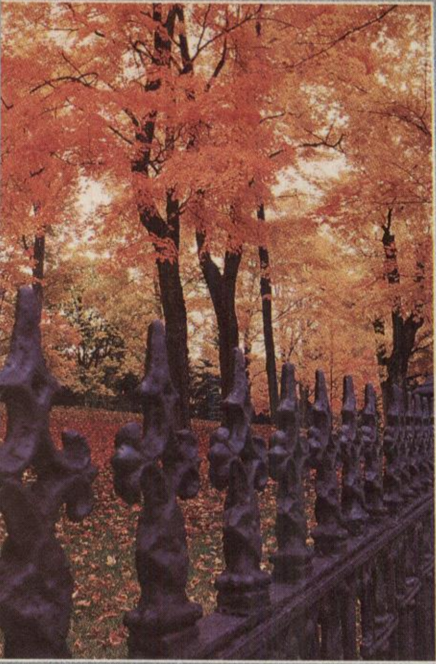

Michael Stuckey / Comstock

صممت السياجات، تقليدياً، لحفظ الناس أو الحيوانات داخل الاملاك أو خارجها، ولتعيين الحدود وإقامة التخوم. أما اليوم فقد تعدت السياجات وظيفتها المعتادة. فباتت أيضاً رمزية ومعبّرة عن مكان أو شعب أو زمان. كما تستعمل في تزيين "المتّسعات" الخارجية، أو للدلالة على المناظر الطبيعية، أو للاشارة الى المتنزهات.

تقول جاكلين روبرتسون عميدة كلية هندسة العمارة في جامعة فرجينيا: "أنا أهتم جدياً بالسياجات، وأمضي وقتاً طويلا في تصميمها. فما يميز السياجات الامريكية عن الجدران الاوروبية هو انفتاحها، فهي تسمح للمرء بأن يرى خلالها وما وراءها. اننا نعيش في حضارة السياجات."

جوزف جيوفانيني

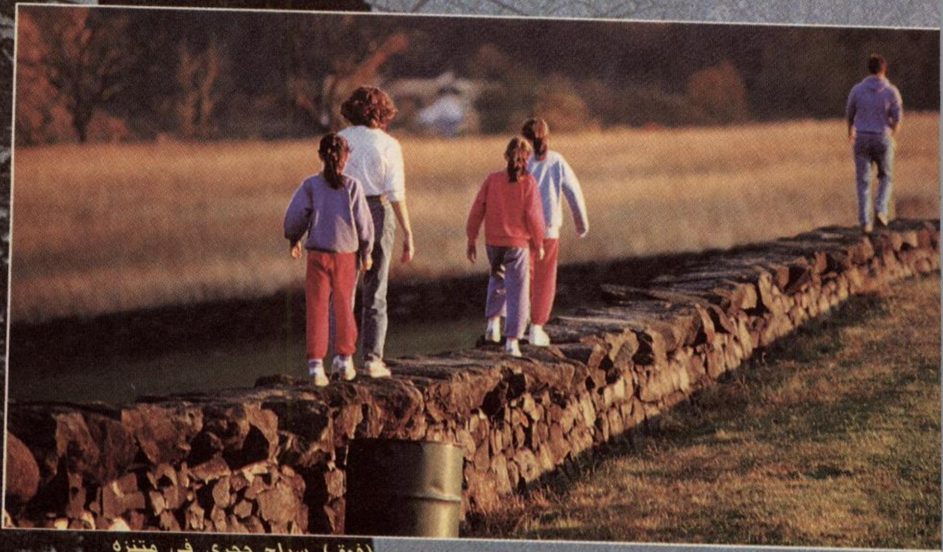

Brent Petersen

(فوق) سياج حجري في متنزه
براندیواین كريك في ديلاوير
شيد في القرن التاسع عشر.
(اعلى اليمين وتحت) سياجان
مزخرفان من أواخر القرن
الماضي واوائل هذا القرن.

Background photo:
Bullaty — Lomeo

F. Scianna / Magnum

"الهمجيون" الجدد

تجتاح حشود السياح المواقع الاثرية فتشوّه التراث الثقافي والمعماري. هنا أمثلة من أوروبا يجدر الاعتبار بها في العالم العربي

في "فِوروم" روما حيث ألقى شيشرون خطبه وقتل قيصر، يكسر السياح قطعاً من الرخام للاحتفاظ بها تذكاراً. وفي الـ"بيازا ديلا سنيوريا" في فلورنسا حيث أحرق سافونارولا، لونت أظافير أصابع قدمي تمثال "ديفيد" وهو نسخة من تحفة ميكلانجيلو. وفي الـ"بارثينون" في أثينا يدس السياح قطعاً من الصخر في حقائبهم ليهربوها الى بيوتهم ويستعملوها مثقلات للورق. وفي جبال البيرينيه الشرقية يزحفون في محاذاة جدران القلاع ويزيحون الحجار عمداً ويرمونها الى أسفل الجبل. وليضمنوا أن جريمتهم حفظت الى الابد، ينقشون الاحرف الاولى من أسمائهم على الجدران القديمة.

انهم "الهمجيون الجدد" كما سمتهم الصحافة الساخطة. ولا يخفى أمرهم على المسؤولين عن السياحة وحماة التراث

Condensed from Time (August 31, '87), © 1987 by Time Inc., New York, N.Y.

لم تجد التدابير المتخذة للحد من عدد زوار البندقية.

والحضارة في العالم. واذ تستمتع أوروبا بموسم آخر من السياحة الجماعية، فان حسن الضيافة يتحول بسرعة تمريناً على التحكم بالاضرار. ومع ازدياد عدد المقيمين الذين يجدون مدنهم تزدحم وآثارهم تتأذى، يعاد تخمين الثمن الذي يدفعه بلد ما للحصول على الشعبية.

ويقول جان كلود دولارو وهو رئيس مجموعة فرنسية رائدة من أنصار البيئة: "في رأيي أن السياحة زادت على اللزوم، وقد تكون لها عواقب خطيرة على بيئتنا الاجتماعية والطبيعية."

ان قلة من الحكومات مهيأة لثني الناس عن السياحة في أراضيها والتنازل عن المال الذي تجنيه من الزوار. وتؤكد وزارات السياحة والمؤسسات السياحية في أوروبا أهمية هذه الصناعة لخزينة الدولة. ولكن يلح النقاد والجماعات الضاغطة على أن تحسب الكلفة الحقيقية ويصلح الضرر.

ثمن باهظ - النجاح الاقتصادي للسياحة لا يقبل الجدل. ففي فرنسا عام ١٩٨٧ أنفق نحو ٣٦ مليون زائر ٦٨ مليار فرنك (نحو ١١،٥ مليار دولار). وتوفر السياحة في بريطانيا حالياً نحو ١،٤ مليون وظيفة وتجني أكثر من ١٤ مليار جنيه استرليني (٢٥ مليار دولار) سنوياً. وقد أغنى زائرو اسبانيا البالغ عددهم ٣٣ مليوناً عام ١٩٨٧ خزينة الدولة بـ١٧٣٠ مليار بيزيتا (١٥ مليار دولار). وفي حين يقصد الاغنياء والمغامرون الاراضي البكر، تبقى أوروبا الغربية محجة السياح المتوسطي الحال. وذلك الاتجاه يغير اقتصاد السياحة في العمق. ويرى مسؤولون أن السياح المستعجلين ذوي الموازنات الضئيلة يساهمون في كثير من الضرر وقليل من الربح. ويقول أنطونيو سيديرنا وهو عضو في البرلمان الايطالي يمارس منذ وقت طويل ضغطاً لحماية البيئة: "انها الوجبات السريعة في السياحة."

من أبهظ الاثمان التي تدفعها السياحة في أماكن كثيرة الاجرام والتخريب المتعمد. وهنا بعض الامثلة المحزنة: مدينة كاركاسون الفرنسية المحصنة الباقية منذ القرون الوسطى شوهتها الكتابات والرسوم الرعناء، كذلك فوروم روما وحصن "مون سان ميشال" شمال غرب فرنسا. وفي "وادي العجائب" في متنزه مركانتور جنوب فرنسا ١٠٠ ألف نقش محفورة في الصخر منذ فترة ما قبل التاريخ. انها العمل اليدوي لرعيان عصر البرونز الذين حفروا، بالنقر على الصخر قبل ٣٥٠٠ سنة، رسوماً لرؤوس ذات قرون وأجسام بشرية وأسلحة وأشكال أخرى. وقد اقتلع الزائرون بعض هذه النقوش من الصخر، وهي اليوم تقبع على رف في مكتب ما تذكاراً لعطلة سابقة. وقد طلى هواة التصوير رسوم ما قبل التاريخ بالزيت لاحداث انعكاس جيد والحصول على لقطات مثالية. وضاعت رسوم أخرى تحت طبقات من الكتابات والشعارات. ويقول المدير المساعد في المتنزه دوني كليمان: هناك مزيد من الزائرين الذين يخربون الموقع. وتحجيم الضرر هو أولويتنا."

لا يقع اللوم على السياح في كثير من أعمال التخريب والتدنيس. فالاقتصاد السياحي الجديد شجع النمو السريع

F. Scianna / Magnum

أصابع قدم تمثال كلاسيكي شوهتها أيدي المخربين.

تمثال برونزي
على جسر الاسكندر الثالث
في باريس
شوهته كتابات السياح.

والتخطيط غير الدقيق اللذين يغيران المناظر الطبيعية والمدينية في اوروبا. فمنصات بيع التـذكـارات تمـلأ مـدن القرون الوسطى، وتغص الجادات الكبرى بمطاعم الوجبات السريعة. وأصبح صرح "سان بول" في لندن أشبه بمحل تجاري منه بكاتدرائية، بعد احداث مكتبة في الممشى الرئيسي. ووشمت أعقاب أقدام الزائرين أرضية قصر شونبرون في فيينا، المرصعة والنفيسة، بعدما سلمت قروناً تحت أخفاف الدوقات.

اجراءات حماية - تقول البريطانية جين فاوست وهي من أنصار حفظ الآثار: "ان النصب والمواقع الاكثر شعبية هي في خطر من التخريب المتعذر اصلاحه. ويرصد نزر يسير جداً من أرباح السياحة لصيانتها."

في مـدريـد تتحـول "بـلازا مـايـور" (الســاحــة الـكبــرى) ذات الاعمـدة المصفوفة قاعة طعام ومنامة. ويخوض شبان يسيحون بحقائب على ظهورهم في بركة نافورة "بـلازا ديلا سيبيلس" متبردين بمياهها. وخارج المدن ترمى القــواريــر البـلاستيكيـة في البحيـرات والانهار وتغطى دروب الغابات بنثار المتنزهين.

جرب المسؤولون حلولا شتى لارضاء نقاد السياحة من دون أذية الاقتصاد المعتمد على السياحة. فضيقت بعض السلطات المحلية الأنظمة المرعية في المواقع السياحية لمنع حصول مزيد من الضرر. وعينت مدن أخرى مزيداً من الحراس في المواقع السياحية لمراقبة الحشود. وفي خطوة لاتخاذ اجراءات صارمة في حق الزائرين الذي يحزمون أمتعتهم على ظهورهم، فرضت السلطات المحلية في البندقية غرامات على النوم في العراء ورمي النفايات والتجول داخل المدن ببذلات السباحة وتناول الطعام في "بيازا سان ماركو." ويشرح أوغوستو سالفادوري الذي باشر هذه التدابير: "نطلب من السياح أن يحترموا جمال المدينة وأنظمتها. انها ليست مسألة حرية، بل قضية تصرف متحضر."

وتبدو مواقع سياحية "ساخنة" أخرى

Photo: Claude Thibault / ANA

مهيأة لاتباع خطى البندقية. في "سان أنطونيو أباد" على جزيرة ابيزا الاسبانية، تهدد السلطات المحلية بترحيل السياح المتهتكين الذين يسببون مشاكل في الطرق والحانات. ويدعي نورمان سكينر وهو ناشر دليل سياحي محلي، أن "السلطات سترحل هؤلاء السياح على متن أول طائرة."

في الوقت نفسه تعمل السلطات على حماية كل ما هو تاريخي وسهل الكسر. يقول نيكولا كاريغليا نائب محافظ مدينة فلورنسا: "المظهر الخارجي للمدينة هو شغلنا الشاغل. ولقد منعنا فتح مطاعم جديدة للوجبات السريعة أو البيتزا في منطقة فسيحة."

حتى النقاد الاكثر جرأة لا يلومون السياح بمقدار ما يلقون اللوم على الصناعة السياحية والسلطات المحلية. وعلى رغم أن بعض الضرر الحاصل هو تخريب متعمد فان الكثير منه هو نتيجة تقصير في التخطيط. وقد أنفق المسؤولون عن متنزه مركانتور نحو ٧٠٠ ألف فرنك (١٤٠ ألف دولار) عام ١٩٨٧ لاقامة لافتات تشرح هشاشة الحياة النباتية والحيوانية والآثار. ويقول كليمان: "لقد سبب الجهل كثيراً من التخريب. ومتى شرحت الواقع للناس فانهم يحاولون المحافظة على طبيعة الاشياء."

في الماضي أرخى المسؤولون الرسميون حبل السياحة فيما الارباح تتدفق عليهم. أما اليوم فقد تضخم حجم السياحة الجماعية بحيث بات لزاماً على السلطات الحكومية ان تشد هذا الحبل وتراقب عن كثب تصرفات السياح بغية التأكد من أن الاشياء الجميلة ستبقى مصدر بهجة الى الابد.

نانسي غيبس

بخل متأصل

قال الاسكوتلندي البخيل لنادل المطعم: "أريد أن أتعرف الى الفتاة الجالسة الى تلك الطاولة. فهلا طلبت منها أن تدفع فاتورتها؟"

ا.ت.

درهم وقاية...

في أحد الفنادق الفخمة نزلتُ من المطعم الدوار على السطح في مصعد خارجي زجاجي يُرى منه منظر شامل للمدينة. فسمعت إحدى السيدات تقول لرفيقتها: "زوجي يكره هذا النوع من المصاعد. فالأماكن المرتفعة تشعره بالدوار والغثيان." وتوقفت لحظة ثم أضافت: "مع أنه ربّان طائرة."

فسألها رجل كان معنا في المصعد: "عفواً يا سيدتي، في أي شركة يعمل زوجك؟"

ج.م.

رُبَّ أخٍ لكَ لمْ تلدْهُ أمُّكَ

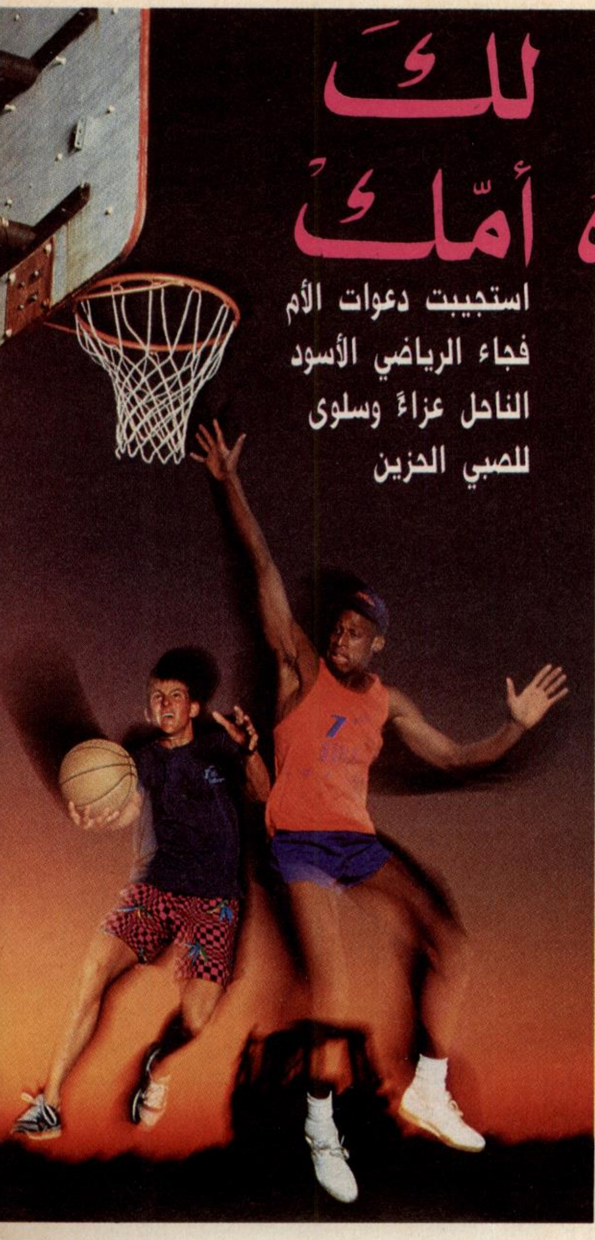

استجيبت دعوات الأم فجاء الرياضي الأسود الناحل عزاءً وسلوى للصبي الحزين

ذات يوم قارس من أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٤ كان بريان ريتش وصديقه براد روبنسون يصطادان مع صبيين آخرين في الريف خارج بلدتهما بوكشيتو في ولاية أوكلاهوما. وتوقف بريان (١٣ عاماً) لحشو بندقيته، فألقمها خرطوشة ورفعها ليسددها الى عصفور على شجرة. لم يكن اصبعه على الزناد، لكن النار انطلقت من البندقية. سقط براد مصاباً في بطنه. حضن بريان الصبي المتلوي فيما هرع رفيقاه طلباً للنجدة.

توفي براد بعد بضعة أيام. ومع ان والديه أكدا لبريان أنهما واثقان بأن الحادث حصل قضاء وقدراً فان الصبي لم يجد في ذلك عزاءً.

كرت الاشهر، ولم تخفِ برحاء بريان. ساءت علاماته المدرسية وانقطع عن الطعام وجفاه النوم. وكانت أمه بات

Photos: William Snyder

تصغي إليه وهو ينشج ليلة اثر ليلة: "لماذا حدث ذلك يا أماه؟" فتجيبه: "لا أعرف يا بريان. حسبُنا الله." وكانا يصليان معاً الى أن ينام بريان. ثم تضيف بات دعاء آخر: "أرجوك يا ربي، أرجوك، ساعد ابني."

تفكَّر بريان بصوت عال ذات يوم: "لو أن لدي أخاً..." وفوجئت بات بكلامه إذ ان لديه شقيقين. فأفصح بريان عن قصده: "باري ومايك يكبرانني كثيراً. لو أن في وسعنا تبني صبي صغير، اذاً لاعتنيت به وكنت أقرب صديق إليه، مثل براد."

لم يكن يسع الأسرة أن تنفق على تنشئة طفل آخر. فآل ريتش يزرعون القمح ويربون مئة رأس من الماشية ترعى في قطعة أرض تبلغ مساحتها ٢٤٠ هكتاراً، ومع ذلك كان الاب جايمس مضطراً الى العمل ساعي بريد في الأرياف، وكانت بات تدير صالون تزيين للسيدات.

حكاية "دودة" - في الصيف التالي بعد الحادث سمع جايمس وبات بدورة لتعليم كرة السلة في جامعة جنوب شرق اوكلاهوما في مدينة دورانت التي تبعد ٢٠ كيلومتراً. فقالا لبريان: "التحق بالدورة وجرب."

لبث الفتى هناك أسبوعاً ثم عاد الى البيت وهو لا يني يذكر طالباً مستشاراً سيلتحق بالجامعة في الخريف بمنحة دراسية لكونه لاعباً جيداً بكرة السلة. قال بريان: "ندعوه دودة. لقد علمني حركات رائعة يا أمي."

وللمرة الأولى منذ سنة رأت بات بريقاً في عيني ابنها، فسألته: "لماذا تدعونه دودة؟"

أجابها: "لأنه فارع الطول، ناحل، واذ يسقط أرضاً يتعين عليه أن يتلوّى ويتعرّج كالدودة لينهض. واسمه الحقيقي دنيس رودمان. أحسبه يا أمي مستوحشاً. أيمكن أن ندعوه الى العشاء؟"

- طبعاً.

"إنه أسود يا أمي."

- سنسأل أباك رأيه.

لم تكن بات تتصور جلوس شاب اسود الى مائدة العشاء في بيتها. لكنها لمحت خيبة في عيني ابنها فقالت: "أحضره معك وسيكون كل شيء على ما يرام."

لم يكن رودمان شديد الرغبة في الحضور للعشاء. فأرياف أوكلاهوما عالم غريب لامثاله الذين قلما يغامرون بالخروج من دالاس بولاية تكساس. لكن بريان ألح عليه. وذات يوم قاد جايمس السيارة الى دورانت ومعه بريان لاصطحاب رودمان.

كانت بات في انتظارهم في الرواق الأمامي. وإذ رأت "دودة" يمد جسمه مترجلاً من السيارة أسرَّت في نفسها: لا عجب أنه غير راغب في المجيء. انه في الثانية والعشرين، ممطوط ٢٠٣ سنتيمترات طولاً، فكيف يأبه لصبي أبيض في الثانية عشرة من العمر؟ وأملت بات أن يرفق بابنها حتى ينقضي ذلك المساء.

الى مائدة العشاء أخذت بات وجايمس يلاطفان "دودة" ويستدرجانه للتحدث عن نفسه. انه يسكن مع أمه وشقيقتيه في دالاس. وأبواه منفصلان منذ كان في

الثالثة. لم ينضم الى أي فريق مدرسي لكرة السلة، لكنه عندما غدا فارع الطول استدعته احدى الكليات المجاورة لسنتين. وقد لعب فصلاً دراسياً كاملاً ترك على أثره المدرسة بسبب علاماته المتدنية. بعد ذلك اشترك في عدة مباريات على ملاعب دالاس، الى أن عرضت عليه جامعة جنوب شرق أوكلاهوما منحة دراسية.

رفض "دودة" المنحة، لكن أمه ألحت عليه بقبولها وهو أخبر آل ريتش: "سأمكث وقتاً ثم أفصل، فترضى أمي."

فبادره بريان بعزم: "إن بقيت في الجامعة فستكون أحد أفضل الطلاب الرياضيين في أمريكا، وستصبح لاعباً محترفاً."

قال "دودة": "لا أمل لي بذلك، فلست جيداً كفاية."

فواجهه بريان جازماً: "ستكون كذلك."

بعد العشاء خرج الاثنان للعب كرة السلة. وأصغت بات الى ارشادات "دودة" الصبورة وقالت لزوجها: "لقد أحببته."

فرد جايمس: "وبريان يحبه كثيراً." وأمسك يد زوجته متابعاً: "لكم خشيت ألا نسمع بريان يتحدث بمثل تلك الحماسة ثانية."

عهد أخوي – سأل بريان أبويه: "هل تسمحان لدودة بأن يبيت الليلة عندنا؟"

لم يقوَ آل ريتش على خذل ابنهما. وفكرت بات في أن "دودة" لا بد من أن يفضل منزلاً فيه عائلة على منامة في الجامعة، ورفقة صبي يجلّه على أن يكون بلا صحبة. أما بريان فقد غفا باكراً للمرة الأولى منذ الحادث.

في اليوم التالي ساعد "دودة" وبريان جايمس في العمل، ثم لعبوا بكرة السلة. وقد أثبت جايمس الذي كان لاعباً في

المدرسة الثانوية، أنه مدرب جيد. وقال لهما مرة تلو أخرى: "لا تنسيا أن الكرة ترتد عن العارضة. خصمكما يقذف الكرة فتدخل السلة ولا حيلة لكما. أما إذا أخطأ الاصابة واختطفتما الكرة، فهذه فرصتكما."

ذلك المساء، وفي أمسيات كثيرة من بعد، أعدّت بات كرسي "دودة" حول طاولة الطعام، وحين لا يكون الصديقان يثبان عالياً في الهواء على فرشة القفز التي أعدها لهما جايمس، كانا يلعبان ضد شقيقي بريان الكبيرين أو يقودان الشاحنة أو يصيدان السمك.

وذات يوم أخبر بريان صاحبه عما حدث لبراد. قال: "لم أكن أريد أن أحيا بعد موت براد."

فرد "دودة": "ينبغي أن تعيش حياتك مرتين من أجل براد."

أومأ بريان برأسه: "لكنك لا تعيش حياتك كما يجب."

فتفكر "دودة" هنيهة ثم قال: "سأفعل أنا ذلك شرط أن تفعل أنت مثله."

فقال بريان: "هذا عهد بيننا."

واذ رجعا الى البيت ناديا بات لترى حجم السمكة التي صادها "دودة." وقال هذا مازحاً: "أتدرين لم اصطدت كبرى السمكات؟ لان السمك يحب الدود أكثر من أي شيء آخر."

واذ ضحكت بات عجبت لمبلغ سعادة الصديقين في الوقت القصير منذ وصول "دودة."

بدأ موسم كرة السلة، ودأب آل ريتش على حضور كل مباراة تجرى في جامعة جنوب شرق أوكلاهوما. وبعد الانتهاء من مباراة في احدى جامعات تكساس سأل "دودة" المدرب أن يسمح لبريان بركوب حافلة الفريق في طريق العودة، فوافق المدرب على ذلك. وفي كل مباراة لاحقة كان بريان يجلس في مقعده مع اللاعبين.

واحد في الالف – أمضى "دودة" عطل الصيف يساعد آل ريتش في مزرعتهم. وبعد ظهر ذات يوم فرغ الهواء من اطار أحد الجرّارات. واذ لم يبق سوى بالتين من التبن لنقلهما الى مخزن الحظيرة قاد "دودة" الجرار فأتلف الاطار الذي بلغ ثمنه مئة دولار. وأنبه جايمس على فعلته، واذ انتهى من الكلام القاسي أخذ "دودة" ينشج باكياً. قال وهو يمسح دموعه: "يا سيد ريتش، أشكرك. لم يكن لدي أب يزعق في وجهي من قبل."

بعد ذلك غدا "دودة" يذكر عائلتيه: السوداء والبيضاء. وكان منزل آل ريتش أول مكان قصده ومعه الجائزة التي نالها بعدما منحته "الجمعية الوطنية الامريكية للرياضيين الجامعيين" لقب "لاعب أمريكا" خلال سنته الجامعية الثانية.

وغدا فريق بريان افضل فريق مدرسي في كرة السلة. وكان بريان يحاكي أسلوب "دودة" في اللعب حتى غدا لقبه "دودة الصغير." وقد حاكى بريان "دودة" بطرق أخرى أثلجت صدر بات، إذ "دودة" نظيف جداً ولا يدخن أو يتعاطى الكحول والمخدرات.

ودرج "دودة" على دعوة زملائه في الجامعة الى بوكشيتو لتناول وجبات منزلية. لكنه ظهر وحيداً ذات مساء. قال: "لقد ضقت ذرعاً بالجامعة، سأعود الى

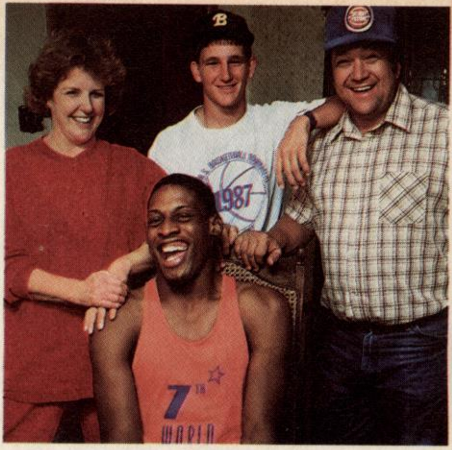

دنيس رودمان مع جايمس وبريان وبات ريتش.

دالاس." فهو مقصر في دروسه والمدرب يصب عليه جام غضبه لأنه يتخلف عن التمارين.

قال له جايمس: "اذا انقطعت عن الدراسة الآن فستمضي بقية عمرك في الشوارع."

فغمغم "دودة": "هذا ما سأفعله على الأرجح في أي حال."

صاح بريان باصرار: "لا، لا، ستغدو محترفاً."

فرد "دودة": "واحد في الالف من الطلاب الجامعيين يصل الى الاحتراف."

قال جايمس: "اذاً كن أنت هذا الواحد."

"شكراً لك يا أبي" - عاد "دودة" الى الجامعة وسوّى مشاكله وبقي "لاعب أمريكا" في سنتيه الأخيرتين.

بعد مباراة "دودة" الاخيرة في الجامعة غصّ منزل آل ريتش بصحافيين ينتظرون معرفة ما إذا كان "دودة" سيُختار للاحتراف.

ورن جرس الهاتف وجاء الخبر: فريق "بيستونز" في ديترويت اختار رودمان الذي أدرج على قائمة المحترفين.

وثب بريان الى "دودة" وأوسعه ضرباً من شدة فرحه. وصاح: "هذا ما تكهنت به، كنت أدرك أنك قادر على هذا الانجاز."

وضمته بات، ثم استدار رودمان الى جايمس وطوقه بذراعيه الطويلتين وهمس في أذنه: "شكراً لك يا أبي اذ علمتني أن أنهض من عثرتي."

والتحق "دودة" بفريق "بيستونز" عام ١٩٨٦ وبات لديه وقت أكثر للعب، وأصبح أحد اللاعبين الجدد الواعدين في "الجمعية الامريكية الوطنية لكرة السلة."

وخلال ذلك الموسم الأول أرسل المضيف التلفزيوني طوني أورلندو دعوة الى بريان وبات للسفر إلى ديترويت للمشاركة في مقابلة تلفزيونية مع "دودة."

سأل أورلاندو "دودة": "هل كانت حياتك الدراسية سهلة؟"

فرد: "لو لم ألتقِ بريان ريتش لما بقيت في المدرسة."

نظرت بات بفخر متذكرة تلك الليلة قبل أربع سنوات حين احتضنت صبياً حزيناً بين ذراعيها وسألت الله العون، وليلة تالية إذ شاركهم صبي أسود ناحل في حياتهم. "دودة" الآن لاعب محترف تملأه الثقة بنفسه وذو مستقبل باهر. وبريان فتى وسيم ودود يحب الحياة.

وأسرت في نفسها: الله جعلهما أخوين، وأعطاهما الدنيا.

جو كودير

يَد المايَا الخضراء

يساعد احياء الاساليب الزراعية التي كان يعتمدها هذا الشعب القديم في الحفاظ على الغابات وتخفيف المجاعة في العالم الثالث

اعتمد مزارعو المايا الحقول المرفوعة لزرع المستنقعات وانتاج الذرة والكاكاو وغيرهما. وكانوا يرفعون الوحل من قعر القنوات ليستعملوه سماداً، ويغرسون الاوتاد في أطراف الحقول بهدف ابطاء عملية انجراف التربة.

في احدى غابات يوكاتان الاستوائية الخَضِرَة الهادئة جنوب شرق المكسيك يشق رجلان طريقهما قاصدَين نصباً حجرياً يرمز الى مجد المايا. وعندما وجدا البناء بدا لهما غير مثير للاعجاب: انه سور صخري رمادي يرتفع بين ٦٠ و٩٠ سنتيمتراً ويحوط مساحة لا تزيد على فِناء صغير. أما بالنسبة الى ارتورو غوميث - بومبا، العالِم النباتي في جامعة كاليفورنيا في ريفرسايد، فإن هذا السور الحجري القديم هو جزء من نظام زراعي يثير الاهتمام بمقدار ما تثيره روائع تشيتشن ايتثا المعمارية والفنية.

ويتضح السبب عندما يدرس غوميث - بومبا وزملاؤه الحياة النباتية في الاشهر التالية. فضمن ذلك السور المستدير تعيش أنواع من النباتات ذات قيمة بالنسبة الى الانسان، كالرامون وهي شجرة تطحن بذورها كبديل من الذرة، والسبّوتة أو الزعرور الامريكي،

Condensed from Discover (June '87), © 1987 by Discover Publications, Inc., New York, N.Y.

والحمضيات والكاكاو، وأشجار الماهوغاني الصلبة الاخشاب، والحشائش والاعشاب غير البلدية التي جاء بها قدماء مزارعي المايا.

يظهر هذا السور المستدير، ومثله عدة أسوار منتشرة ضمن الغابات الاستوائية في شبه جزيرة يوكاتان، أن شعب المايا القديم تعاطى الاعمال التشجيرية بطريقة متطورة مدة طويلة قبل أن تطأ اقدام الفاتحين أراضي المايا عام ١٥١٧. لقد ساعدت هذه الاسوار، وغيرها من مظاهر الاتقان البيئي، علماء الآثار على حل لغز طريقة تأمين المايا غذاءهم كشعب كثير العدد.

نمت حضارة المايا في المنطقة الممتدة من الاراضي المنخفضة، حيث الشجيرات والمستنقعات في جنوب يوكاتان، الى الغابات الكثيفة التي تنمو على المرتفعات في جنوب شرق المكسيك وغواتيمالا وهندوراس البريطانية. وجميع هذه المناطق غير صالحة للزراعة. ففي المستنقعات ماء أكثر مما يجب، وفي المناطق الجافة ماء قليل وتربة الغابات ضحلة. وعلى رغم ذلك فإن الكثافة السكانية في الاراضي المنخفضة كانت تترجح بين ٧٥ و١٥٠ نسمة في الكيلومتر المربع عام ٨٠٠ ميلادية، أي في ذروة حضارة المايا.

إن الدراسات التي تجرى حول تلك الاسوار تجبر العلماء أيضاً على البحث عن تفسيرات للكارثة الغامضة التي قضت على المايا. فبين عامي ٨٠٠ و١٥٠٠ انخفض عدد السكان الى أقل من خمسة أشخاص في الكيلومتر المربع. وكان العلماء في السابق يعزون ذلك إلى المجاعة التي سببتها الزراعة غير السليمة بيئياً، أما أبحاث غوميث - بومبا وغيره من العلماء فقد أوحت خلاف ذلك.

يرى غوميث - بومبا أن هذه الاسوار هي أكثر أهمية اليوم لحل المشاكل البيئية. فالغابات الاستوائية تغطي أقل من ١٦ في المئة من مساحة اليابسة، لكنها موطن لنصف نباتات الكرة الارضية وحيواناتها. وعلى رغم ذلك فإن تقريراً حديثاً أصدرته "مؤسسة موارد العالم" يفيد أن أكثر من ١٠٨ آلاف كيلومتر مربع من هذه الغابات يضمحل كل سنة. فلو استطاع مزارعو العالم الثالث المعاصرون تطبيق وسائل قدماء المايا في الشؤون الزراعية - يقول غوميث - لتمكنوا من ابطاء عملية الاضمحلال هذه.

حقول مرفوعة - بدأ غوميث - بومبا يقلق حول مستقبل الغابات الكثيفة عندما كان يجري دراسة عن الثروة النباتية في ولاية فيراكروث المكسيكية في مطلع السبعينات، ففي فيراكروث، كما في عدة مناطق استوائية أخرى، لم يكن للفلاحين أحياناً خيار غير قطع الغابات وتحويلها أراضي زراعية. ولكن بعد سنوات من الزراعة كانت التربة تُستنفد فيضطر الفلاحون الى الانتقال الى غابات أخرى.

في العام ١٩٧٢ حذر غوميث - بومبا واثنان من زملائه، في مقالة نشرتها مجلة "العلم"، من خطر داهم على الغابات يهدد "بانقراض معظم كائناتها الحية".

وستكون المضاعفات مذهلة: فلن يعود في الامكان ايجاد الاعشاب التي كان يمكن أن تزوّدنا أدوية جديدة، كذلك النباتات المقاومة للآفات والامراض والقادرة على اعطاء محاصيل أكثر جودة.

يتساءل غوميث: "لقد ازدهرت حضارة المايا وحضارات أخرى في هذه المناطق الاستوائية. فكيف استطاعت شعوبها المحافظة على التعدّدية الأحيائية التي نقضي عليها نحن الآن؟"

وقد أثار هذا التساؤل حيرة آنذاك لان الاعتقاد السائد منذ زمن بعيد يقول ان شعب المايا كان يتعاطى الزراعة وفق طريقة القطع ثم الحرق، فكان المزارع يقطع قسماً من الاشجار ثم يحرقها ليسمد الارض برمادها. وبعد سنتين الى أربع سنوات، أي بعد أن تكون التربة استنفدت، يهجرها الى غيرها.

ويعتقد أن هذه الطريقة قد تكون أحد أسباب زوال حضارة المايا. فتطبيقها استنزف نسبة كبيرة من الاراضي مما أدى الى انهيار الانتاج فالمجاعة فالموت الجماعي. لكنّ هذه الفرضية أخفقت في توضيح طريقة تأمين شعب المايا غذاءهم عندما كانوا في أوج حضارتهم. ان عملية القطع والاحراق قد تؤمّن الغذاء لنحو ٢٥ نسمة في الكيلومتر المربع الواحد، بينما وصلت الكثافة السكانية للمايا الى ٤٨ نسمة في الكيلومتر المربع عام ٦٠٠.

وحُل هذا اللغز جزئياً عام ١٩٧٢ عندما اكتشف الجغرافي ألفريد سيمنز بعض الحقائق حول الحقول "المرفوعة" في حوض نهر كانديلاريا في يوكاتان، وهو جزء من أراضي المايا. والحقل المرفوع يأتي نتيجة ردم سطح الارض السويّ بالتربة، فهو وسيلة لاستصلاح أراضي المستنقعات وجعلها صالحة للزراعة. وتصلح هذه الحقول المرفوعة للزراعة على مدار السنة، حتى في موسم الجفاف، لان مياه المستنقعات كانت ترشح صعوداً خلال التربة الغنية بالمواد المغذّية.

ثورة زراعية – بعد اكتشاف سيمنز وجد العلماء حقولاً مرفوعة داخل جميع أراضي المايا. وأبرز دراسة شاملة متعلقة بهذا الشأن أجراها الجغرافي بيلي لي تورنر في مستنقع بولتروزر في شمال بيليز. ويعتقد تورنر أن حقول هذا المستنقع التي بلغت مساحتها ٣٠٠ هكتار، وفرت الغذاء لنحو ٥٢٠٠ نسمة.

بعد اكتشاف الحقول المرفوعة لم يعد على علماء الآثار أن يعزوا زوال حضارة المايا، هذا المجتمع الذكي الذي طور الكتابة وعلم الفلك والروزنامة وفن العمارة الضخمة، الى طريقة القطع والحرق في الزراعة. ولكن اذا كان سكان الاراضي المنخفضة استطاعوا استغلال المستنقعات للزراعة، فكيف تمكّن اهل الهضاب من سكان الغابات الكثيفة تأمين الغذاء؟

في العام ١٩٧٦ وبالتعاون مع الحكومة المكسيكية بهدف تطوير سبل الزراعة في الاراضي المعراة من الاشجار، عمل غوميث بنصيحة احد مزارعي بلدة تقع الى الجنوب من العاصمة مكسيكو، حيث لا يزال المتحدرون من شعب الازتيك يعملون على رفع الحقول. وبمساعدة هذا الرجل

أنشأ المزارعون حقلاً مرتفعاً بلغت مساحته ١٣٠٠ متر مربع وزرعوه بعشرين نوعاً من النباتات.

وقد أدى نجاح هذا المشروع الى محاولات عدة لزراعة أراضٍ مستنقعية أخرى في تاباسكو وفيراكروث. وبرهنت هذه المشاريع على أن طرق الزراعة التقليدية في وسعها أن تكون ناجعة. فان حقلاً مرتفعاً مزروعاً بالذرة مثلاً قد ينتج في سنة واحدة ستة أطنان أو سبعة في الهكتار الواحد. يقول غوميث - بومبا: "وهذا يضاهي أفضل انتاج توصلت اليه الثورة الزراعية"، وهو كان يتحدث عن محاولة الافادة من البذار المؤصلة والمخصبات ومبيدات الاعشاب والحشرات ومكننة الحصاد لتحسين الزراعة في العالم الثالث. ومن فوائد هذه الحقول أيضاً القنوات التي تصل بينها وفيها ترتع الاسماك والسلاحف كمصدر مهم للبروتيين.

النور الثمين - يبدي بومبا دهشته لدى حديثه عما "يُعرف بغابات الامطار البكر" التي أجرى حولها دراسات في فيراكروث. كانت أراضي المايا الجبلية تغرس في معظمها بأشجار الرامون المثمرة، اضافة الى أجناس أخرى تنتج الثمار او الطاقة ام مواد البناء. فهل كان شعب المايا محظوظاً بسكنه في تلك المنطقة الغنية بالغابات أم أنه هو شجّرها بنفسه؟

للاجابة عن هذا السؤال ضم بومبا جهوده الى جهود الفريدو باريرا - مارين، عالم النبات المكسيكي من اصل مايا. فأخذا يستجوبان أشخاصا متحدرين من هذا الشعب في يوكاتان، فتبين لهما أن قدماء المايا أدركوا نظام التعاقب الثانوي، أي تتابُع أجناس النباتات التي تظهر بعد قطع غابات الامطار البكر.

المتغيِّر الحاسم في هذا التعاقب الثانوي هو كمية النور التي تصل الى الارض. فالمظلة التي تؤلفها الاشجار في هذه الغابات الغضّة هي من الكثافة بحيث يستحيل على أشعة الشمس اختراقها إلا في أوقات نادرة. ولكن عند احداث أي فرجة فيها يتدفق النور عليها. ويقول بومبا "ان البذور المتجمعة في الارض تبدأ عملية النمو، وسرعان ما يغطي النبات الفراغ: تبدأ الجنبات نموها المتدرج ثم تليها الاشجار."

عندما يشذّب مزارع المايا غابة قديمة ينتقي بحذر أيَّ شجرة يقطع وأيَّها يبقي. يختار الاشجار التي تنمو بسرعة ويستعملها وقوداً، ويحافظ على الاشجار التي تؤمِّن الطعام والدواء ومواد البناء، أو انتاجاً آخر مفيداً، مثل شجرة السبّوتة التي تنتج مادة صمغية تصنع منها العلكة (اللبان) وتُصدَّر الى الخارج. أما في المساحات الباقية ففي امكان المزارع أن يزرع الذرة والقرع (الجلنط) واللوبياء التي تساعد التربة على استعادة موادها الغذائية. وعندما يستهلك التربة يهجرها بحيث يبدأ فيها التعاقب الثانوي.

قديم جديد - يقول بومبا: "انّ الحضارات القديمة اكتشفت سبلاً لمعالجة الغابات الاستوائية."

فالهواستيك مثلاً اتبعوا نظاماً معيناً في تدبير شؤون غاباتهم. وهنود الكايابو في البرازيل، والغوايمي في بناما والكوفان في كولومبيا، جميعهم يملكون مفردات متعلقة بعلم البيئة. كما اكتشف علماء الانسان غابات منظمة في جاوه وسومطره وفي أجزاء من الصين وجنوب شرق آسيا.

ان تجميع معارف هذه الحضارات القديمة وتطبيقها عملياً يبدوان ملحين أكثر من ذي قبل، لان فكرة المحافظة على الغابات البكر كرئة للكرة الارضية تبدو غير واقعية. يقول بومبا: "إذا حظرنا المس بمليون هكتار من هذه الغابات بهدف المحافظة عليها فإنما يكون ذلك على حساب اقتصاد المناطق الاكثر فقراً في البلدان الاستوائية المعدمة حيث يتعيّن على الفقراء أن يؤمنوا غذاءهم بأنفسهم." ففي رأيه ان مفتاح المحافظة على الغابات يكمن في معرفة استغلالها من دون تدميرها.

ثمة خطوة مهمة يجب اتباعها هي تحديد طريقة دمج الوسائل التقليدية بالوسائل الحديثة بغية الحصول على أفضل نتيجة. فلا احد يعلم مثلاً ما قد يحدث لو عُمِّمت الحقول المرفوعة على نطاق واسع. وفي بعض الاراضي المنخفضة تشكل المستنقعات مكاناً لخزن كمية المياه الفائضة. يقول بيلي لي تورنر: "اذا جفف الانسان هذه المستنقعات فيكون كأنه يعبث بكامل نظام المياه الجوفية."

ومع ذلك يتفق تورنر مع الآخرين في أن ما أنجزه علماء البيئة يطرح أفكاراً جديدة تلائم خصوصاً البيئة الواجب خدمتها. فلو استطاع العلماء اقناع المسؤولين بأن يمنحوا هذه التجارب القديمة فرصة أخرى فستدين الغابات الكثيفة بخلاصها الى الماضي كما الى الحاضر أو المستقبل.

آلن تشن

شجرة العائلة

مع اقتراب الذكرى المئوية الثانية لتأسيس أوستراليا كمستعمرة بريطانية (١٧٨٨) ازداد عدد الأوستراليين الراغبين في تحري ماضيهم عبر ما يسمى "شجرة العائلة". وهذا أمر تجنبوه كثيراً خوفاً مما يمكن أن تفاجئهم به السجلات. ذلك بأن الحكومة البريطانية طوال الاعوام الثمانين الاولى من استعمارها تلك القارة أرسلت اليها ١٦٠ الف مجرم - معظمهم نشّالون ومحتالون ولصوص - من انكلترا واسكوتلندا وايرلندا.

ولكن مع مرور الزمن على ذلك النسب الوضيع تلاشى حسّ الذنب والخجل الملازم له. ومن الوقائع الطريفة ما توصلت إليه آن آش من ملبورن حين وجدت أن جدة جدها سرقت معطفاً وشالا من المنزل الذي كانت خادمة فيه. لكن آن تقول: "لقد عثرنا في الوقت نفسه على معلومات تجعلنا نظنّ أنها كانت عشيقة صاحب المنزل."

صحيفة "لوس انجلس تايمس"

تحدّي الصرع

داء يزيد من خطره الخوف والجهل. هنا رواية شاب تعلم أن يعايشه

كنت في الثامنة عشرة من عمري حين شاهدت نوبة صرع(١) للمرة الاولى في حياتي. حدث ذلك عام ١٩٧٩ وكنت طالباً في السنة الاولى في الجامعة، اذ رأيت عامل مطبخ يسقط في قاعة الطعام متشنجاً. كانت يداه ورجلاه تنتفض وقد جثم فوقه أربعة طلاب يحاولون تهدئته، وكادوا في أثناء محاولتهم تثبيته أن يخمدوا أنفاسه. كان وجه الشاب محمراً متوتراً وجسمه يتلوّى من شدة الالم، وبدا كأنه من عالم آخر. تخيلتُ نفسي مكانه، فقد أخبرني الاطباء قبل مدة أنني مصاب بداء الصرع.

لم أرد أن أتفوه بكلمة، ولكن خطر لي أن الطلاب الاربعة قد يقضون عليه لشدة ذعرهم. فساورني الهم وأشرت على أضخمهم أن يرخي رأس المصاب الذي كان ممسكاً به. لكن الطالب نهرني قائلا: "اعلم أيها الفتى أنني طالب طب وأعرف تماماً ما افعل. فما الذي يجعلك تظن أنك تعرف اكثر؟"

حاولت أن أرد عليه فخانني الكلام. وبدلا من ذلك انتحيت زاوية واتكأت على الجدار. وكلما ازدادت تشنجات الشاب عنفاً خلتني بديلًا منه.

كان التشخيص أثبت اصابتي بداء الصرع قبل أربعة أسابيع. وحذرني طبيب الامراض العصبية - كذلك فعل أفراد عائلتي - من أن المجتمع سينبذني اذا لم أكتم حقيقة دائي. ونصحني الطبيب، في

(١) Epilepsy

Condensed from The New York Times Magazine (January 11, '87),
© 1987 by The New York Times Co., New York, N.Y.

حال اعتزمت أن أخبر أحداً، بأن أدعو المرض "نوبة اضطراب" تخفيفا من وقعه المرعب.

مرت سبع سنوات على ذلك المشهد المؤلم، ولا يزال من الصعب علي أن أسلّم بأنني مصاب بداء الصرع.

لا تحسن - يشمل داء الصرع عشرين ضرباً مختلفاً من النوبات هي تفجرات لا ضابط لها (من الطاقة الكهربائية) في الدماغ. والتشنجات هي أحدها، وإن تكن من بين أكثرها مأسوية. ونصف عدد المصابين بالصرع يشكون مما أشكو أنا منه: داء صرع تلقائي، اي لا سبب معلوماً للنوبات.

لقد اصابتني نوبات كثيرة وأنا في طور النمو، انما لم تكن عائلتي أو أصدقائي، ولا أنا، على علم بذلك. وبمقدار ما تعود بي الذاكرة أسترجع نوبات تحديق الى الفراغ ولحظات شرود يغيب فيها ذهني لبضع ثوانٍ. ومع أني أطلعت طبيبي وأفراد عائلتي على حالتي هذه فانهم لم يعتبروا النوبات ذات مغزى.

انما خلال النصف الاول من السنة الدراسية الاولى في الجامعة، فيما كنت ورفاقي في قاعة النوم نلعب بخشونة، صدمت رأسي بكرسي فأصبت بارتجاج مخّي. لا يعرف أحد هل أثّر الارتجاج في نوباتي، لكنّ نوبات الشرود غدت أكثر تكراراً وجسامة.

كنا مرة في قاعة الطعام عندما أدركت فجأة أن الجميع شاخصون اليّ. شعرت ببلل في حضني فظننت أن أحداً رماني بشيء. لكنّ الحقيقة أنَّ نوبة أخذتني وفي يدي قدح مرطبات، فسقط بين رجلي وتكسّر. وتلت الحادث أول نوبة قوية أصبت بها.

وصف لي طبيب الامراض العصبية دواء "تيفريتول" المضاد للتشنجات فظننت انه سيوقف النوبات حالا. لكنني كنت على خطأ، وعلمت لاحقاً أن النوبات لا تُضبط غالباً منذ المحاولة الاولى أو أن الاعراض الجانبية قد تأتي بالغة الشدة. عندذاك يتعين تغيير العلاج أو تجريب عقّار آخر.

أخذت أتكيف مع قيود حالتي الجديدة، فامتنعت عن القيادة وأنا تحت تأثير النوبات، وفرض علي أن أستكين الى الراحة وعدم تناول المشروبات الكحولية.

أطلعت زميليّ في قاعة النوم كارل مور وفرانز باش على نتيجة التشخيص وشدّدت على أهمية كتمان السرّ. وفي المساء، عندما تحدث النوبات عادة، كنت ألزم غرفتي لاخفاء علتي.

كانت النوبات تتّبع وتيرة واحدة. وكان كارل وفرانز يطلعانني على سلوكي المتكرر. عند اقتراب النوبة أتباطأ عقلياً وجسدياً فيثقل نطقي وتتعثّر كلماتي، ثم يعلو الشحوب وجهي وتتسع حدقتا عيني ويصعب حملي على المشاركة في الحديث.

عندما تبدأ خلايا عشوائية في الدماغ التفجيرات الكهربائية أحس "نَسْمَة" تسبق الصرع وحالاً من الانفصال. فيأخذ رأسي ينبض وأرى ومضاً من النور. وعندما تجتاح العاصفة الكهربائية دماغي أقع على الارض فاقداً الوعي. فتنكمش عضلات جسمي ويصطك فكّاي بشدة، وقد تغرز اسناني في شفتيّ أو لساني أو خدي فتدميها. وينتفض جسمي برهة لا تتعدى

عادة دقيقة واحدة. في تلك الاثناء تزداد كمية اللعاب في فمي وتتحول زبداً، ويختل انتظام تنفّسي الذي قد يتوقف أحياناً. وقد أصاب بالسلس(٢).

ومتى انتهت التشنجات أنام نوماً عميقاً وان لفترة وجيزة. وعندما أستيقظ قد تتملكني نوبة صرع أخرى فتتكرر فصول معاناتي. وعندما أعود الى وعيي الكامل أجد نفسي في ارتباك شديد، فلا أعرف في أي مكان وزمان أنا ولا من يحيط بي. ويتلعثم كلامي فأتأتىء وأعجز عن طرح أي سؤال الا على من كان طويل الأناة معي.

على أثر كل نوبة صرع كنت أتصل بطبيبي وأطلعه علي حالي، راجياً أن أعرف العلّة التي حلّت بي. وفي ابريل (نيسان) ١٩٨٠ أضاف الطبيب عقاراً آخر ضد التشنج يدعى "ديباكين،" الى علاجي اليومي. ومرت أسابيع بعد ذلك فلم يطرأ علي أي تحسن.

تصرف الآخرين - كنت أثق برفيقيَّ في قاعة النوم فبدأت أخرج معهما ليلاً مجازفاً باحتمال اصابتي بالصرع في الاماكن العامة. والتقيت جوليا كتلر وكانت طالبة في السنة الثالثة، فواجهتني مشكلة جديدة هي كيف أفسر لها النوبات التي تصرعني. فقد خشيت أن تمتنع عن مرافقتي، لكنني بعد تردد طويل استجمعت شجاعتي واخبرتها حقيقة أمري. كانت جوليا رؤوفة وأرادت أن تعرف ماذا يجب أن تفعل حين أصاب بنوبة.

قلت لها إن عليها في الدرجة الاولى أن تظل هادئة وتبعد عني الاشياء القاسية وتحل ربطة عنقي، ثم تضع سناداً ناعماً كوسادة تحت رأسي وتقلبني على جنبي لتبقى مجاري التنفس حرة، ولا تضغط لتثبيت الجسم في الارض، ولا تقلق في شأن ابتلاع اللسان.

إن الخرافة الشعبية القائلة بأن الصريع يبلع لسانه مؤذية جداً. فخلال النوبات التي كانت تصيبني في غياب زميليّ في غرفة النوم كان بعض الحسني النية يحشرون جسماً قاسياً بين فكيّ خوفاً من أن أبتلع لساني وأختنق. ونتج من ذلك أن أسناني كادت تتحطم وهي تضغط ذلك الجسم القاسي.

وليس من الضروري استدعاء سيارة اسعاف الا حين تدوم النوبة اكثر من عشر دقائق أو عندما تليها مباشرة نوبة ثانية أو عندما لا يكون هناك من سبيل لاعادة المصاب الى وعيه الكامل.

ومتى زالت النوبة وعاد المصاب الى وعيه يُشرح له بهدوء ما حدث ويُساعد، اذا ما أراد أن يذهب الى بيته لينام، بالاتصال بمن يعرفه لكي يتدبر الامر.

تجربة خاصة - بمساعدة والديّ، استشرت في مارس (آذار) ١٩٨١ طبيبَ أمراض عصبية آخر مقيماً بالقرب من الجامعة، فقال ان المعالجة السابقة لم تكن فاعلة. وضاعف جرعات الادوية وطلب مني أن أتصل به بعد كل نوبة.

بعد الاتصال الثالث زاد الطبيب كمية الادوية ثانية واستمر في الزيادة الى أن بلغ ما كنت أتناوله في أواخر ابريل

(٢) السَلَس هو عجز الجسم عن ضبط البول أو الغائط.

(نيسان) احدى عشرة حبة يومياً.

فبدأت أترنح قليلاً في مشيتي وأصبت بغثيان دائم رافقته حرقة في فم المعدة. وعندما بدأ شعري يتساقط بين يديّ تيقنت أن العلاج يزيد حالتي سوءاً. وعلى رغم ذلك عزا طبيبي أعراضي الى الاجهاد.

في يونيو (حزيران) كان وزني تدنى ستة عشر كيلوغراماً وأنهكتني النوبات المتتالية، فذهبت مع صديقي كارل الى مدينته حيث عاينني أحد الاطباء الذي وجد نتيجة فحص الدم أن الادوية التي أتناولها وصلت بي الى حد التسمم. كانت هذه العقاقير تخفّف انتاج نقي العظم وتحدث لي أعراض فقر دم. فأوقف الطبيب المعالجة وأبدلها بمضاد آخر للتشنجات.

رجعت نتائج فحوص دمي الى سويّتها وخفت حدة التشنجات، لكنها ظلت تعاودني غير مرة في النهار وكانت أكثر تنوعاً نظراً الى سرعة ابدال الدواء. وطفقت أهوي الى الارض من دون انذار. وسقطت مرة في الماء الغالي، وأخرى على السلم، وثالثة وسط شارع مزدحم بالناس.

تيقنت آنذاك أنَّ حالتي ميئوس منها وأنْ لا خيار لي أن أعيش في سوى هاجس دائم منتظراً النوبة التالية.

في أواخر الصيف ذهبت، على رغم مني، الى البيت ليعاينني طبيب اعصاب جديد كانت امي التقته. وكنت سئمت الاطباء وبت مقتنعاً بأنني لن أحيا حتى أتخرج في الجامعة وأنني سأقضي اما بسكتة دماغية واما بحادث اصطدام سيارة واما بالانتحار.

عندما التقيت طبيب الامراض العصبية، الدكتور آلن ناردين، بدا لي غريب الاطوار. كان مرحاً غير منعزل، يختلف عن سائر الاطباء. وكان يستشهد بالميثولوجيا الاغريقية بمقدار استشهاده بمراجعه الطبية. فشرح لي بتؤدة ولطف لماذا يفكر في تجربة معالجة خاصة، وهذا ما لم يفعله أي طبيب عالجني قبله.

كان ضد اخفاء حالتي لان ذلك يجعل الناس حولي غير ملمّين بمرضي ويجهلون طرق مساعدتي. وقال أيضاً انه لا يضمن لي شفاء كاملاً بل يعدني بتمكيني من ضبط نفسي على نحو أفضل.

بعد اجراء الفحوص اللازمة وصف لي الدكتور ناردين دواء آخر ضد التشنج يدعى "ديلاتين" فتوقفت عندئذ صرعاتي المفاجئة وانخفضت تشنجاتي الى مرتين في الشهر، وبدا لي أن حياتي عادت اليّ.

"أنا أعرف" – رجعت الى الجامعة في سبتمبر (أيلول) ١٩٨١. وكنت سعيداً بتحسن حالي على رغم أن الدواء كان يسبب لي خمولاً ويغيّر شخصيتي فأزداد تجهماً. وبدأت أطلع اصدقائي على حالي، مخفّفاً العبء عن كارل وفرانز. وخلال الاسبوعين التاليين صُرعت مرتين خارج غرفتي، فأسعفني جهاز الأمن والصحة في الجامعة لا رفيقاي في غرفة النوم.

عندئذ تلقيت من ادارة الجامعة أمراً بالفصل لاعتلال صحتي. كان ذلك في الاسبوع الاول من نوفمبر (تشرين الثاني)، بعد ثمانية أسابيع من قراري عدم اخفاء علتي. وها ان استقامتي

١٩٨٨
أفلتت زمام حياتي من يدي!

أثار تدبير الادارة الجائر نقمتي وغضبي الشديدين، فأخذت أهدد وأتوعد صارخاً في وجوه أصدقائي وأفراد عائلتي حتى انهم جميعاً خشوا أن أفقد عقلي.

ولكن في ديسمبر (كانون الاول) علمت أن قرار الجامعة ربما انتهك القانون الذي ينص على ضمان حقوق المعاقين. وفي يناير (كانون الثاني) عدت الى الجامعة وتابعت دراستي في العلوم السياسية الى أن تخرّجت بامتياز في مايو (أيار) ١٩٨٣.

انني أقيم الآن في نيويورك حيث أعمل في صحيفة "نيويورك تايمس." وأحمل بطاقة دوّنت فيها أرقام هاتف الاشخاص الذين يجب الاتصال بهم لمساعدتي في حال تعرضي لنوبة مفاجئة. لقد ضُبط مرضي لكنني ما زلت أعاني بعض التشنجات ولا أقود سيارة.

في الثانية والعشرين من عمري شاهدت للمرة الثانية شخصاً يصاب بنوبة صرع. كنت في واشنطن اخضع لاول مقابلة لي في شأن طلب عمل بعد تخرجي في الجامعة، حين سمعت استغاثة: "هل من أحد هنا يعرف شيئاً عن نوبات الصرع؟"

فتوقفت في منتصف حديثي وصرخت: "أنا أعرف."

أُخذت الى الخارج حيث كان رجل مسنّ ملقى صريعاً في الشارع. فنزعت سترتي ووضعتها كوسادة تحت رأسه كي لا يضرب أرض الشارع. وأخذت أتفحص جيوبه لاتثبت من دلائل اصابته بالصرع، كقارورة دواء أو بطاقة. ولاحظت الخوف على وجوه الناس حولنا. وأدهشني أن أمراً قليل الشأن كهذا يسبب مثل هذه الصدمة.

واذا بأحدهم يخرج من عمارة حاملاً ملعقة ليولجها في فم الصريع. فمنعته وشرحت له بهدوء أن ذلك ليس ضرورياً. فخف التوتر السائد في الجمهور.

أفاق الرجل من صرعه وبدا في حال ضياع. فشرحت له ما أصابه. وساعدني رجلان فأدخلناه المكتب، حيث كنت، فجلس واستعاد وعيه وهدوءه تدريجاً.

بعد ذلك طلب مني أن اساعده للذهاب الى بيته، فرافقته لأطمئن الى أنه استعاد قوته.

وفيما نحن سائران في الشارع في ذلك النهار المشمس قلت للرجل ألّا يشعر بالحرج واني أتفهم شعوره لاني أعاني الداء نفسه.

لدى بلوغنا المنعطف أخذ يدي وضغطها قائلا: "سيكون كلانا على افضل ما يرام."

راقبته وهو يعبر الشارع ببطء، وللمرة الاولى تيقنت انني فعلا على ما يرام.

كورت ايكنفالد

كل شيء ممكن حتى تثبت استحالته. حتى المستحيل يمكن اعتباره مستحيلا فقط منذ تلك اللحظة.

بيرل باك، كاتبة أمريكية حائزة جائزة نوبل

إيف سان - مارتان
فارس العصر

سجلّ خارق حافل بأكثر من ٣٣٠٠ فوز يبقي هذا البطل الاسطوري أروع فارس عرفته فرنسا

كانت الشمس تميل الى الغروب فوق ميدان سباق سان كلو في ضواحي باريس عندما أُعلنَ عبر مكبّرات الصوت، بدء آخر سباق لذلك النهار. ولم يكن بين الاحصنة المشتركة في ذلك الحدث الصغير يوم ٢٥ ابريل (نيسان) ١٩٨٥، حصان واحد سبق له ان فاز في اي سباق. ربما كان ذلك بسبب سوء في الطالع او في التمرين او، ببساطة، بسبب نقص في التحضير!

ولكن ما ان ظهرت الفرس الكُميْت "صنجامَ غولد" في المقدم يمتطيها إيف سان - مارتان (٤٢ عاماً)، حتى خيّم على المشاهدين صمت لم تلبث ان قطعته فجأة هتافات الجمهور الصاخبة. ولم تكن حماسة الجمهورِ المفاجئة مبعثها أداء الفرس بل ما أُذيع عبر مكبّرات الصوت. فللمرة الاولى في تاريخ سباق الخيل في فرنسا يُسجل فارس مثل ذلك الرقم القياسي الخيالي، إذ بفوزه هذا حقق سان - مارتان رقم الفوز الـ٣٠٠٠.

في غرفة تغيير الملابس، بعد السباق، وفي غمرة من الابتهاج بالفوز، حُمل سان - مارتان على اكتاف من كانوا لدقائق خلت من منافسيه الاشداء. ولقد عبّر الفارس آلان بادل عن شعور الإعجاب والدهشة الذي عمّ عالم سباق الخيل: "ثلاثة آلاف فوز! لست على يقين انني اشتركت في عدد مماثل من السباقات في حياتي الرياضية!"

قليلون هم الفرنسيون الذين لم يقروا بعبقرية إيف - سان - مارتان في ركوب الخيل. ويشترك آلاف منهم كل اسبوع في المراهنة على ذلك الفارس الذي لا يتجاوز طول قامته ١،٥٨ متر. إنهم على يقين انه يملك من الذكاء، والسحر ربما، ما يجعله يفوز حتى في الظروف المعاكسة.

في الخمس والعشرين السنة التي امضاها في الميدان، حاز إيف سان - مارتان جائزة الـ"السوط الذهبي" خمس عشرة مرة. وهذه الجائزة تمنح سنوياً للفارس الذي يحقق اكبر عدد من الانتصارات خلال الموسم. وفي العام ١٩٦٣، مثلا، سجل ١٧٣ فوزاً محطماً بذلك رقماً قياسياً (١٦١) كان سُجّل في العام ١٩١١. ولم يقتصر فوزه في السنة التالية على تحطيم الرقم القياسي الذي كان سجله هو، بل انه سجّل في ختام الموسم فوزاً مدهشاً على منافسه الأقرب بفارق ٩٦ فوزاً، إذ احرز ١٨٤ فوزاً في مقابل ٨٨ سجلها الفارس الذي حلّ ثانياً.

لم يدع سان - مارتان اياً من جوائز السباقات العالمية تفوته: من لوس انجلس الى هونغ كونغ فالى اوستراليا. وفي بريطانيا فاز في السباق الاسطوري "إبسوم دربي" وفي غيره من السباقات التقليدية مثل "سباق السنديان" وسباق "الالفي جنيه" في نيوماركت و"سباق الملك جورج السادس" في أسكوت. وفي

Photo: A.P.R.H.

جنوب افريقيا ربح "الجائزة الدولية الكبرى" وحتى في قبرص وفنزويلا كانت له انتصارات باهرة. اما في فرنسا فلقد انتزع تسع جوائز في سباق "جائزة نادي الجوكي"، وخمساً في "سباق جائزة دايان"، وسبعاً في "سباق الجائزة الكبرى" في سان - كلو، واربعاً في "سباق جائزة قوس النصر" الباهرة. إنه حقاً لا يضاهى.

وربما كان المضمر العالمي فرنسوا ماتيه الذي توفي عام ١٩٨٣، افضل من ادرك سرّ روعة آراء هذا الفارس العظيم. وهو قال ذات مرة لصحيفة "ويك اند" الرياضية: "يتمتع سان - مارتان بمزيج من الصفات قلما إجتمعت في انسان واحد. وهي: الإتزان وهدوء الطبع والحسم والصبر والشجاعة المادية والادبية ومتانة الخلق وقوة العضلات. والأهم من كل ذلك الاستقامة التامة."

كان والده موظفاً صغيراً في مصلحة السجون الفرنسية. وامضى إيف معظم سنوات طفولته في مكاتب الموظفين في سجن آجان. وتمكن، وهو في الخامسة من عمره، من التآلف مع الجوادين اللذين كانا يستخدمان في ايصال الطعام الى السجن. وهو يقول في ذلك: "لقد أحسنتُ تدريبهما الى درجة انهما كانا يمدّان رأسيهما من نافذة المطبخ لتلقي قطع السكّر التي كنت احتفظ بها لهما."

بدأ مع الجزار - لاحظ المحاسب في السجن العلاقة بين الفتى والجوادين فاصطحبه ذات يوم أحد من فصل الصيف الى ميدان السباق في تولوز لمراقبة الجياد الأصيلة. وكانت هذه الرحلة أول اتصال لإيف بعالم سباق الخيل، العالم الذي ما لبث أن أصبح عالمه الخاص.

من سخرية القدر ان اول من أطلق إيف في عالم السباق، كان جزّار خيول في آجان يدعى جان اليبير. وكان هذا رجلا رقيق القلب عطوفاً، انقذ عدة أحصنة من الذبح وحولها جياد ركوب. واعتاد ايف ان يمضي الكثير من اوقات فراغه قرب الخيول حالماً بتعلم الفروسية. بدأ حلمه يتحقق على يد الجزار الذي اعطاه دروساً مجانية. ولم يمض شهر حتى اعلن الفتى لذويه رغبته في ترك المدرسة وتكريس حياته للاحصنة.

كان لفرنسوا ماتيه رصيد من الانتصارات المهمة ووفرت اسطبلاته خياراً جيداً للفتى الراغب في تعلّم الفروسية، وفي ١٥ سبتمبر (ايلول) ١٩٥٥، وصل إيف سان - مارتان، وكان عمره آنذاك ١٤ سنة، الى لو كلو - دو - روا، حيث اسطبلات ماتيه في منطقة شانتيي، ليبدأ حياة التمرين الشاقة.

لم تكن ايام سان - مارتان الاولى في إسطبلات التدريب واعدة. وعندما طُلب منه، للمرة الاولى، امتطاء حصان في جولة متواضعة لا تتعدى الالف متر، جمح به الحصان وانطلق كالرصاص يعدو خبباً متجاوزاً الثلاثة آلاف متر. وما لبث الجواد أن رمى فارسه ارضاً عندما توقف فجأة. وكان من نتيجة ذلك ان أُصيب إيف بكسور في رسغيه.

لم يكن اول سباق اشترك فيه إيف، بعد سنتين ونصف سنة، اقل نحساً. ففي آخر انعطاف له في ميدان سوانسون، وقع

عن حصانه وقعة مؤلمة افقدته الوعي لفترة تزيد على عشرين دقيقة.

لكنه حلّ رابعاً في سباقه الثاني في آميان، وثالثاً في سباقه الخامس. وفي ٢٦ يوليو (تموز) ١٩٥٨ في "سباق لو ترامبليه"، حل في المرتبة الأولى. وهو كان حقق تقدماً ملحوظاً في الاسابيع السابقة. وعندما ترجّل علّق ماتيه بقوله: "لم يعد لدي المزيد لأعلّمه اياه. اصبح يعرف كل شيء."

اعظم فارس! - يتطلّب السباق اكثر من مجرّد الوصول بالحصان الرابح الى الخط النهائي. والحصان، مهما بلغت عظمته، يعدو على نحو رديء، ما لم يكن الفارس مخططاً لامعاً. ولبلوغ هذه الدرجة من البراعة، على الفارس ان يتقن جميع الاساليب والحيل. عليه، اولا، ان يحتفظ بمسلك في الجانب الداخلي من المضمار وذلك اختصاراً للمسافة عند المنعطفات. إلا انه من جهة اخرى، عليه الا يفسح في المجال للاحصنة البطيئة في باطن المضمار ان تسدّ الطريق امام مطيته. وأخطر خطأ يمكن ان يرتكبه الفارس الذي يخرج من الصف هو ان يجعل حصانه يعدو على مسافة قريبة جداً من حصان آخر. اذ من شأن هذا الامر ان يدفع الجياد، وهي التنافسية بالسليقة، الى مضاعفة سرعتها قبل الآوان مما ينهكها ويستنفد قواها قبل الخط النهائي بوقت طويل.

ولطالما اظهر سان - مارتان مقدرة مذهلة على الافادة حتى من أشد التفاصيل دقة. ففي العام ١٩٨٢، مثلا، فاز بـ"جائزة قوس النصر" موصلا حصانه "ساغاس" الى الخط النهائي من النقطة الميتة في وسط المضمار. وكانت لفتت نظره بقعة خضراء من المضمار عرضها ٨٠ سنتيمتراً، لم يلحظها احد سواه غفت عنها حوافر الجياد ذوات الحدوات الحديد ولم تجرفها في سباق اليوم السابق. وهكذا احتفظ "ساغاس" بافضلية واضحة على سائر الجياد التي ابطأت تقدّمها الأرض الموحلة.

ولعل إحدى ميزات الفارس الكبير هي فهمه الفوري لمزاج الحصان، ولقد تجلّت عبقرية سان - مارتان الحدسية في هذا المجال في شهر يوليو (تموز) ١٩٨٤ عندما فاز للمرة الثالثة بـ"جائزة سان - كلو." وهو كان على صهوة "داليا" وهي مُهرة جفول لم يسبق لأي فارس ان سجّل معها اي فوز. ولأن المضمر موريس زيلبر كان يعرف جميع نزواتها، فلقد زوّد سان - مارتان تعليمات مفصّلة ودقيقة عنها سرعان ما بدا انها غابت عن باله فور انطلاق السباق. فبدلا من ان يوفّر قوتها الى الدورة الاخيرة، انطلق بها متقدماً الجميع. "ابله!" صرخ زيلبر من المنصة. ولكن، ما ان انقضت دقيقتان حتى سُمع وهو يهلل بابتهاج وحبور: "سان - مارتان عبقري! انه اعظم فارس في الدنيا."

جرت "داليا" برشاقة ومن دون عناء، أمام الجموع المندهشة مسجلة فوزاً رائعاً. والسبب ان سان - مارتان كان ادرك بحسّه المرهف ان المهرة تُصاب بهلع مفاجىء عندما تعدو ضمن مجموعة لكنها ما ان تنفصل عنها حتى تصبح طيّعة وسهلة الإنقياد.

سحر السرج - الساعة الثانية بعد ظهر ٦ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٤، توقفت سيارة امام ميدان سباق لونشان في ضاحية باريس. وسمع سائقها، وعكّازاه مسندان الى المقعد، يجادل الشرطي الواقف عند المدخل ويشرح له الامر: "انا سان - مارتان ومشترك في سباق قوس النصر ولا استطيع السير. دعني ادخل بسيارتي الى غرف تغيير الملابس."

فاجابه الشرطي مزمجراً: "ممن تظن انك تسخر؟ لا تستطيع السير من دون عكازين وتقول انك ستركب جواداً في السباق؟"

وكان سان - مارتان اصيب لعشرة أيام خلت بكسر في عظم الحوض في ميدان "ميزون لافيت" لكنه كان فعلا سيركب حصاناً ذلك النهار. ولم يسمح له الشرطي بالدخول بسيارته إلا بعد تدخل من ضابطه. وبعد ثلاث ساعات خرج الفارس الى سيارته متكئاً بتثاقل على عكازيه وحاملا "الجائزة الكبرى."

لم تكن الجائزة المالية البالغة قيمتها مليوناً ومئتي الف فرنك ولا السعي الى المجد ما دفعه الى مخالفة اوامر طبيبه الذي نصحه بعدم الاشتراك في السباق. بل كان كالعاشق الغيور، لم يقو على تصور سواه على ظهر الفرس "آلي فرانس" الرائعة التي يعرف وحده جميع اطوارها ونزواتها والتي له معها تاريخ من الانتصارات الباهرة في عدة سباقات مهمة. الى ذلك، كانت هذه الفرس مميزة وموهوبة وهو لن يسمح بأن يحرمها أحد بلوغ المجد الذي تستحقه. وكان يدعوها: "يا جميلتي، يا نجمتي، يا ملكتي."

لم تكن تلك المرة الأولى يشترك إيف في السباق بعد تعرّضه لإصابات بالغة. ففي العام ١٩٧٢ فاز بـ"الجائزة الكبرى" في سباق سان - كلو وكان يعاني كسوراً في ثلاثة من اضلعه. وشهد تاريخه المهني الطويل في سباق الخيل ٤٢ إصابة بكسور. ومع ذلك، ما ان يصبح على السرج، حتى تغيب عن باله كل الأخطار. وهو يقول: "انني انسى الاصابة بمجرد ان أبرأ منها وليس من رياضة أخرى أو أي شيء آخر في الدنيا يضاهي سباقاً جيداً لما يوفره من متعة وإثارة. فاستنباط الاساليب وتجنب الافخاخ واستجماع كل ما يملك المرء من قوة من اجل تحقيق الفوز، جميعها امور رائعة حقاً!"

أحد أكثر انتصارات سان - مارتان إثارة احرزه عام ١٩٨٤ عندما فاز بـ"كأس بريدرز تيرف" في لوس انجلس وهي احدى كبرى الجوائز المالية في العالم. وكان مقرراً ان يمتطي سان - مارتان الحصان "اول ألونغ" وهو فحل طال إعداده لليوم - الحدث. إلا ان مالك الحصان قرر، قبل عشرة ايام من السباق، ان يعهد به الى الفارس الامريكي انجيل كورديرو الابن والذي كانت معرفته بالحلبة تفوق معرفة سان - مارتان بها.

في غضون ذلك، كان آلان دو روايي دوبري مضمر خيول الامير كريم آغاخان الذي كان مرتبطاً بعقد عمل مع إيف، قرر في اللحظة الاخيرة انزال الجواد "لِشكاري" في السباق. وهكذا، قبل اسبوع من موعد السباق، واستجابة لنزوة طارئة، تقرر إشتراك ذلك الحصان اللامع في السباق. ومع ان سجل "لشكاري" لم

يكن خارقاً، إلا ان روايي دوبري كان متشوقاً الى معرفة طريقة سلوكه في أحد أقسى السباقات في العالم. ولم يكن إيف ليفوّت هذه الفرصة.

في نهاية صراع مضن، انتزع "لشكاي" الفوز من "اول الونغ" برقبة فهبّ نحو ٦٢ الفاً من المتفرجين المشدوهين كأنهم جسم واحد وهم يهتفون، بعدما كانوا حبسوا انفاسهم طويلا.

يقول سان - مارتان عن ذلك النهار انه كان يوم النصر الذي توّج به حياته المهنية وهي كانت حقاً حياة حافلة. وهو أعلن في الصيف الماضي، بعدما حقق ٣٣٠٠ فوز، أنه سوف "يعلّق سوطه" مع نهاية موسم ١٩٨٧.

والآن، ماذا سيفعل سان - مارتان؟

على رغم انه تخلى عن السباق في سن متأخرة، بالنسبة الى غيره من الفرسان، فانه ما زال رياضياً رائعاً، وهو يقول: اتوصل الى قرار حاسم بعد. ولكن مهما يكن نوع العمل الذي سأختاره فإنه حتماً سيكون مع الخيل. اني شغوف بها كثيراً وسأتذكر دائماً اللحظات العظيمة التي عشتها في الميادين."

جان - ماري جافرون

اختبار سلوكي

كانت ردهة جناح النوم في الجامعة ملتقى لكل المقيمين. وكانت جدرانها معرضاً دائماً لدعوات الى حفلات ولمواعيد اجتماعات ولعروض بيع وسواها، باستثناء جدار واحد ظل نظيفاً، لولا اعلان صغير مكتوب بخط اليد صنيع فريق صغير من الطلاب. فقد تسلل هؤلاء ذات ليلة الى الردهة وثبتوا اعلانهم كاختبار للسلوك البشري. وفعل الاعلان فعله كالسحر طوال سنوات، مع ان كل ما ورد فيه هو: "رجاء، استعمل الجدار الآخر."

م.س.د.

بيت الزوج وبيت الزوجة

قبل رجوعي بالطائرة من زيارة ابنتي رتبت الامور بحيث يلاقيني زوجي الى المطار. وزيادة في الحيطة طلب زوجي إذناً خاصاً بدخول قاعة الوصول. فسأله الضابط المسؤول: "ولأي سبب تريد الدخول؟ وكم من الوقت ستمكث هناك؟"

فأجاب أنه يريد استقبال زوجته واعادتها الى البيت.

وبلهجة رسمية طرح الضابط سؤالين آخرين: "هل البيت نظيف؟ وهل وضعتَ وروداً نضرة على الطاولة؟"

ف.ك.

كل من يدّعي أنه يقرأ أفكار المرأة يفوّت كثيراً.

غ.م.

تطوَّرت السيارة الرباعية الاندفاع من حصان شغل وضيع الى قاهرة طرقٍ فالى سيارة سباق معقَّدة... انها انجاز تقني رائع في القيادة الممتعة والآمنة

سَيَّارة الغدْ

4 wheel drive

في أغسطس (آب) ١٩٨٧ أضاء سماء منطقة جبال الالب مساء وهج نار هائلة أُضرمت في الهواء الطلق في مركز التزلج الفرنسي "فال ديزير"، وتحلق حولها تحت سماء مرصعة بالنجوم حشد من الرجال والنساء والاولاد قدموا من اثنتي عشرة دولة. وقد جمعت هؤلاء الناس هواية مشتركة هي افتتانهم بالسيارات ذات الاندفاع الرباعي العجلات (١).

وسر افتتانهم هذا تمثل في السيارات التي كانت متوقفة في كل مكان حولهم، ومنها سيارات "رانج روفر" و"جي - واغون" و"لاند كروزر" و"باندا" وكثير غيرها. اما المناسبة فهي المعرض الدولي السنوي الرابع لسيارات الاندفاع الرباعي العجلات وسيارات الحقول والارياف.

سيارة "سانتانا S-410» صنع اسبانيا بترخيص من شركة "سوزوكي."

وفي اثناء العرض الذي دام اسبوعاً، تدفق ٣٥ ألف شخص الى فال ديزير ليظهروا اعجابهم بتشكيلة وسائل النقل الرباعية الاندفاع ومنها عربات الـ"ستايشن" العائلية والشاحنات الضخمة والشاحنات الصغيرة والحافلات وسيارات الاطفاء.

أبرز النجاح السريع لمعرض فال ديزير "ظاهرة اجتماعية جديدة" على حد تعبير هنري أودوي الأستاذ الجامعي الفرنسي الذي أسس مهرجان الرباعيات في العام ١٩٨٤. والحقيقة أن مبيعات جميع أنواع السيارات الرباعية لم يسبق أن ازدهرت كما اليوم، بأثمان تترجح بين ١٠ آلاف دولار لسيارات "فيات باندا" و٤٠ ألفاً للـ"رانج روفر." وفي فرنسا وألمانيا الغربية زادت مبيعات السيارات المستخدمة في حقول الخدمات والعمل خمسة أضعاف خلال السنوات السبع الاخيرة، وهذه الظاهرة هي ذاتها في بقية أوروبا وفي أمريكا.

قد لا تكون فكرة الاندفاع الرباعي رائدة لانه سبق لفرديناند بورش، مبتكر سيارة السباق التي تحمل اسمه، ان وضع تصميماً لسيارة كهربائية رباعية. لكن هذه الفكرة ظلت نظرية عشرات السنين الى حين اندلاع الحرب العالمية الثانية التي تمخضت عن سيارة "جيب" الجيش الامريكي. ويعزى العنصر الرئيسي في رواج الـ"جيب" الى ناقل الحركة المتين الذي يمكن نقله من حال الاندفاع الثنائي الى حال الاندفاع الرباعي، مع أن سرعتها لا يعتد بها ولا يمكن القول إنها كانت مريحة. وتلك التي استخدمت بعد الحرب لاغراض مدنية انما استعمل معظمها في الزراعة والعمل.

ثم ظهرت سيارة "رانج روفر" الرباعية في العام ١٩٧٠ وهي تمتاز بالسرعة والراحة وتجمع بين منافع السيارة الريفية ومزايا السيارة الخاصة. فجمالها كلاسيكي، وهي قوية وناعمة وفخمة. وقد دهش مصمموها البريطانيون من سرعة رواجها في مدن أوروبا حيث أصبحت رمزاً للمركز الاجتماعي الرفيع.

وما لبثت أن ظهرت في الاسواق سيارات للخدمة في الريف، خصوصاً من اليابان، فنشأت على أثرها حركة "السيارة الخضراء" التي ألهمت السائقين أن يتوجهوا الى الحقول والجبال، وينشئوا النوادي وينظموا سباقات الـ"رالي" التي لا تشدد على السرعة بل على قدرة التغلّب على العقبات الطبيعية. هؤلاء كانوا المتحمسين الذين تجشموا مشقة القدوم الى فال ديزير للقيام برحلات اختبارية مع سائقي المصانع في أراض وعرة يمتنع قطعها حتى على البغال.

مشاكل تقنية – على سبيل التجربة ركبت سيارة "مرسيديس" جي – واغون." وما كدت أستقر في مقعدي حتى كان مقدم السيارة يندفع نزولا في منحدر صخري اضطرني الى الوقوف في مقصورة الركاب ممسكاً بالمقعد الامامي خشية الاندفاع الى حاجب الريح الزجاجي.

كان السائق يقود السيارة بين الحجار الكبيرة وفوقها، وقد أقام توازناً بين

(١) Four-wheel drive

Photo : S. Taragnat / Pentax, courtesy of 4×4 Magazine

مقدمها ومؤخرها عبر ترجحها بين عجلة اليسار الامامية وعجلة اليمين الخلفية، فيما ارتفعت العجلتان الاخريان في الهواء. وكنت أخشى كلما دَفَع السيارة الى الامام أن تنقلب بنا انقلابة بهلوانية كاملة. لكنه أعاد العجلات بحركة بارعة الى خط الطريق القويم وتابعنا سيرنا نزولا بأمان.

وسواء كانت سيارات العرض تسيّر صعوداً او نزولا، فقد كانت قوة تمسّك العجلات الاربع بالارض واضحة جداً. وقد بقيت هذه الميزة في طي النسيان لا يعيرها صانعو السيارات الاهتمام الوافي الى أن فتحت أعينهم عليها قبل عقد بفعل المنافسة الشديدة للفوز في سباقات الرالي.

عام ١٩٧٧ ابتدعت شركة "أودي" صانعة السيارات الالمانية المعروفة بهذا الاسم، فكرة تزويد سيارة سياحية عالية الكفاية اندفاعاً رباعياً. وبعد ثلاث سنوات ولدت أول سيارة رباعية في العالم وهي "أودي كواترو" التي أثارت اهتمام العموم. وبالمقارنة مع السيارات الرباعية السابقة تبدو هذه، بخطوطها المتناسقة الناعمة ورشاقتها وشدة تشبثها بالطرق الثلجية والموحلة والزَلِقَة، وبناقل الحركة المصغّر والمدمج بمهارة، كتحفة فنية بين جرارات.

برزت سيارة "أودي كواترو" في مضامير السباق فأحرزت الانتصار تلو الانتصار. وفي ١٩٨٢ نالت بطولة العالم لسيارات الرالي، وعام ١٩٨٤ في رالي مونت كارلو احتلت المراتب الاولى والثانية والثالثة مما أثبت أن لا سبيل الى احراز انتصارات في السباقات الكبيرة والصعبة ما لم تكن السيارات مجهزة بقوة رباعية. وما لبثت شركات "لانسيا" و"بيجو" و"أوستن" أن واجهت التحدي فصنّعت سيارات خاصة بها.

يتكهن يورغ بنسنجر رئيس قسم تطوير الهيكل (الشاسي) والنوابض في المقر الرئيسي لشركة "أودي" في إنغولشتات بما يأتي: "ان تزويد السيارات السياحية قوة رباعية قد يكون من أهم التحسينات المثيرة في تكنولوجيا انتاج السيارات. ولن تمضي بضع سنوات حتى تكون السيارة الرباعية ضمن الخيارات التي تقدمها كل شركات السيارات المتطورة."

وبرزت مشاكل تقنية هائلة في مجال تجهيز سيارات الركاب الكبيرة العالية السرعة قوة اندفاع رباعية، كانت أصعبها

"بورش ٩٥٩" ذروة تكنولوجيا الاندفاع الرباعي العجلات.

Photo: Courtesy of Porsche A.G.

مشكلة الكوابح. ففي السيارات التي تم صنعها أولا كان نقل القوة من عجلتين الى أربع عجلات مدمجاً في وحدة متكاملة - بما فيها الكوابح. وذلك يعني أنك حين تضغط الكوابح بقوة تتوقف العجلات الامامية والخلفية معاً وللحال، مما يتسبب غالباً في انزلاق السيارة وفقدان السيطرة عليها. لكن هذه المشكلة حلّت بالابتكار والبحث الطويلين. وأصبح ناقل الحركة المدمَّج للاندفاع الرباعي يعمل في كبح السيارات بالفاعلية ذاتها التي يؤمنها ناقل الاندفاع الثنائي.

ثم كانت مشكلة توزيع القوة بين مقدم السيارة ومؤخرها. هل يجب أن يكون التوزيع متساوياً كما كانت الحال في سيارتي الاودي والجيب؟ أم يجب زيادة قوة طرف أكثر من الطرف الآخر؟ أم يجب أن تتباينِ القوة وفقاً لاحوال القيادة؟

لم تحظَ هذه الاسئلة باهتمام هندسي مبتكر كما حظيت في ألمانيا الغربية. ولكي أستزيد من المعلومات عن هذا الموضوع قصدت أربعة من كبار صانعي السيارات الالمان الذين يختلف جهاز الاندفاع الرباعي لديهم الواحد عن الآخر. فهؤلاء، مع شركة سيارات "أودي"، يمثل انجازهم خلاصة ما وصل اليه هذا الفن التقني.

قطعة معقدة - قال المهندس غونتر كلوسماير المتحدث باسم شركة «BMW» وهو ينطلق برشاقة صعوداً في طريق جبلية مكسوة بالثلج في سيارة المصنع من طراز «BMW 325 iX»: "هل ترى؟ انك تقودها كرقاص ساعة." وزاد السرعة في دفعات عاجلة لكي يلف المنعطفات الحادة، فكان مقدم السيارة يندفع موجَّهاً الى زاوية المنعطف الداخلية فيما مؤخرها يقتفيه ملتفاً معه بانسجام تام.

كانت هذه حقاً قطعة ميكانيكية معقدة، جهاز اندفاع رباعي العجلات ينقل فيه الترس التفاضلي المركزي (٢) ٦٣ في المئة من قوة المحرك الى العجلتين الخلفيتين و٣٧ في المئة الى العجلتين الاماميتين. ومهندسو شركة «BMW» لم يتوصلوا مصادفة الى هذه المعادلة. فكل سيارة تختلف عن الاخرى بتوزّع الوزن وقوة المحرك ومجموعة النوابض. وكل صانع سيارة يصمم الصيغة التي تفي بمتطلبات سيارته الخاصة. مثالا على ذلك، تستخدم شركة "فورد" في ألمانيا المعادلة ٦٦ - ٣٤ لسياراتها "سييرا" و"سكوربيو" الرباعية الاندفاع. وتستخدم شركتا "فورد" و«BMW» قارنات (٣) هيدروليكية لزجة تنقل القوة بين المحورين الخلفي والامامي. ويتم ذلك بوساطة اقراص (ديسكات) تستمد قوتها مباشرة من المحرك وتحرك مغطساً من زيت السيليكون الكثيف، فينقل القوة الى مجموعة ثانية من الاقراص موصولة بالعجلات.

طور هربرت شوستر، رئيس قسم تطوير السيارات السياحية واختبارها في مصانع "فولكسفاغن" في ولفسبرغ، جهاز تزامن (سينكرو) مبتكراً لسيارة الشركة من طراز "غولف"، ينقل قوة المحرك تلقائياً الى حيث الحاجة اليها. ففي

(٢) Central differential
(٣) Couplings

حالات السير صعوداً على طرق جليدية، مثلا، تنتقل القوة الى العجلتين الخلفيتين، وفي بعض حالات السير نزولا تنتقل الى العجلتين الاماميتين. فبفضل نقل القوة الى العجلات التي هي أشد تمسكا بالارض يزيد هذا الجهاز الرباعي قدرة سيارة "غولف" ٧٣ في المئة تسلقاً و١٤٩ في المئة قطراً و١٣٠ في المئة تسارعاً على الجليد في الانتقال من الصفر الى ١٠٠ كيلومتر في الساعة.

سيارات الغد – في مقر "دايملر – بنز" الرئيسي في شتوتغارت شرح فرنر فايلر، مهندس الابحاث والتطوير، كيف أتقنت شركته فكرة القوة الرباعية باستخدامها الدماغ الالكتروني. وقد قدت سيارة "مرسيديس 300 E» لاختبار نقل القوة فحضني فايلر قائلا: أسرع بمقدار ما تبلغ بك الجرأة." كانت القوة الطاردة (٤) خلال الدوران في حلبة الانزلاق تشدنا الى حزام الكتفين، وعلى رغم ذلك أصرّ فايلر على أن أزيد السرعة. واذا بالسيارة تخرج من الحلبة وتأخذ في الدوران بسرعة على ذاتها.

"حسناً،" قال فايلر، "سأتحول الآن الى القوة الرباعية الاوتوماتيكية (٥)." حرك المفتاح وقال لي: "أعد الكرَّة." زدت السرعة على عجل، واذا بضوء أصفر يظهر فيضيء ويخبو على لوحة الاجهزة. قال فايلر: "ان أجهزة التحسس الالكترونية بدأت تكتشف انزلاق العجلات فحولت القوة اليها كلها. والآن زد سرعتك."

أخذت السيارة تميل يساراً ويميناً، لكن الانزلاق خف حين رفعت قدمي عن دوّاسة الوقود وتمكنت من ارجاع السيارة الى الخط المستقيم بدفعات تسارعية خفيفة. وشرح لي فايلر الامر قائلا: "لا يتيح لك الاندفاع الرباعي الأوتوماتيكي لف المنعطفات على نحو أسرع، بل تفادي الخروج عن الطريق عندما تبلغ سرعة انطلاق السيارة حدّ الدوران على ذاتها بسرعة فائقة."

ويحتل الدماغ الالكتروني مركز الصدارة في سيارة "بورش" حيث تتمثل، في طراز "٩٥٩" بقوة ٤٥٠ حصاناً، قمة تكنولوجيا الاندفاع الرباعي حالياً. وهذه السيارة الرائعة لها من الاتقان والقوة ما يمكّنها من بلوغ سرعة ٣٢٠ كيلومتراً في الساعة. وقد صممت أصلا كمقياس لاختبار التحسينات المرسومة. أما ثمنها المعلن البالغ ٤٢٠ ألف مارك ألماني فيضعها في مصاف أغلى السيارات في العالم. وقد اشتد الطلب عليها حتى ان طراز "٢٠٠" للسياحة أنتج منه عدد محدود وبيع قبل أن يخرج أول نماذجه من المصنع (٦).

لماذا؟ لانه ليسَ هناك سيارة تداني "بورش" سرعة أو تسارعاً أو تعقيداً تكنولوجياً. ويمكن برمجة الطراز "٩٥٩" كي تسير السيارة أوتوماتيكياً بنعومة أو خشونة طبقاً لمقتضيات الطرق. انها ترفع هيكلها وتخفضه وفق السرعة، وتنبّه السائق حين يخف الهواء في الاطارات، وتتيح له أيضاً اختباراً للبرامج

---

(٤) Centrifugal force

(٥) 4-matic

(٦) أنتجت ٢٠٠ سيارة من طراز "٩٥٩" بيعت كلها ولا نية في انتاج غيرها.

الالكترونية للسير في المطر أو الثلج أو الطقس الجاف أو للاندفاع الكامل بسرعة متدنية، وهي ميزة أظهرت فائدتها في الاوحال وكثبان الرمل في سباق باريس – داكار الذي فازت فيه سيارة "٩٥٩" (٧٠٠ حصان) عامي ١٩٨٤ و١٩٨٦.

كيف، يا ترى، ستكون سيارات الغد؟ ستكون من دون شك مجهزة بقوة اندفاع رباعي العجلات. وها ان صانعي السيارات اليابانيين يبدلون سياراتهم القديمة "القابلة للتحويل" الى ناقلات القوة المدمّجة الاكثر تعقيداً. وفي ايطاليا ابتكرت شركة "لانسيا" طراز "دلتا HF» المزوَّد ترساً تفاضلياً لتوزيع القوة بنسبة ٥٥ – ٥٦ بين العجلات الخلفية والامامية. وشركتا "ألفا روميو" و"فيات" تعرضان حالياً سيارات "قابلة للتحويل" وتجريان دراسات لانتاج سيارات اكثر تطوراً نظير سيارة "لانسيا."

هل عليك أن تقتني سيارة رباعية الاندفاع؟ أشد المتحمسين للقوة الرباعية مقتنعون بأن ناقل القوة المدمج هو السمة الغالبة لسيارات الغد. لكن التقليديين يرون فيه "أداة اضافية" تساعد على قيادة أفضل في الطرق الثلجية والموحلة وفي قطر حافلات التخييم والعربات الكبيرة.

ولكن لا أحد ينكر أن القوة الرباعية هي انجاز تكنولوجي رائع في حقل القيادة الآمنة والممتعة. ويقول فايلر من شركة "مرسيديس": "ان جهازنا ليس معداً للسائق الارعن المتهوّر، لكنه الفاصل بين القدرة على لف المنعطف والوقوع في قناة، بين بلوغ القمة صعوداً وهجر السيارة على جانب الطريق. ان تجهيز السيارة بترس للاندفاع الرباعي يزيد من كلفتها قليلا، ولكن اذا كانت هذه الزيادة تؤمِّن الوقاية من الحوادث فانها جديرة بان تؤخذ في الاعتبار."

رودولف شلمنسكي

نشوة العلاء

عندما نتسلق الى علو ٥٠٠ متر عن سطح البحر يبدو العالم مختلفاً كلياً. فحين نسير في المدينة نرفع بصرنا لكي نرى السماء. أما على علو ٥٠٠ متر فيمكننا أن نجيل بصرنا الى أعلى والى أسفل فتبدو السماء أرحب والمناظر أجمل والافق أوسع مدى وقلوبنا أكثر انشراحاً.

ليس من الضروري أن نكون متسلقي جبال محترفين هدفنا الوصول الى علو ألوف الامتار كي نحفر أسماءنا على صخرة. ان هذا يدعى "قهر الجبال"، وإن كنت قاهراً فلست خالياً من الهموم.

ان المتسلق المحترف لا يشاهد سوى قمم الجبال، أما نحن فنتمتع بالمنظر الخالب من علو ٥٠٠ متر.

ش.س.

بحلتها الجديدة

مجلة كل بيت

الحسناء

اسبوعية فنية اجتماعية شاملة

مواضيعها مفيدة، غنية، مبسطة تهتم بشؤون كل بيت :

- منوعات
- تحقيقات ومقابلات
- فن
- ثقافة
- تجميل
- اناقة
- مشكلة وحل
- طب
- مطبخ
- طبيعة
- حديث الابراج
- بالاضافة الى عدة ابواب اخرى

دائرة المعارف

تضمّ الدائرة في هذا العدد أسماء مذكرة بصيغة المؤنث. وقد وضع أمام كل كلمة أربعة معان، واحد منها صحيح. والمطلوب من القارىء أن يختار المعنى الذي يعتبره مناسباً، ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة ويقيس مستواه.

١. علّامة: كثير الانتقاد - شديد الملاحظة - عالم جداً - سيّد.

٢. راوية: كذّاب - سقّاء - جواد - مَن يروي الحديث.

٣. ذوّاقة: كثير الذوق - شره - طبّاخ - متكلم بليغ.

٤. رحّالة: صانع سروج - راعٍ - كثير الترحال - بدوي.

٥. طاغية: عاشق مشتاق - ظالم - عجوز - زوج امرأتين.

٦. صنيعة: ابن - متصنع متكلف - حرفي - ربيبٌ تابع.

٧. خليفة: جد - قائد - شهيد - مَن يخلف غيره.

٨. حُجّة: واسع العلم - زعيم - نصير - مبتكر أحاجيّ.

٩. رهينة: منازع - مقيَّد - محب للمال - مقامر.

١٠. بحّاثة: شَكوك - معلّم - كثير البحث - لا يعجبه العجب.

١١. داهية: ذو دهاء - متزلف - مثيل - طالب ثأر.

١٢. عنترة: ذباب - عبد - فارس شجاع - يتيم.

١٣. ضُحكة: لطيف المعشر - كثير الضحك - سعيد - جاهل.

١٤. هيّابة: مقدام - جميل الوجه - جبان - ذو جلال.

١٥. ثقة: صديق - نسيب قريب - وزير - يُعتمد عليه.

١٦. داعية: عدوّ - من يدعو الناس الى معتقده - مصلح - مدَّعٍ.

١٧. نابغة: شاعر - مُجيد فصيح - متطلب - خارج على قومه.

١٨. ضُجَعة: كسلان - منبوذ - مريض - مقوَّس الظهر.

١٩. قدوة: كاتب بارع - قائد - مَن يقتدى به - قاضٍ.

٢٠. أسامة: رجُل سيف - فتى صبوح - أصغر الابناء - أسد.

الأجوبة الصّحيحة

١. **العلاّمة:** العالم جداً. الأعلم: من بشفته العليا شق.

٢. **الراوية:** الذي يروي الحديث أو الشعر، والتاء فيه للمبالغة.

٣. **الذواق والذواقة:** الكثير الذوق والحَسَن التذوق.

٤. **الرحالة:** الكثير الترحال. المرحلة: المسافة التي يقطعها المسافر في نحو يوم.

٥. **الطاغية:** الظالم والجبار والمتكبر العاتي والاحمق.

٦. **الصنيعة:** الربيب التابع. يقال "هو صنيعتي" أي أنا ربيته وخرّجته واختصصته بالصنع الجميل.

٧. **الخليفة:** من يخلف غيره ويقوم مقامه، والسلطان الاعظم. وشرعاً، هو الامام الذي ليس فوقه إمام.

٨. **الحُجّة:** الواسع العلم والخبرة والحكمة. الحِجى: العقل والفطنة.

٩. **الرهينة:** المقيَّد بالشيء أو بالامر. يقال "أنا رهينة بكذا" أي مأخوذ به ضامن له.

١٠. **البحّاثة:** الكثير البحث. مَباحث البقر: القفر أو المكان المجهول.

١١. **الداهية:** ذو الدهاء. أيضاً: المصيبة. يقال "داهية دهياء" أي شديدة.

١٢. **العنترة:** الذباب أو الازرق منه. وبه سمي عنترة العبسي.

١٣. **الضُحكة:** الكثير الضحك أو من يضحك عليه الناس.

١٤. **الهيابة:** من يخاف الناس، الجبان. المهيب: من يخافه الناس.

١٥. **الثقة:** من يُعتمد عليه ويؤتمن. وقد يُجمع فيقال "ثِقات".

١٦. **الداعي والداعية:** من يدعو الناس الى معتقده.

١٧. **النابغة:** المُجيد الفصيح. أيضاً: الرجل العظيم الشأن. النوابغ: هم ثمانية من الشعراء المجيدين.

١٨. **الضُجَعة:** الكسلان الكثير الاضطجاع اللازمُ البيتَ.

١٩. **القدوة:** من يُقتدى به أي يُفعل فعلَه.

٢٠. **أسامة:** اسم جنس للاسد.

المستوى

١٧ - ٢٠: ممتاز

١٣ - ١٦: جيد جداً

٩ - ١٢: مقبول

المشوار الطويل

مرت السنون وأرغما على الافتراق
لكن حبهما ظل ينمو

مجلس العائلة في ضوضاء. لم يكن هناك اثنان من رأي واحد. أو الاحرى أنهم كانوا كلهم متفقين، ولكن...

انهم يريدون الافضل لوالديهم، ولا ريب في ذلك. كانوا دائماً أولاداً طيبين، لا شرير فيهم. وقد تحقق الجيران من ذلك خلال السنوات الطويلة عندما كانوا جميعاً تحت سقف واحد. أدركوا جيداً كم كافحت فرنشيسكا وبابلو لتأمين العافية والرفاه لاولادهما الستة. كان منزلهم مثالا صالحاً منذ البدء.

لم يكن الاولاد، طبعاً، يتذكرون البداية الحق: صبابة والديهم. لكنهم عرفوا كثيراً. سمعوا القصة غير مرة. كان أبوهم، بعد العمل طوال النهار في ورشة بناء، يسري كل ليلة عدة كيلومترات للتحدث الى أمهم من خلال قضبان شرفتها. كان حديثهما يستغرق بضع دقائق فقط، لكنها تستحق العناء.

كانت نسوة الجوار يقلن للفتيات دائماً: "لن تكنَّ أبداً كأمّكن." وكثيراً ما ردد الأب، وهو لم يكن بعد عجوزاً: "لا واحدة منكن تُقارن بأمها."

Condensed from «Final de Journada,» by Eulalia Galvarriato, taken from «Antologia de Cuentistas Espanoles Contemporáneos (1939-1966),» © 1966 by Francisco García Pavón, published by Editorial Gredos, S.A. Madrid, Spain. Illustration: Mort Rosenfeld

أصغت الفتيات بانتباه. رأين أماً سحرية تظهر أمامهن مستحقة كل ثناء، هي الامرأة الحقيقية التي تتحرك حولهن وتغسل الجوارب وتجهّز العشاء وتعمل دائماً، صبية دائمة الابتسام جالسة ابداً في كرسي من قش تنتظر قدوم حبيبها. أحببن دائماً تلك الام السحرية، أحببنها الى الآن وهي عجوز عاجزة. ما من أحد يشك في ذلك.

بعد ظهر كل أحد كان الجيران يرون العائلة التي ازداد عددها تدريجاً، تخرج معاً للنزهة. فيسألون: "ترى الى أين هم ذاهبون؟ أمن أجل التمتع بحرارة الشمس؟" تركض الفتيات الصغيرات بأثواب خفيفة أو بأوشحة كثيفة تغطي رؤوسهن، وفقاً للفصل من السنة، ووالداهن وراءهن شابكين ذراعاً بذراع فرحين بأولادهما وبعضهما بالبعض.

رأس البيت

عندما أصبحت الفتيات شابات والفتيان شباناً بدأوا يذهبون في طرقهم المتفرقة. هل كان من الممكن أن يكون الامر غير ذلك؟ كان بابلو أحياناً يسأل احدى بناته: "تعالي اليوم معي ومع أمك."

فترد: "ولكن، يا أبتِ، لدي موعد مع..."

كان الوالدان يفهمان طبعاً، فيخرجان وحدهما ذراعاً بذراع، الخطوات ذاتها، والافكار ذاتها. أمر واحد مؤكد: انهما زوجان متحابان متحدان لا نظير لهما.

بعد مدة لم يعودا يفكران حتى في دعوة أولادهما. هي وهو، هو وهي، يسيران بعد ظهر كل أحد ذراعاً بذراع.

ضحيا وتعبا من أجل أولادهما. تحفظ هي المنزل سعيداً نظيفاً، ويساعد هو على الانطلاق وانتقاء الاحذية والسراويل والفساتين ويرسل الاولاد الى المدرسة. ولم يغفل الاولاد عن جهود والديهم وكانوا لهما شاكرين.

كانت المشكلة طبعاً أن الاوضاع تغيّرت، كما يجب أن تتغير.

كبر الصغار وخرجوا لمواجهة العالم. باتت الفتيات نساء جميلات حقاً، أطول من والدتهن. وعندما تقول احدى سيدات الجوار: "أنتن جميلات، ولكن ولا واحدة منكن تشبه أمها،" لم تعد الفتيات يشعرن برضى طفولتهن الاذعاني. انهن لا يقلن شيئاً، بل يبتسمن مدركات برقة أن "الجارات تقدمن في السن."

لا يمكن القول ان الفتيان كانوا أطول من أبيهم، لكنهم كانوا أقدر منه في كل شيء. كانوا أوسع اطلاعاً كأنما هم عرفوا الحياة أكثر منه. وهو اعترف بذلك فبدا منكمشاً. أب مسكين! كيف كان طوال تلك السنوات رأس البيت غير المنازع؟

كثيراً ما ناقش الاولاد مشاكلهم متجاهلين أنه هناك. لكنه ظل يريد أحياناً أن يحافظ على سلطته. يستحضر صوته القديم في أمور يشعر بأنه الاقوى فيها، فيرعد فجأة: "لا تكونوا شرسين." ويتركونه يتكلم لأنه أبوهم. هو الرجل العجوز المسكين، وهم أبناؤه المطيعون. أيجوز أن يكون الامر غير ذلك؟

تزوج الاولاد. وذلك أمر لا مفر منه. كانوا جميعاً وسماء وما من أحد فيهم مغفل. تحوّل الابناء من متدربين الى عمال مهرة

الى "معلمين"، كل في وقته ومن دون أي مشاكل. أما البنات فتزوجن زيجات سعيدة.

كانت فرنشيسكا وبابلو سخيين مع أولادهما. ساعداهم في أعراسهم وأعطيا كلا منهم جهازاً (بائنة) وقليلا من المال. كان يجب أن يدركا أنهما سيُتركان من دون مدخرات. لم يلمهما الاولاد، غير أنهم الآن جميعاً يدفعون ثمن قِصر النظر هذا.

لم يلاحظ بابلو انه يفقد قواه، وأنه عما قريب سيتعذر عليه العمل وقتاً اضافياً ولا حتى بدوام عادي. كلاهما لم يلاحظ شيئاً. كانا قنوعين جداً، يخرجان كل أحد للنزهة ذراعاً بذراع.

انهما يسيران الآن أبطأ من ذي قبل، لكنهما ما زالا مبتهجين كأنما ليس لديهما ما يقلقان عليه. كان ذلك مغيظاً، لان الحقيقة المحزنة هي أنه كانت هناك أمور كثيرة تستدعي التفكير.

لقد أبدلا منزلهما بمنزل ابنهما البكر الذي كان ينتظر مولوده الخامس وتكاد عائلته لا تستطيع التحرك في شقته المؤلفة من ثلاث غرف. وكانت لدى الوالدين وسعة لا يحتاجان اليها، والشقة الصغيرة مشمسة وزاهية.

والحقيقة انه لم يكن لهما حظ في التمتع بالشقة الجديدة، لأن أنطونيا كانت تتحرك بصعوبة في شقتها ذات الغرفتين وهي تنتظر مولودها الثاني. والغرفتان مظلمتان جداً ورطبتان على الصغيرين... وعلى الجدين الكبيرين أيضاً، لكنهما كانا قويين. ثم ان الايجار كان أدنى، وذلك مهم. كانت المبادلة الحل المناسب للجميع.

قالت البنات: "حسناً، يا أماه، ستعيشين الآن كأميرة، وسيكون منزلك نظيفاً في أقل من لمح البصر."

كان صعباً عليها أن تقلب الفرشة وتضع الملاءة وتنفض الغبار عن الكرسي. طبعاً، كانت ثمة أمور أخرى لتعملها: جلب الماء من الينبوع في الباحة، وغسل الثياب في دلو وهي راكعة على الارض. ولكن كان العمل المنزلي قليلا جداً. كانا اثنين فقط.

غادر البيت باكراً في الصباح. اشترى الكعك من المخبز وأقام منضدته للبيع. لم يعد مطلوباً في ورشة البناء. انه لا يكسب كثيراً من بيع الكعك، لكنه لا يحتاج وزوجته الا الى مال يسير. كانا في حال حسنة والامور تسير في مجراها الصحيح.

حل وحيد

الآن بدا للاولاد أن الغرفتين رطبتان جداً، كأنما لم تكونا كذلك كل الوقت. ولاحظ أحدهم ان موضع الرطوبة في غرفة النوم يبدأ قرب الارض ويصل الى منتصف المسافة، الى السقف. وأقلقهم سعال أبيهم.

عرفت فرنشيسكا وبابلو أن أولادهما يريدونهما أن يعيشا في قصر. لكنهم غير قادرين على تحقيق ذلك، فلماذا لا يتركونهما كما كانا. انهما لا يريدان أكثر، ولا يحسبان ذلك عاراً كما يظن الاولاد.

بالله عليكم، أتركوا العجوزين في حالهما، انهما سعيدان كفاية معاً.

لا، لا. هذا عار.

وظل مجلس العائلة أياماً في جدل

عنيف. كان الجميع يريدون امراً واحداً، ولا يريدونه في آن.

لا أحد من الاولاد يعيش في راحة كافية أو يملك غرفة اضافية يأخذ والديه اليها. كان هناك حل واحد:

هو يقيم مع ولد، وهي مع آخر. وستكون الاقامة لمدة شهرين. فهناك ستة أخوة وأخوات، يأخذ كل منهم دوره شهرين كل سنة. كان ذلك العمل الصواب.

جلس الوالدان ساكتين، متجهمين، ذراعاً بذراع، كأنهما يتحديان الاولاد في أن يحاولوا التفريق بينهما. يا له من تصرف طفولي! ان الامر هو لمصلحتهما.

قالا معاً: "أتركونا وحدنا في بيتنا، نعيش كما عشنا دائماً. دعونا نموت معاً."

هراء! انهم لا يتكلمون عن الموت. الفكرة أن يعيشا عيشاً أفضل، أن يخرجا من الكوخ الرطب الحقير ويتخلصا من ألسنة الجيران المهذارة التي تردد أنهما في هذه السن يجب أن...

كفى! كفى!

لقاءات حبيبين

أخيراً اقتنعا. في الشهرين الاولين يذهب الجد الى منزل ابنه الشرطي والجدة الى منزل أنطونيا. هكذا يكونان أحسن حالا: سقف جيد فوق رأسيهما، حساء ساخن، ثياب نظيفة، فراش مريح، ولا أعمال منزلية.

كل الاسباب تدعوهما الى السعادة. لكنهما لم يكونا سعيدين. وكان ذلك أمراً مزعجاً. الاولاد يضحون من أجل والديهم، لكن هذين لا يقدران ذلك حق قدره. الرجل العجوز كئيب ساكت لا يورط نفسه في شيء. وهي أسوأ منه. انها لا تعرف كيف تتنحى، فهي اعتادت اعطاء الاوامر. الحياة لا تطاق مع العجوزين، وعلى الاولاد أن يجمعوا كل صبرهم للتعامل معهما.

وكما يفعل المسنون، يهرب هو عندما لا يكون الاولاد يراقبون، يلتقيان في زاوية ما يكونان اتفقا عليها. يُسِر كل منهما همومه الى الآخر. كالعشاق يضربان المواعيد. تراه ينظر الى ساعته، ويهتم كثيراً بثيابه، وهذا ما لم يفعله منذ زمن طويل.

كل يوم يضربان موعداً للقاء تال. يمضّه الآن سعال جاف مزمن، وقد وصف له الطبيب بعض العقاقير والحقن.

تقول له: "لا تدعهم يعطونك الحقنة قبل أن أصل." وكان ذلك لتمسك بسترته فقط بينما يحقنه الطبيب. وها هو يجلس بفروغ صبر في غرفة الانتظار مشتاقاً الى رؤيتها.

كل يوم أحد يكونان جاهزين للذهاب الى الحديقة العامة. يضربان الموعد يوم السبت، كما يفعل الشباب تماماً.

"كن في الموعد. اسأل المرأة المتسولة على المدخل، وهي تخبرك ما اذا كنت وصلت. واذا لم أصل، انتظرني."

وهناك يكون في الموعد تماماً، يقف الى جانب المقعد. الآن يستطيع الجلوس لأنه رآها.

بعد ذلك يخطوان خطواتهما الصغيرة، ذراعاً بذراع، وكلاهما سعيد جداً، وحزين قليلا. ومرة أخرى يمشيان كعاشقين في شمس صباح الأحد.

أولاليا غالفارياتو

قصة من الحرب العالمية الاولى

مَهمّة سرّيّة لغوّاصة ألمانية

حكاية القنابل الالمانية الاولى والاخيرة التي أطلقت على الولايات المتحدة

صبيحة ٢١ يوليو (تموز) ١٩١٨ وعلى مبعدة من ساحل كيب كود في ولاية مساتشوستس، كانت الغواصة "يو ١٥٦" التابعة للاسطول الامبراطوري الالماني في مهمة سرية. وهي بإمرة الكابتن فون اولدنبرغ الضابط المتفاني الذي يمقت الاخفاق.

وكان نجاح عملياته الاخيرة - من ضرب سفينة بريطانية بالطوربيد وزرع الالغام قبالة لونغ آيلند بولاية نيويورك، تلك التي أغرقت السفينة الامريكية "سان دييغو" - قد أهّله لتنفيذ مهمة قطع كابل التلغراف الممتد عبر المحيط الاطلسي من أورلينز بولاية مساتشوستس الى برست في فرنسا. وبتر هذا الكابل سيحمّل الكابلات الاخرى فوق طاقتها ويعوق الاتصالات بين الحلفاء.

وقد وجه فون أولدنبرغ رجاله وآلاته مرة تلو أخرى لاصابة الكابل، لكنهم ظلوا يخطئونه. فهو مطمور في عمق الرمال المتزحزحة فلا تبلغه مخالب مرساة الغواصة.

وإذ أدرك فون أولدنبرغ أن مهمته ستمنى بالفشل، استشاط غضباً. أيعقل أن يقطع هذه المسافة كلها من دون أن ينجز شيئاً؟ اذا كان قطع الكابل مستحيلا، فلا بلد من ايجاد هدف آخر.

صاح فون أولدنبرغ: "ارفعوا المنظار!" كانت الساعة العاشرة والنصف صباحاً.

على مسافة ٢٧٥ متراً من الشاطىء كانت الباخرة "بيرث آمبوي" تقطر أربع بوارج من غلوستر الى مدينة نيويورك. وكان جايمس تابلي هو قبطان باخرة القطر وبحارتها الستة عشر.

في العاشرة والنصف كان تابلي مسترخياً في كرسي يتشمس ويقرأ

Condensed from Proceedings (June '85), © 1985 by U.S. Naval Institute, U.S. Naval Academy, Annapolis, Md.

الجريدة. فعلى متن باخرة القطر بدت الحرب بعيدة جداً.

قطع عليه جلسته ملاح اسمه بوغوفيتش قائلا: "تبدو المياه ضحلة أيها القبطان."

وقف تابلي وقال: "لننظر في الأمر." ومشيا معاً نحو حجرة القبطان وشرع تابلي يراجع بعض الخرائط.

داخل المحطة الجوية في بلدة شاثام المجاورة كان الملازم ايتون يحدق عبر شباك مكتبه نادباً حظه. فعليه أن يخدم يوم الأحد. وفي تلك الاثناء كان الجميع على بعد ٥٠ كيلومتراً في بروفنس تاون يستمتعون بلعب كرة القاعدة (بايسبول) مع ملاحي كاسحة الالغام الراسية هناك.

وكان انساين انغارد جالساً قبالة إيتون يقرأ صحيفة "غلوب" الصادرة في بوسطن. فجأة نحّى انغارد الصحيفة قائلا: "الحرب والنار مستعرتان، فلماذا يتركون موهوبين أمثالنا ماكثين في بيوتهم. ها نحن الآن فرخا عقبان لا مكان لنا نكتسي فيه ريشاً."

حوت عجيب - كان الدكتور ج. دانفورث تايلور يسكن في بوسطن الشرقية ويمضي عطل الاسبوع الصيفية في كوخه القائم فوق جرف نوسيت في كيب كهد والمشرف على منظر رائع للبحر. هذا الصباح كان الدكتور تايلور جالساً في كرسيه الهزاز في الرواق الامامي ومنظاره كالعادة على الطاولة إلى جانبه. فلفتت نظره باخرة القطر المتجهة جنوباً، فتناول منظاره مراقباً الباخرة والمراكب الاربعة المقطورة. ولسبب ما صوب منظاره أبعد منها. صاح الدكتور: "غواصة! أظن أنني أرى منظار غواصة!"

أدار فون أولدنبرغ منظار الغواصة ببطء مستطلعاً الشاطىء. وإذ رأى أربعة مراكب وباخرة قطر تجرها تبسم وقال: "أعدّوا قذائف الطوربيد الأمامية للاطلاق."

وبسرعة أجرى الحسابات اللازمة: موقع باخرة القطر، والسرعة المقدرة، والاتجاه. ثم صاح: "حضروا القاذفات الامامية. اطلقوا الطوربيد الاول. أطلقوا الثاني."

على متن باخرة القطر طرح تابلي الخريطة ملتفتاً الى بوغوفيتش وقال: "أظن أنك محق. فنحن نقرب من حاجز رملي. لنتوقف ريثما أعيّن اتجاهاً آخر.

هزّ بوغوفيتش رأسه موافقاً، ثم توقفت "بيرث آمبوي." بعد ثوان أزّ جسم لامع فوق مؤخر الباخرة وانفجر في الحاجز الرملي قربها.

شهق تابلي: "ما هذا بحق السماء؟" ثم أزت قذيفتان أخريان.

صاح فون أولدنبرغ وقد احمر وجهه: "اخطأنا الهدف. سنطفو على سطح الماء ونفجر الباخرة بمدافعنا."

ركض تابلي على ظهر باخرة القطر. ومن موقعه لمح غواصة سوداء كالحة تبعد ٤٠٠ متر وتبدو مثل حوت عجيب.

"بوم!" القنبلة تدوي داخل حجرة القبطان. تابلي لم يصب بأذى، فيما جرح بوغوفيتش وملاحون آخرون وتحولت حجرة القبطان أتوناً مشتعلا.

قال تابلي: "تعالوا، فلنغادر هذا المكان."

مكالمة مهووسة! - هتف الدكتور تايلور: "الغواصة تقصف مراكبنا." وثب من كرسيه الهزاز مقتحماً غرفة الجلوس متناولاً الهاتف. طلب من المقسّم أن يصله هاتفياً بالمحطة الجوية في شاثام.

قال الملازم ايتون متثائباً: "هنا المحطة الجوية." فصاح الدكتور تايلور عبر الهاتف: "غواصة! غواصة ألمانية تقصف بواخرنا قبالة ساحل أورلينز!"

قال ايتون ضاحكاً: "حسناً، حسناً، دعنا من هذا الهراء كائناً من كنت. لقد تلقينا مثل هذه المكالمة المهووسة من قبل."

- أنا الدكتور ج. دانفورث تايلور من بوسطن الشرقية وأورلينز. وأؤكد لك أنها ليست مكالمة مهووس. لتقلع تلك الطائرات من مدارجها.

ثم أطبق السماعة. وبعد دقيقة رن جرس الهاتف: "الدكتور تايلور؟ هنا الملازم ايتون. أود أن أتثبت من مكالمة. أأنت خابرتني الآن مبلغاً عن غواصة؟"

- نعم بحق السماء يا فتى. افعل شيئاً لمعالجة ذلك.

التفت الملازم ايتون الى رئيس الميكانيكيين لديه قائلا: "هوارد، جهّز قذائف الاعماق. سننطلق أنا وانغارد في "مركبين طائرين." ثمة حرب ناشبة."

- لكني يا سيدي لم أجهز قذائف من قبل قط.

"أنا واثق بأنك ستتدبر الأمر يا هوارد."

كانت طائرة انساين انغارد في المقدّم وهوارد على متنها، وحلقت الطائرتان على ارتفاع ٢٥٠ متراً وسرعان ما حددتا موقع الغواصة. شرعت مدافع الغواصة تطلق النار على طائرة انغارد فتخطئها وتسقط القذائف في الماء وتتفجر قرب الاكواخ على الشاطىء.

وظهرت الغواصة في منظار تصويب القذائف في الطائرة، فجذب هوارد سلك الاطلاق ولكن لم يحدث شيء، فالقنبلة عالقة في الجناح.

غمغم هوارد: "اللعنة!" ثم أومأ الى انغارد ليحلق فوق الهدف كي يحاول ثانية.

خلفهما كان الملازم ايتون مع انساين شيلدز يسفّ فوق الماء بزورقه الطائر على ارتفاع ١٥٠ متراً. وعند اشارة الايعاز تماماً جذب انساين شيلدز السلك فصفرت قنبلة الاعماق منطلقة نحو هدفها. وسمع رشاش ماء كثير ولا صوت غيره. فالقنبلة لم تنفجر.

مفتاح انكليزي - صاح فون أولدنبرغ: "تغاضوا عن الطائرتين وسددوا المدافع الى باخرة القطر. أريد إغراقها."

قال نائبه: "لقد أصبناها عشر مرات. انها ترفض الغرق يا كابتن."

مرة أخرى لاحت الغواصة في منظار تصويب القذائف وسحب السلك ثانية. وصفرت قنبلة الأعماق. وعلا صوت رشاش، ولا شيء غيره. فالقنبلة لم تنفجر.

رأى الملازم ايتون ما حدث فامتقع لونه. ومن شدة يأسه وغضبه وعجزه انتزع أثقل ما وجده في علبة العدة: مفتاحاً انكليزياً ضخماً سدده ثم قذفه صائحاً: "هذا لكم، لانكم هاجمتمونا صبيحة الاحد فيما الجميع يلعبون." وعادت الطائرتان الى القاعدة.

التقط فون أولدنبرغ الجسم الذي قذفته الطائرة وقال غير مصدق: "مفتاح انكليزي! لقد رمونا بمفتاح انكليزي!" وحدق الى باخرة القطر المتراقصة على الماء. ثم نظر الى المفتاح في يده. وأخيراً التفت الى مساعده قائلا: "استعدوا، سنغطس ونرحل من هنا."

كانت الساعة قرابة الحادية عشرة والنصف ظهراً. وقد اطلقت الغواصة "يو ١٥٦" خلال ساعة واحدة نحو مئة قذيفة، وهي القذائف الالمانية الأولى والاخيرة التي سقطت على أراضي الولايات المتحدة. وجاء في صحيفة "أدفوكيت" الصادرة في بروفنس تاون:" لقد أجمع المراقبون على رأي انتقادي واحد: الالمان غير بارعين في التصويب."

في اليوم التالي قُطرت "بيرث آمبوي" باعتزاز الى مرفأ فاينيارد هافن وسط تهليل النظارة. وعادت لاحقاً الى البحر بإمرة القبطان تابلي. وتدفقت الثناءات والتهاني على الدكتور تايلور لسرعة خاطره. ونقل الطياران ايتون وانغارد الى مواقع ما وراء البحار.

وحظر على جنود شاتام الى الابد لعب كرة القاعدة أيام الآحاد.

و. واتس بيغرز

كسولة و... عدائية!

سأل أحد الطلاب رفيقته العابسة: "ما بك مقطبة الحاجبين؟"

فدمدمت متذمرة: "أعاد الي الاستاذ مسابقتي في اللغة الانكليزية، وقد نلت علامة ضعيفة."

قال الطالب مازحاً ومحاولا التخفيف عنها: "هل تعرفين أنك تستخدمين في التكشير عضلات أكثر من تلك التي تستخدمينها في الابتسام؟"

فردت بغضب: "اذاً، دعني وشأني، فأنا أمرّن عضلاتي."

س.ج.

طبقات الزواج

سئلت زوجتي كم مضى على زواجنا فأجابت: "منذ وقت تقادم عهده بحيث باتت هناك أربع طبقات طلاء على كل ما في البيت.

ج.د.

جمر الغضب

الاستمرار في الغضب كالقبض على جمر متأجج بهدف رميه على انسان آخر. لكن الجمر لا يحرق الا حامله.

حكمة قديمة

نيدو الحليب الأفضل
INSTANT
سريع الذوبان
NIDO
Nestlé
نيدو
نستله
Lait entier en poudre
enrichi de vitamines A et D
Full cream powdered milk
enriched with vitamins A and D
حليب مجفف كامل الدسم
أضيف إليه فيتامين «أ» و«د»
PI 3693 A
نيدو الأفضل طعمًا، الأسرعُ
ذوبانًا، الأضمن نتيجةً
والأوسع إنتشارًا.
نيدو السريع الذوبان:
ضمانة أكيدة لنموّ أولادكم.
Nestlé
تضمنه نستله

انعطف القطار
بسرعة ١٤٠
كيلومتراً في الساعة
وداخله ٦٦٠ راكباً
ومهندس وميكانيكي مدمنان
ثم كانت الفاجعة...

قطار المَوت

خارج ذلك البيت الازرق الجميل الذي تعود هندسته الى القرن التاسع عشر، في ضاحية اوفرلي في بلتيمور، كان الطقس صافياً وبارداً وكانت دنيز ايفانز في المطبخ مع ابنتها المراهقة ليا فيما جلس زوجها جيري وابنهما جوشوا (عامان) الى الطاولة يتخاطفان شرحات اللحم المقدد في دعابة ماكرة جعلت الصغير يقهقه بمرح.

في ذلك اليوم الذي صادف الاحد الأول من شهر يناير (كانون الثاني) ١٩٨٧، كان جيري المهندس الشاب

Condensed from Baltimore Magazine (November '87), © 1987 by Baltimore Magazine Inc., Baltimore, Md. Photo: J.L. Atlan / SYGMA

ابن الخامسة والثلاثين والذي يعمل في شركة "أمتراك" للنقل سيقود قطار "أمتراك كولونيال ٩٤" من العاصمة واشنطن الى بوسطن. وهو ودع عائلته في التاسعة صباحاً واعداً اياها بالعودة قرابة الساعة ١١ مساء.

فوق التلال المكسوة بالاشجار في مقاطعة بلتيمور الشمالية، كانت سوريز (١٦ عاماً) تفتش في منزل ذويها عن امتعتها قبل عودتها الى جامعة برنستون حيث كانت طالبة في السنة الاولى علم الفيزياء الفضائي. وكان حلمها ان تصبح رائدة فضاء.

عندما وصلت سوريز الى محطة "بن" في بلتيمور ترافقها والدتها التي تولت إيصالها بالسيارة، كان المهندس إيفانز وصل اليها لتوه وهو على وشك ان يوقف القطار الذي تولى جهاز القيادة فيه. وكان غادر واشنطن الساعة ١٢:٣٥ مساء اي بتأخير خمس دقائق.

إستقلّت سوريز القطار ذا المقصورات الاثنتي عشرة وتوجهت الى المقصورة ٢١٢٣٦ التي كانت مباشرة وراء مقصورة طعام خالية والقاطرتين المتوقفتين. وكان في القطار ٦٦٠ راكباً و١٢ من افراد الطاقم.

في تلك الأثناء سُمع، عبر الراديو، صوت جامع التذاكر وهو يخاطب جيري إيفانز: "جيري، ٩٤، يمكنك الانطلاق."

صفارة مكبوتة - في باحة الشحن في بيڤيو في الجهة الشرقية من بلتيمور، ظهر كل من المهندس ريكي لين غيتس الذي يعمل في شركة كونريل، وإدوارد "بوتش" كروموبل عامل المكبح فيها. وكان مطلوباً منهما ان يؤمنا جر ثلاث قاطرات شحن مسافة ١٨٠ كيلومتراً الى الشمال والغرب وصولا الى هاريسبرغ في ولاية بنسلفانيا. والعاملون في مصلحة السكك الحديد يحبون هذا النوع من المهمات ويطلقون عليه اسم "القاطرات الخفيفة" وذلك بأن القاطرات الخالية تكون اكثر سرعة واسهل قيادة من تلك المحملة.

تلقى الرجلان تعليمات مفصّلة حول مهمتهما من ناظر الفناء. وتوقع غيتس، إستناداً الى خبرته، تأخيراً محتملا في نقطة متقدمة تبعد مسافة ٢٠ كيلومتراً عند تقاطع خط الركاب مع خط الشحن في غنباو. وربما طال انتظاره بضع دقائق ذلك اليوم الذي يمرّ فيه قطاران للركاب.

كان ناظر الفناء يراقب الرجلين وهما يتبادلان الحديث بحثاً عن إشارات تدل على السكر او تعاطي المخدرات.

كان غيتس في الثانية والثلاثين وهو صاحب تاريخ طويل في ادمان الكحول وتعاطي الماريوانا. اما كروموبل، ابن الثالثة والثلاثين، فكان ايضاً مدمن ماريوانا و"فينيلسكلوهكسيل بيبردين."(*) ومع ان غيتس كان حذراً وكتوماً في ما يتعلق بالمادة المحظورة، الا ان عدداً من اصدقائه كانوا على علم بإدمانه المخدرات وحتى الكحول. وسبق لشرطي سير ان أوقفه وهو يقود سيارته قبل شهر لعدم امتثاله لإشارة التوقف ولإجتيازه ضوءاً احمر. وعندما ترجّل من السيارة، كان مترنحاً وتعذر عليه لفظ

(*) مادة كيميائية مخدرة تعرف بـ PCP .

الأحرف الأبجدية، وبدلا من ان يبرز إجازة القيادة واوراق السيارة، التي طلبها من الشرطي، اخرج من جيبه ورقة نقدية من فئة عشرين دولاراً ثم ورقة اخرى من فئة خمسة دولارات. إلا ان الشرطي رفض الرشوة، وقُبض على غيتس الذي اعترف امام القضاء بتهمة القيادة في حال سكر. فنال حكماً فيه غرامة مالية وحبساً مع وقف التنفيذ.

إلا ان ناظر الفناء لم يلاحظ على الرجلين، ذاك النهار، اي اعراض غير عادية فدعاهما الى متابعة السير.

تراجع غيتس بقاطرته نحو الحامل حيث أخضعها لفحص روتيني بغية التحقق من سلامتها. وعندما تفقد صندوق الاشارات فوق النافذة الى اليسار، وجد انه ينقصه مصباح. وهذا المصباح هو جزء من مجموعة إشارات ظاهرة وظيفتها تنبيه المهندس الى ضرورة التمهل استعداداً للتوقف. لم يعر غيتس الأمر أي اهتمام خصوصاً أنه يعرف أن المهندسين الذين يتوقفون عند الامور الصغيرة ليسوا محبوبين خصوصاً في ميدان الأعمال حيث عنصر الوقت مرتبط الى درجة كبيرة بالمال.

تفقد غيتس صفارة الانذار المكروهة من معظم المهندسين، ليس فقط لانها تطلق صريراً حاداً مزعجاً كل مرة تعلن إشارة السرعة ضرورة التقيد بحدود السرعة القصوى المسموح بها، بل لإنهم اعتبروها مهينة لهم، كأنها تشكك في كفاياتهم المهنية. لذلك فإن البعض منهم عمد الى كبت صوتها بواسطة شريط لفوه حولها. كان صوت صفارة غيتس ضعيفاً، شبيهاً بهسيس خافت. ومع ان الرجل ليس هو الذي لف الشريط حول الصفارة، الا انه كان يتوجب عليه نزعه عندما شاهده، لكنه لم يفعل.

والى ذلك كان غيتس وكرومويل في مزاج رائق ذلك النهار وبدوا كأنهما في عطلة. فحمولتهما خفيفة وفي حوزة كروموبل سيجارة ماريوانا.

في تمام الساعة ١:١٥ بعد الظهر انحرف المهندس وعامل المكبح بقاطرتهما الى خط الشحن الواقع في محاذاة خط القطار السريع.

والواقع ان قطار الشحن يتوقف حالما يرفع المهندس قدمه اليسرى عن الدواسة المعروفة بـ"الرجل الميت." ومن اجل ان يظلّ القطار متحركاً، على المهندس الا يرفع قدمه عنها. والدواسة هذه هي، على الارجح، الجهاز الاكثر تعرضاً للاعطال بين كل اجهزة الأمان في قطارات الشحن. لكن إصلاحه لا يتطلب سوى مفتاح ربط وما على المهندس الا الاستعانة بواحد منها.

ولأن دواسة "الرجل الميت" في قطار ريكي غيتس كانت معطلة ودواسة المكبح مركّزة في وضع التسريع، فلم يكن القطار في تلك الساعة بحاجة اليه. فأشعل الرجلان سيجارة الماريوانا. وما كاد القطار ذو القاطرات الثلاث يخرج من الفناء، حتى راحت سرعته تتعاظم فوصلت الى ١٠٠ كيلومتر في الساعة في اقل من خمس دقائق.

إشارات واشارات – الساعة ١:١٦ بعد الظهر كان إيفانز انطلق لتوّه من قلب

المدينة في بلتيمور. وتجاوزت سرعة قطاره ١٩٠ كيلومتراً في الساعة.

وفي المقصورة الرقم ٢١٤٣٦، استقرّ الركاب براحة وشرع جامع التذاكر دونالد كيسي في دورته الروتينية فناولته الفتاة ذات الستة عشر ربيعاً والتي كانت تحلم بأن تصبح رائدة فضاء، تذكرتها التي ثمنها ٤٧،٥٠ دولاراً.

كان غيتس في السنة السابقة قطع نقطة تقاطع الخطوط في غنباو، ٩٩ مرة مما اكسبه - كما في اي عمل روتيني آخر - حساً معيناً يوحي كأن في داخله ساعة تنبئه بالوقت اللازم للانتقال من خطوة الى أخرى.

ومعروف ان المنتشي بالماريوانا غالباً ما يفقد الحسّ بالوقت. فنصف الساعة ربما تراءى له كخمس دقائق والخمس دقائق ربما بدت كساعة.

إعتاد غيتس ان يتوقع ١٥ دقيقة من الهدوء بين بيڤيو وإشارة غنباو البعيدة والواقعة على مسافة ٣ كيلومترات من نقطة التبديل عند تقاطع خطوط الركاب وخطوط الشحن. إلا انه في ذلك النهار لم يأبه للاوقات، نظراً الى حمولته الخفيفة، وعبث بتلك الساعة الدقيقة الموجودة في داخله.

الساعة ١:٢٧ تخطى غيتس وكرومويل الاشارة البعيدة التي تدعوهما الى ان يبطئا سرعة القطار الى ٥٠ كيلومتراً في الساعة. ولان ثمة من عبث بها وأخمد صوتها، فقد فشلت صفارة الإنذار الداخلية في اطلاق زعيقها المنبه فاستمر قطار كونريل في اندفاعه واجتاز الاشارة بسرعة ١٠٠ كيلومتر في الساعة.

ويحدد دليل قوانين القطارات عمل عامل الكابح، وفيه انه عمل مساند لعمل المهندس. فهو الذي يردد مضمون الاشارات بصوت مرتفع وهو الذي يتأكد من ان المهندس اخذ علماً بها، وعليه تقع مسؤولية العمل بها في حال عدم امتثال الأخير لها او فشله في الاستجابة. غير ان عامل الكابح بوتش كرومويل لم ينفذ، ذلك اليوم، أياً من هذه الاعمال.

الى كل ذلك هناك في بعض القطارات جهاز امان اوتوماتيكي مصمم لمثل تلك الظروف، ويدعى هذا الجهاز ATC اي الضابط الاوتوماتيكي للقطار وهو يعمل تلقائياً عند الاقتضاء. واذا إجتاز قطار ما إشارة التمهل ولم يمتثل لها، فإن الكابح يطبق عندئذ على نحو تلقائي إنفاذاً لأمر الاشارة. ولو كان قطار ريكي غيتس مزوداً مثل هذا الجهاز، لكان الكابح الاوتوماتيكي بدأ بالفرملة فور اجتياز القطار الاشارة المذكورة. لكن القطار، ويا للاسف، لم يكن مزوداً مثل ذلك الكابح.

اقفزوا - قبل نقطة التبديل في غنباو بأقل من ١٦٠٠ متر، هناك إشارة تمهُّل أخرى استعداداً للتوقف، فلم يأبه لها غيتس وتابع قطار كونريل اندفاعه بسرعة فاقت ١٠٠ كيلومتر في الساعة.

وما هي الا لحظات قليلة، وقبل حوالى مئة متر من نقطة تقاطع خطوط الشحن وخطوط الركاب، حتى برزت امام عيني غيتس إشارة الوصول "قف" بأحرف كبيرة. ومعنى ذلك ان نقطة التبديل كانت مقفلة بسبب وجود شيء ما على خط قطار الركاب السريع.

فجأة عاد الى غيتس صوابه وبسرعة ادار الصمام الخانق وأعمل مكبح الطوارىء، فجمدت الدواليب وتوقفت عن الدوران لكنها ظلت تنزلق مدة ٤٨ ثانية وهي تشرقط ناراً وترسل صريفاً حاداً. لقد أخفق الرجلان في ايقاف القطار في الوقت المناسب وتابعت القاطرتان الاماميتان اندفاعهما وإخترقتا نقطة التبديل المقفلة فيما ظلّت القاطرة الخلفية عالقة فيها واستقر قطار غيتس وكرومويل على خط القطار السريع.

ضاق تنفس غيتس اذ ادرك وزميله هول الورطة التي وقعا فيها.

مد كرومويل نظره الى الخلف، فشاهد عبر النوافذ، الاضواء الامامية لقطار يلف المنعطف امامهما فراح يصرخ: "شيء ما يقترب منا! اقفزوا"!

كان جيري إيفانز وحيداً في مقصورة القيادة في قطار "كولونيال ٩٤"، فرنا ببصره الى الامام مترقباً ظهور النقطة التي تتقاطع فيها الخطوط في غنباو بعد انعطاف قطاره وهو على مسافة ٩٠ كيلومتراً من واشنطن فإرتسمت امامه فجأة إشارة "قف" ورأى رقعة قطار كونريل زرقاء تحتل المكان امامه ولا يفصله عنها سوى ٨٢٠ متراً. أعمل مكبح الطوارىء الا ان القطار لم يتوقف نهائياً الا بعد ٨ ثوان.

لم يقفز إيفانز من القاطرة، واختفى بسرعة الألم الجسدي الذي شعر به. وهو استحق في ما بعد المديح الذي وُصف فيه "بأحسن مهندس ملعون."

اندلع حريق في مكان التصادم وتحول كرة من نار. فعندما ارتطم قطار الكولونيال امتراك بالقاطرة الاخيرة من كونريل، انسحقت مقصورته الامامية واستقرت ركاما في المقصورة الاخيرة. اما قاطرة كونريل فانفجرت وتطايرت شظايا معدنية مسفوعة اكبرها في حجم دراجة نارية واشعلت خطوط الكهرباء الوف الليترات من وقود الديزل الذي سال بفعل الإرتطام.

اما القاطرات الخلفية في قطار كولونيال والتي كانت على مسافة ٤٠٠ متر الى الجنوب من نقطة التبديل، فتابعت إندفاعها كاسحة كل شيء امامها في خط متعرّج نتج منه تفاعل متسلسل جعل كتلة الركام برمتها تستمر بالانزلاق على الخطوط ثواني بدت طويلة.

عندما صدمتها قاطرات امتراك من الوراء، تداخلت اجزاء عربة الطعام الخالية بعضها ببعض، اما العربة التالية ذات الرقم ٢١٢٣٦ فانقلبت على جنبها الايمن وتتطاير منها الركاب والامتعة.

كارثة كبيرة - بدأ ريكي غيتس يستوعب تدريجاً حقيقة ما جرى. فتعلق اولا بالأمل ان لا ضحايا، لكنه عندما شاهد سحب الدخان الاسود تتصاعد من قلب الركام، إنقضّ على جهاز الإرسال وراح يعدو نحو قطار الركاب وهو يصرخ بالعامل في برج المراقبة: "طوارىء، طوارىء!" وما ان رأى النار حتى رجع عدواً الى القاطرة الامامية في قطار كونريل ليحضر منها مطفأة للحريق. وكانت القاطرة انفصلت عن القطار مبتعدة عنه مسافة ٢٧٠ متراً.

ما ان إقترب غيتس ثانية من قطار

امتراك حتى شاهد رجلا عالقاً بين قاطرتين والنار تزحف صوبه. وفيما هو يعمل على إخمادها وصل عمال الانقاذ وتولوا عنه إسعاف الرجل وهو في مكانه الا انه ما لبث ان توفي بعد ساعات وكان ما زال عالقاً في الحطام.

الساعة ١:٤٥ بعد الظهر وصل الى مكان الحادث، من منزلهما القريب، جامع التذاكر جورج تلجوهان وزوجته هارييت. وفيما هارييت تتحدث الى غيتس مرّ بهما عمال الانقاذ حاملين نقالة تمدد عليها جسد هامد مغطى بملاءة بيضاء. إرتعد غيتس ثم سمع أحد رجال الاطفاء يقول لزميل له: "هناك ضحية اخرى بين الآجام، اذهب واحضرها".

"يا الهي!" صرخ غيتس منتحباً.

حب كثير – هرع سكان بلدة تشيز القريبة لنجدة المنكوبين واندفعوا في تقديم المساعدات بشتى الطرق. وفيما تولى عدد من الشباب إخراج المصابين من القاطرات، احضر الجيران بطانيات ومواد اسعافات اولية ومنهم من استضافوا الناجين في منازلهم القريبة حيث قدموا اليهم القهوة ووضعوا اجهزة الهاتف في تصرفهم محولين بيوتهم مراكز اتصالات وإسعافات اولية.

في طرف المقصورة ٢١٣٣٦م، تولت المسعفة الطبية كاثي سميث مساعدة صبي في السابعة من عمره يرافق جدّته. وكان الفتى، واسمه آدم مور من بلدة نبتون في ولاية نيو جرزي، عالقاً بين حائط وساقي جدته المهشمتين وظهر مقعد ملتو.

"اخرجوني من هنا" راح آدم يردد وجدته تطمئنه قائلة: "انهم يحاولون مساعدتنا."

وفيما الاطباء يسعفونهما من طريق الحقن الوريدية وعمال الاطفاء يعملون على رفع الفولاذ الذي أبى ان يتزحزح، كان الفتى وجدته يغيبان تارة عن الوعي وطوراً يستعيدانه. وكان آدم يسأل، كلما فتح عينيه، كم سيطول الأمر. وهو توفي قبيل منتصف الليل وتبعته جدته بعد ساعتين.

في النهاية اسفر الحادث عن ١٧٤ جريحاً و١٥ قتيلا ١٣ منهم كانوا في المقصورة ٢١٣٣٦م.

بعدما عادت سوزان هورن من محطة "بن" الى منزلها، شاهدت وقائع الحادث على شاشة التلفزيون فراحت تصلي وتبتهل الى الله الا يكون القطار هو نفسه الذي ركبته ابنتها سوريز.

في البيت، انتظرت العائلة قرب الهاتف. وفي ساعة متقدمة من المساء، اتصلت سوزان بزوجها الاستاذ في جامعة جونز هوبكنز في بلتيمور بميريلاند والموجود في الخارج وقالت له: "روجر، لقد وقع حادث لقطار سوريز ومضت ساعات ولم نتلق اي خبر عنها." فقطع الرجل رحلته وعاد بالطائرة التي استغرقت ١٣ ساعة. جلس روجر في مقعده والالم يعصر معدته، وجهد الا يفترض الا الأفضل.

اخيراً وبعيد الفجر، توجهت شقيقة سوزان الى معرض الجثث حيث تعرّفت الى جثة اختها.

في منزل آل هورن، يوم الاثنين، اظهر افراد العائلة تماسكاً استمداداً للقوة.

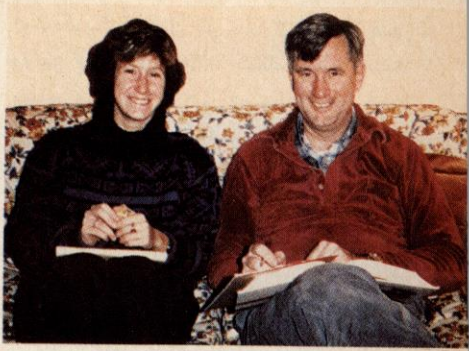

سوريز هورن ووالدها عام ١٩٨٦.

في المساء، وفور وصول الطائرة الى مطار نيويورك، تحدث روجر مع عائلته هاتفياً قائلا لهم: "انني احبكم وعائلتنا فيها حب كثير سوف يجعلنا نتغلّب على المصاب."

الأدلة تدينهما – مساء الثلثاء توجه غيتس الى منزل كرومويل للبحث معه في امر جلسة التحقيق التي سيعقدها "المجلس الوطني لسلامة النقل" في اليوم التالي. ولانهما ادركا مدى جدية البحث عن الاطراف المسؤولين عن الحادث، فقد قررا ان يكذبا. ويوم الاربعاء، وفيما العمال يرفعون الركام من مكان الحادث، كان غيتس وكروموبل في بلتيمور يحوطهما عدد من المحامين والمحققين اضافة الى مسؤولين من الاتحاد. وقد القى الرجلان مسؤولية الحادث على اشارات المرور التي ادعيا انها سيئة. وعندما سألهما محقق من المجلس الوطني لسلامة النقل هل تناولا مخدرات يوم الحادث اجابا بالنفي.

ولكن، في وقت لاحق، اظهرت تحاليل مخبرية خاصة بالسموم اجريت على عينات من دم وبول اخذت منهما مساء الحادث، وجود أدلة على تعاطيهما الماريوانا ليلة الحادث.

وابرز التحقيق كذلك مسألة صفارة الانذار الملفوفة بشريط. واظهرت اعادة تمثيل للحادث اجراها المجلس الوطني لسلامة النقل، انه كان ممكناً لغيتس ان يوقف القطار في الوقت المناسب لو انه امتثل لاشارات التمهل.

وفي الربيع استقال ريكي غيتس وإد كروموبل بعدما كانا فصلا موقتاً من وظيفتيهما ريثما تنتهي جلسات التحقيق التأديبي التي كانت تجريها كونريل. وفي وقت لاحق، استدعى محامو الولاية كروموبل وعقدوا معه اتفاقاً يعفيه من الملاحقة القضائية في مقابل اعترافه الصريح بالحقيقة كاملة. فاعترف امام هيئة من المحلفين بكل شيء، بالماريوانا والاشارات التي أُغفلت والقصة الملفّقة.

في الرابع من مايو (أيار) ١٩٨٧ واجه ريكي غيتس تهمة التسبب غير المتعمد في مقتل ١٦ شخصاً. وفي ١٦ فبراير (شباط) ١٩٨٨ واجه القضاء معترفاً بتهمة واحدة. والاحكام الصادرة في مثل تلك الحالات تراوح بين السجن مدة أقصاها خمس سنوات ودفع ١٠٠٠ دولار غرامة. وفي ٢٩ مارس (آذار) تقرر أنه مذنب بتهمة واحدة. ولكن بعد يومين قضت هيئة محلفين عليا بمحاكمته بأربع تهم، بما فيها التآمر واعاقة العدالة والادلاء بشهادات كاذبة. واذا جُرِّم غيتس في هذه الحال فانه يواجه حكماً أقصى

بالسجن خمس سنوات، ودفع ٢٥٠ ألف دولار غرامة عن كل تهمة.

أما ادوارد كرومويل فلم يواجه بأي تهمة بعد.

وفي الجلسة التي عقدها الكونغرس في شهر يوليو (تموز) ١٩٨٧ للتحقيق في سلامة السكك الحديد، أدلى روجر هورن وسواه من ذوي الضحايا بشهاداتهم وحثوا المجلس على إصدار قانون متشدد للسلامة في القطارات.

ولقد أحرز بعض التقدم في هذا المجال إذ تقرر تزويد جميع القطارات العاملة في الممر الشمالي - الشرقي كوابح اوتوماتيكية وذلك في مدة لا تتجاوز شهر يوليو (تموز) ١٩٩٠. كذلك تقرر اعتبار جميع موظفي القطارات والعاملين فيها وشركات السكك الحديد مسؤولين عن اي انتهاك لقوانين السلامة، ورفع الغرامة الى حدود ٢٥،٠٠٠ دولار للمخالفة الواحدة.

من جهة أخرى، بات لزاما على جميع المهندسين العاملين في السكك الحديد الحصول على ترخيص رسمي.

لكن اتحاد عمال السكك الحديد ما زال يعارض الفحص العشوائي للتحقق من عدم تعاطي العمال المخدرات.

رمزي فلين وستيفن كاي

خريطة ايطاليا!

يستعيد م.س. تشاغلا في سيرته الذاتية "ورود في ديسمبر" قصة الخريطة التي رسمها لايطاليا في أثناء امتحان في التاريخ حين كان طالباً بجامعة أوكسفورد:

سألني الاستاذ الذي صحح امتحاني: "هل هذه خريطة ايطاليا يا سيد تشاغلا؟"

نظرت الى الخريطة فتبين لي مدى التشويه الذي أحدثته في هذا البلد الكبير. فغمغمت: "نعم، يا سيدي."

فتابع الاستاذ: "سيد تشاغلا، هل هذه ايطاليا قبل الزلزال الاخير أم بعده؟"

ب.ف.

حماة عصرية

اذا كانت الاوتوماتيكية لم تصر بعد حقيقة في بيوتنا، فقد أصبحت هكذا في عقولنا. ذات ليلة، قبل أن تنسحب حماتي الى غرفتها، أمسكت جهاز التحكم من بعد وأطفأت جهاز التلفزيون. بعد ذلك استدارت الى يمينها وسددت في اتجاه المصباح.

ل.ب.

الحرية تثوي في قلوب الرجال والنساء. وعندما تموت هناك فلن يستطيع انقاذها دستور ولا قانون ولا محكمة.

ل.هـ.

كتاب الشهر

رحلة إلى القطب

ملخص من كتاب

بقلم ويل ستيجر و بول شورك

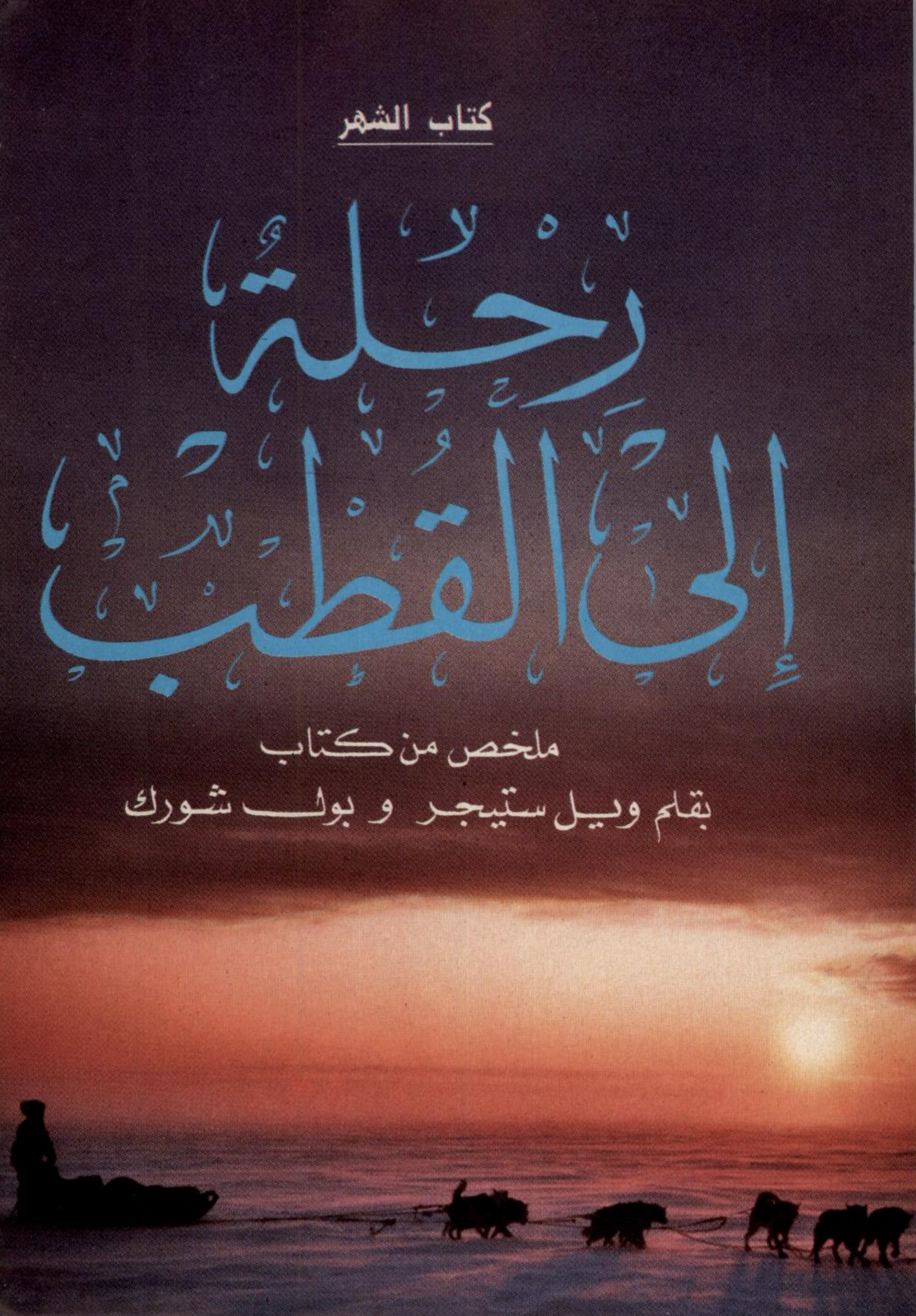

عندما بدأ ويل ستيجر وبول شورك رحلتهما الى القطب الشمالي في مارس (آذار) ١٩٨٦، كانا اختبرا عدة رحلات شمالية ومغامرات على المزالج التي تجرها الكلاب. وها هما الآن يرئسان "بعثة ستيجر القطبية الدولية" وهي فريق مؤلف من سبعة رجال وامرأة و٤٩ كلباً عزموا على الوصول الى القطب الشمالي من دون اعادة تموّن. وفي حال نجاحهم يضاهون ما زعم ماثيو هانسون وروبرت بيري أنهما حققاه في العام ١٩٠٩

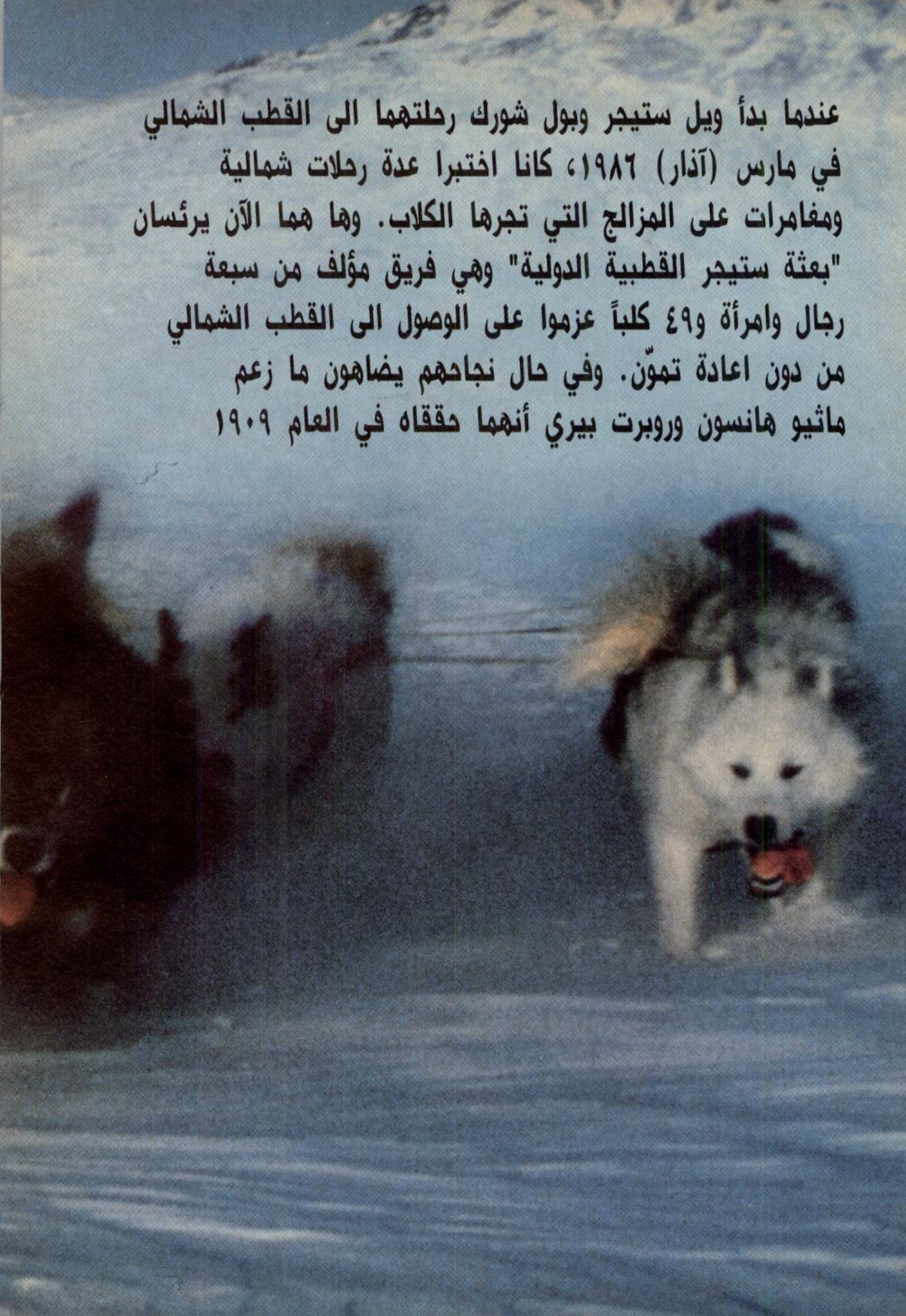

في ضوء الفجر الرمادي ربطنا حمولتنا بأصابع قضمها الصقيع المتدني الى ٥٧ درجة مئوية تحت الصفر. كان الهواء اللاذع يهب علينا من الجبال والكتل الجليدية في جزيرة ايلزمير الكندية في طريقه الى البحر. للمرة الاولى وزعنا حمولتنا من الاجهزة والعتاد على مزالج بلغ طول الواحدة منها خمسة أمتار. وكان وزن الحمولة ثلاثة أطنان وقد جمعناها على مدى ثلاث سنوات. وحجبت هذه الحمولة الهائلة الرؤية أمامنا.

في الثانية بعد ظهر ٨ مارس (آذار) ١٩٨٦ حان الاوان. اطلق رفيقي بول شورك كلابه أولا دافعاً مزلجته الى الامام بالبيفة، وهي ذراع خشبية ذات نتوءات معدنية، بينما دفعها من الجوانب ثلاثة آخرون من اعضاء الفريق. وقد أفلتت المزلجة واندفعت مطلقة صريراً مزعجاً.

كنت التالي. عاونني ريتشارد ويبر وجيف كارول... وانطلقت المزلجة.

نظرت الى الوراء. برنت بودي وروبرت ماكيرو يدفعان ويلعنان، لم يتمكنا من التزحزح فوق الثلج المتكدس. نزلت آن بانكروفت للمساعدة. واخيراً تململت المزلجة وتحركت. وحان دور بوب مانتل وتبعته مزلجة جيف في المؤخر. ثم عاد السكون فيما الكلاب تجر والفرق تدفع الى الامام.

قبل أسبوع قصدنا الشمال في الطائرة ونقلنا العتاد والكلاب على مراحل الى الشاطىء الشمالي لجزيرة ايلزمير في التخوم الكندية في الدائرة القطبية الشمالية. امتد أمامنا السطح المتجمد والمتفتت للمحيط الشمالي. وذكّرني الجليد بصور عاد بها الرواد من القمر.

أمضينا ثلاثة أيام في "مخيم دريب" وهو كوخ طوله ستة أمتار وعرضه ثلاثة أمتار ونصف متر تديره "مؤسسة الابحاث الدفاعية للاطلسي" التابعة للجيش الكندي.

كنت أنا وبول شورك المسؤولين عن هذه الرحلة، وقد فكرنا كثيراً في المصير الذي يخبئه لنا البحر القطبي. كان هدفنا، في رجعة متعمدة الى الايام الغابرة، الوصول الى القطب الشمالي معتمدين على قوتنا الذاتية وعلى ٤٩ كلباً تجر مزالج. خلال هذه الرحلة التي ستستغرق نحو ٦٠ يوماً عزمنا الاّ نتكل على طائرة تحلق فوقنا في الامتدادات الصعبة أو تقدم الينا مساعدة أو مؤناً إضافية.

خلافاً لجميع الرحلات البرية الى القطب منذ العام ١٩٠٩، حين أعلن طاقم روبرت بيري أنه الاول في الوصول الى "قمة" العالم، ستكون رحلتنا اعتماداً على النفس وتحدياً لأحد أطراف الارض الاكثر انعزالاً. والى ذلك كنا نأمل أن نلقي ضوءاً على السؤال التاريخي المشكك في صحة وصول بيري الى هدفه.

تقصياتنا لطبيعة المحيط الشمالي قلصت التفاؤل بنجاحنا، إذ يفصلنا عن جدار الجليد المتراص، وهو كومة من كسارة الجليد تحدد حافة القطاع الناشط للمحيط، ١٦٠٠ متر من الجليد المتراكم الذي يغطي اليابسة وينزلق تدريجاً نحو

Condensed from «North to the Pole,» copyright © 1987 by Will Steger with Paul Schurke, is reprinted by permission of Times Books, a division of Random House, Inc., New York, N.Y. Photo page 142 © Jim Gasperini / Firth Photobank. All other photos © Will Steger / Firth Photobank

البحر. وحتى هنا بدأت مزالجنا تخذلنا. كانت الكلاب تعمل فوق طاقتها وتتعب سريعاً.

بعد ساعة من الانطلاق وصلنا الى الجليد المتراص او "الجدار العظيم" كما دعيناه. أذهلتنا روعة المنظر. كانت الكتل الجليدية المتراكمة تمتص نور الشمس وتعكسه في أطوال موجية متفاوتة ملقية ظلالاً زمردية ونيلية وزرقاء باهتة. وأمام الكتل الهائلة من الجليد الازرق المرصوفة عبر الطريق شمالاً بدت مزالجنا الخمس صغيرة جداً.

توقفت المزالج عند كل انعطاف. وغالباً ما اضطر ثلاثة منا الى استخدام المخل والأربعة الآخرون الى الدفع لتسييرها من جديد. كان السطح خشناً كورق الزجاج. ووفرت البكرات المغلفة بالسيليكون انزلاقاً شبه معدوم في برودة دون ٤٠ درجة مئوية تحت الصفر.

أما أحذيتنا المصنوعة من جلد الموظ(١) فأمنت احتكاكاً التصاقياً هزيلاً بالكتل الجليدية. قد تسبب أي هفوة حادثاً خطيراً. لكن الانزلاق صعوداً وهبوطاً على التلال الشديدة الانحدار بدا أقل خطورة من المناورة في الاودية المستترة حيث تجمع ركام عميق من الثلج الناعم. كانت بكرات المزالج تغرق في هذه الفخاخ فنضطر الى جرف الثلج لانتشالها.

قدَّمتنا جهود اليوم الاول كيلومترين فقط شمال مخيم دريب. حين نصبنا الخيم هبت ريح من الرف الجليدي في ايلزمير. لم أشعر من قبل بهذا الصقيع القاسي. تجمّد خدّاي. أما برنت بودي وجيف كارول اللذان صارعا حبال الكلاب المتشابكة طوال النهار، فشعرا بألم مبرح في أصابعهما التي قضمها الجليد.

كرّ السائقون الاسلاك والمشابك التي تربط بها الكلاب أثناء الليل، وتصارع ريتشارد وآن وماكيرو مع الخيمتين المقببتين محاولين بسط النايلون الذي تصلب وانكمش بفعل الصقيع فوق أعمدة الالمنيوم. النايلون البارد شل أصابعهم. كانوا يعملون بضع دقائق ثم يركضون متلاصقين ليكسبوا بعض الدفء.

صدمني الواقع القاسي لما نحن مقدمون عليه. لكني ركزت تفكيري على أننا "سنعيش مهما بدا هذا المشهد يائساً." ستكون هذه الرحلة امتحاناً عظيماً في الايمان بقوة روح الانسان وبالقدرات والمعرفة والدهاء التي اكتسبناها أنا ورفاقي خلال سنوات من الاسفار. ومع أننا كنا على عتبة دخول التاريخ بانجاز الرحلة الاولى الى القطب الشمالي من دون "إعادة تموّن،" فإن هذا الامتحان في الايمان هو الذي منحني أنا وبول الزخم الحقيقي للسعي الى تحقيق حلمنا.

خطة طوارىء

في أي رحلة، تبقى الليلة الاولى في الخلاء هي الاصعب. لدى تسللي داخل خيمتي رأيت ما حيّرني وروعني. لم يتمكن ريتشارد ويبر (٢٦ عاماً) وهو الفرد الاصغر في البعثة، من إشعال المواقد. وحاول باهتياج شديد أن يكتشف الخلل. وتكدست حوله آنية الطبخ وأكياس

(١) الموظ حيوان ضخم في أمريكا الشمالية شبيه بغزال الالكة.

في نهاية النهار نصبت الخيم وربطت الكلاب.

الطعام والفرش وأكياس النوم في الفسحة الضيقة التي يبلغ قطرها مترين. ثم دخل بوب مانتل فضاقت الفسحة أكثر. بات مصيرنا متعلقاً بتلك المواقد.

جرّب مانتل حظه ونجح أخيراً في إشعال أحد المواقد. امتنع الغاز الابيض البارد عن التبخر على نحو جيد واكتشفنا أن الحل هو تدفئة قوارير الغاز. لكن الدخان الناتج من الاحتراق غير التام سبب لنا سعالاً حاداً. ثم دخل جيف ولم تعد هناك فسحة للتحرك. مرت ساعتان طويلتان قبل أن يحضر العشاء. ولم يتمكن معظمنا من الاكل كفاية لأن الدخان كبح شهيتنا.

لبسنا سترات فراء وقبعات وقفازات وزحفنا داخل أكياس النوم الباردة. في المحيط القطبي الذي لا يعرف الهدوء واجهنا دائماً خطر انزلاق الجليد تحت خيمنا ونحن نيام. لذا اضطررنا الى النوم بكل ثيابنا مستعدين لمغادرة الخيمة لدى أدنى اشارة.

كانت أكياسنا أكثف ما صنع، إذ غلفتها طبقة ليفية عازلة بسماكة ٣٦ سنتيمتراً. ومع ذلك مضت ساعات من الارتجاف والتململ قبل أن تبث أجسادنا دفئاً كافياً جعل حرارة الاكياس مريحة. ومرّ الليل بارداً يكاد لا ينتهي.

استغرق تحضير طعام الفطور في اليوم الثاني أكثر من ثلاث ساعات. أنبأنا مانتل أن السائل تجمد داخل ميزان الحرارة المعلق على مزلجته. كان الميزان مرقماً الى ٧٠ درجة مئوية تحت الصفر، لكن الحرارة انخفضت دون ذلك. وقبعنا نسعل في غمامة من دخان الموقد منتظرين ظهور شعلة صفراء تحوّل الثلج مياهاً غالية نحضر بها وليمة من دقيق الشوفان. وأخيراً، بعد ساعة، نفث البخار من الوعاء.

أمضينا أربع ساعات ذاك الصباح، قطراً وجذباً وسحباً ورفعاً ودفعاً ولعناً، لنقطع مسافة ٨٠٠ كيلومتر. كان الصقيع غادراً. وغطت أقنعتنا ولحانا طبقة كثيفة من الثلج المتكثف من اللهاث المرهق. واستطعنا نحن والكلاب دفع المزالج بضعة امتار قبل التوقف من جديد.

عرضت خطة رسمتها خلال الليل: نخفف ١١٥ كيلوغراماً عن كل مزلجة ونرتحل مدة يومين، ثم تعود مزلجتان لاستعادة الحمولة المتروكة فيما يشق الرفقاء الآخرون طريقاً الى محطة متقدمة.

أيقن الجميع عدم توافر أي خيار آخر. ولكن مع مرور النهار أسفر تخفيف حمولتنا عن تقدم ضئيل، فما زال دفع كل مزلجة يتطلب سبعة أفراد. واستسلمنا ليوم آخر من النتائج اليائسة وبذلنا أقصى جهدنا، فلم تنقلنا ثماني ساعات من الكفاح الشاق سوى كيلومترين.

صباح اليوم الثالث اكتشفت الاذى الذي حلّ بنا بفعل الصقيع. كان برنت بودي (٣١ عاماً)، وهو كندي خبير بقيادة الكلاب، يجفل من الالم حين يمسك بأسلاك المزلجة.

أما روبرت ماكيرو (٣٧ عاماً) فهو من نيوزيلندة ويعمل مدرباً على مهارات القفار وله خبرة في القطب الجنوبي، وقد كسر أنفه أثناء أحد التمارين اذ اندفعت مزلجته فوق تلة شديدة الانحدار فتورم أنفه والتوى وغطته طبقة شنيعة من اللحم الميت فاسودّ بفعل الصقيع الشديد. لكن المذهل أن الالم لم يوهن نشاطه واندفاعه. والحقيقة أن أحداً لم يتذمر من البرد أو من الظروف المزعجة.

خففنا ٤٥ كيلوغراماً أخرى عن كل مزلجة ذاك النهار وجعلنا معدل الحمولة ٤٥٠ كيلوغراماً. واقتضت خطتنا التقدم يوماً آخر قبل استرجاع المؤن. لكن ذلك لم يؤثر الاّ قليلاً في تقدمنا.

قطعنا ثلاثة كيلومترات خلال ست ساعات. وظهرت على بول وبرنت وماكيرو أعراض الانفلونزا بسبب الاجهاد والتزام حمية غنية بالدهن، فعانوا غثياناً وألماً في المعدة واسهالا، وهذه أسوأ الأعراض.

أما جيف كارول (٣٥ عاماً) وهو عالم بالحياة البرية في منطقة القطب الشمالي فمضّه ألم مبرح في أربع أصابع اسودّت بفعل قضم الصقيع وكانت كلابه تعقد الحبال فاضطر باستمرار الى خلع قفازه الدافىء السميك والعمل بقفاز رقيق لفك العقد المتشابكة.

وأما بوب مانتل (٣٢ عاماً) الرفيق الامين في رحلات سابقة، فقد حلت به مصيبة غير متوقعة. لقد تسرب الثلج والجليد داخل أحذيتنا المصنوعة من جلد الموظ، لكن حذاء مانتل بلي لذا أبدله بجزمة من جلد الفقمة لعلها تؤمن دفئاً أكثر. واذ أمضى النهار منتظراً تقدم المزالج التي تسبقه خدّر الصقيع أصابع قدميه وعقبيهما فخاف أن تتجمد. وتنبه الباقون الى الأمر فأخذوا يضحون بوقت النوم لرتق أحذيتهم البالية في ساعات الليل.

بوابة الجحيم

في اليوم الرابع تفرّق طاقمنا، فتوجه نصفنا شمالاً وعاد النصف الآخر لاسترجاع

المؤن. اتفقنا على اللقاء في المخيم قرابة منتصف الليل. بلغنا اول طبقة جليدية رقيقة ذاك اليوم. كاد برنت يقضي وهو يجتاز ثغرة ضيقة تبلغ سماكتها سنتيمترين ونصف سنتيمتر.

كنا نسمع دمدمة مخيفة ومنتظمة تحت الجليد، لكننا لم نشعر بأي حركة. وألمحت ألواح الجليد المتقلقلة الى جبروت المحيط.

وصلنا الى امتداد واسع من كسارة الجليد فشققنا طريقنا خلاله لثلاث ساعات. دعوناه "بوابة الجحيم." وللمرة الاولى حالفنا الحظ اذ اجتزنا كسارة الجليد سريعاً. وانبرت أمامنا صفحة فسيحة من الجليد الاملس غير المكسر. وعززت هذه الواحة ايماننا استعداداً للتحدي التالي.

اليوم الخامس كان الأشقى. قررنا دفع المزالج بحمولتها الكاملة فأمضينا النهار ومعظم الليل في اجتياز "بوابة الجحيم" ووصلنا الى طرف الواحة الملساء. أخيراً لجأنا الى خيمنا في الثانية فجراً بعد ١٤ ساعة من العناء.

في الصباح أرسلنا عضوين من الفريق على مزلجتين لاسترجاع العدّة المتروكة. وحمّل الباقون المزالج الاربع نصف الذخيرة المتبقية وزنتها نحو ٨٠٠ كيلوغرام، وأمضينا النهار ندفع مسافة ١١ كيلومتراً.

اظهرت هذه المحطات أننا أمام مجازفة واضحة ومدروسة. فقد انتشرت المؤن على مساحة كبيرة وباتت عرضة لأن تطمرها عاصفة أو تخربها الدببة القطبية أو تبعثرها ألواح الجليد المنزلقة. ولحسن الحظ أن الدببة نادرة شمال ايلزمير، وإن نكن تسلحنا ببندقيتين. كما أن البرد القارس ثبّت ألواح الجليد. ولكن قد تهب عاصفة ثلجية أو يحصل ابيضاض قطبي(٢) فتطمس آثار المؤن، لذا علّمناها بعصي التزلج ووضعنا على الاطراف أكياس قماش من علب طعامنا، ووصلناها بأسلاك قصيرة ربطت بها قطع قماشية زاهية الالوان.

مساء ١٣ (آذار) استعملنا للمرة الاولى مواقد صغيرة تشتعل بالخشب عوض الغاز.

ابتهجنا لاشتعال المواقد. غمر الدفء خيمنا وجفت ثيابنا واحتفلنا بالامسية. وعلت فرقعة الفشار (بوب كورن) فوق المواقد، وتلاشى الانقباض الذي كبّل أجسادنا وعقولنا.

عندما انطفأت الجمرات الاخيرة طرحنا المواقد خارج الخيم وغصنا في أكياس النوم. وللحال تحولت خيمنا جليداً قارساً وغطاها ظلام الليل القطبي القاتم.

القناة الكبرى

في ١٥ مارس (آذار) وهو اليوم الثامن، كنا اجتزنا ٨٠ كيلومتراً في رحلتنا البحرية أي عشر المسافة الى هدفنا. وبعد الظهر عبرنا سلسلة من التلال الى سطح أكثر ثباتاً، فاسترحنا بعض الوقت في انتظار آن وجيف. وبينما كنا نرشف الشاي متلاصقين لننعم بمزيد من الدفء شعرنا بالجليد يصرّ ويئن، ثم

(٢) الابيضاض القطبي ظاهرة تمتزج فيها الارض المغطاة بالثلج بالسماء والافق فيضيع كل حس بالعمق والاتجاه والمسافة.

بدأ يتململ باعثاً دمدمة منتظمة متسارعة. رفعت الكلاب المتمددة على الجليد رؤوسها مذعورة. ثم سمعنا من تلة قريبة صوتاً كريح سريعة. أخذ الجليد يتزحزح ويهتز تحت أقدامنا مثل زلزال. عدونا نحو قمة قريبة وشاهدنا الهزة تتمخض عن قمة جديدة ارتفعت ١٢ متراً الى شرقنا.

كان جيف وآن يحضران المزلجة الاخيرة عبر تلة الى السهل حين حدثت الهزة. وعندما شعرا بتزحزح الجليد تحتهما عبرا الى التلة وتسلقاها سعياً الى الامان. ثم اكتنفتهما الروعة لدى رؤيتهما آثار مزلجتهما في الطرف الآخر من التلة تتزحزح تسعة أمتار نحو الشرق.

تمتم برنت: "لا بد من أننا نلج نطاق المقصّ(٣)" وغمرت الجميع موجة من التوتر.

طالما تساءلنا خلال فترة التدريب كيف سيلعب بنا القدر في هذا الجزء من البحر القطبي حيث تلتقي ألواح الجليد المجروفة من عرض البحر ألواحاً التصقت بالشاطىء. ويحرك نطاق المقصّ سهلا جليدياً واسعاً موازياً للشاطىء على بعد يراوح بين ١٥ و٨٠ كيلومتراً تبعاً للسنة. وفي بعض السنوات يشمل حزاماً مائياً يدعى قناة(٤).

تصاعدت أصداء التاريخ في أفكارنا ونحن نثبت مخيمنا بسرعة ونرجع مزلجة لاحضار المؤن المتروكة قبل أن يتزحزح ممرنا أكثر. وتوجهت أفكارنا الى روبرت بيري ومساعده ماثيو هانسون. لقد انحرفا نحو الشرق وكادا يغرقان قبل أن يعثرا على الشاطىء الشمالي لجزيرة غرينلند. وخلافاً لوضعنا لم يملكا جهازاً لاسلكياً لطلب النجدة عند الحاجة ولا وسائل جوية تعيدهما الى موطنهما. وكانت رحلتهما ذهاباً واياباً، أما رحلتنا فذهاب فقط.

تمددت ذاك المساء داخل كيسي مصغياً الى الجليد الجبار وهو يدمدم ويتهشم من حولنا، ولكن مع الصباح خمدت الحركة أو كادت. ارتفعت معنوياتنا وابتهجنا لأن نطاق المقص بدا معتدلا تلك السنة. وفي وقت متقدم بعد الظهر أفرغنا حمولتنا في موقع التخييم وعدت مع جيف ومانتل لنقل بقية الذخيرة بينما أكمل الرفقاء سيرهم شمالا. ثم عادوا باسمين.

هتف برنت: "أخبار رائعة. تمتد أمامنا كيلومترات من الجليد الاملس." لقد شكل الجليد جسراً فوق "القناة الكبرى" بسماكة ٣٠ سنتيمتراً.

يا لمتعة الابحار في المحيط القطبي ومجاراة الكلاب الثائرة. في أقل من ساعة صباح اليوم التالي اجتزنا أكثر من ستة كيلومترات ووصلنا الى الحمولة التي تركها الفريق المتقدم. هناك أعدنا تحميل كل شيء. وللمرة الاولى منذ تلك الساعات اليائسة بعد مغادرة مخيم دريب كانت رحلتنا في اتجاه واحد: نحو القطب.

وداع حزين

بعدما تغلغلنا في نطاق المقص بدا واضحاً، وأسفاه، أن الجليد أمامنا يشبه

---

(٣) The shear zone

(٤) Lead . وهي قناة عبر حقل جليد.

تماماً ما قطعناه وربما أسوأ. والواقع أننا صادفنا تلالا مضغوطة ارتفع بعضها ١٨ متراً فوق السهول حتى كادت مزالجنا تنقلب عنها. وتدحرجت احدى المزالج فوق ماكيرو وصدمت قفصه الصدري. فشعر بمزق في العضل أو الغضروف لكنه لم يكترث للأمر حينذاك على رغم حدة الالم.

أصبح جلياً أن الرحلة بمجملها ستكون محنة طويلة وقاسية. وهزت صعوبة المراحل معنوياتنا. وبات مزاج الفريق يترجح وفق تقلبات الطقس والجليد، لكنه ازداد تشاؤماً.

قضمات الصقيع شوهت الجميع فبدوا أبشع مما مضى. وقال لي جيف اني قد أفوز بجائزة أبشع وجه اذا أجريت مباراة لذلك.

حظينا ببعض الراحة ليوم ونصف يوم عندما ألزمتنا عاصفة ثلجية عنيفة البقاء داخل خيمنا. بلغت برودة الثلج العاصف والريح القارسة نحو ٩٥ درجة مئوية تحت الصفر وانعدمت كل الروابط مع الفضاء والوقت. ونامت الكلاب آمنة تحت الثلوج.

في اليوم السابق، أي اليوم ١٦، زاد ماكيرو مشكلة أضلعه الملتهبة اذ حاول تقويم مزلجة منقلبة، وأخذ يعرج محاولا مجاراتنا. وأخيراً، في صباح اليوم ١٩، أعلن دامعاً أنه مضطر الى الانسحاب من الرحلة. وتفاقمت اصابته مع كل خطوة وتعاظمت نوبات الالم فلم يعد يتحملها. وإذ عجز عن المساعدة في دفع المزالج شعر بأنه يعيق تقدم الفريق.

خلال التخطيط للرحلة، التمسنا أنا وبول أفضلية حاسمة لم تتوافر لبيري. فقبل عصر الطيران كانت القاعدة الذهبية لدى مستكشفي القطب تجيز إطعام الكلاب القوية لحم الكلاب الضعيفة خلال الرحلة. أما نحن فلم يكن هذا خيارنا. فكلابنا ثمينة جداً. لذا قررنا الحصول على كلاب إضافية تنقل جواً حين تخف حمولتنا. وكان موعد وصول الطائرة الاولى بعد بضعة أيام، وفي وسع ماكيرو أن يعود فيها.

أحزننا قراره ووهنت معنوياتنا خلال الايام التالية. وكان جيف مصدر تفاؤلنا الدائم، لكنه قال: "أشعر للمرة الاولى بأننا قد لا ننجح."

ومع اليوم ٢٢ عكس بطء خطواتنا توتراً لدى الآخرين. لقد اجتزنا حوالى ١٦٠ كيلومتراً خلال ثلاثة اسابيع. ذاك المساء صارع بول نوبة شديدة من الحنين الى زوجته وابنته. كان هو وسائر الآباء الثلاثة في الرحلة، ماكيرو وجيف وبرنت، يعانون من حين الى آخر شعوراً واخزاً باللامسؤولية بسبب ابتعادهم عن عائلاتهم.

كان نهار آن بانكروفت شاقاً أيضاً. انها مدرّسة رياضة بدنية ومتسلقة جبال في الثلاثين من عمرها، لكنها لم تختبر الرحلات القطبية سابقاً. أمسكت زمام كلابي في الصباح بينما مشيت أمامها. وفي أحد المواقع سقطت على الجليد فأسرعت لمساعدتها. واذ دفعنا المزلجة الى الامام ترقرقت الدموع من عينيها. كان أملها بالنجاح كبيراً. فهي أصرت على تحقيق هدفها لرضاها الذاتي ولتمثيل المشاركة النسائية في الرحلات الكبرى.

بات ماكيرو عاجزاً عن المشي. ومن حين الى آخر كان يسعل ويخرج بلغماً أصفر مما أشار الى أذى أصاب رئتيه.

في اليوم ٢٣ كان يمشي أمامي مثل "أرنب" يحض الكلاب على الانطلاق. وعندما أدركته توقف واستدار الي. شعرت بالشفقة عليه وأنا أتأمل وجهه المتجلد.

تقدمت منه وعانقته وأجهشنا بالبكاء: "لا أريدك أن ترحل،" قلت ناشجاً وتعانقنا بصمت.

ارتفعت معنوياتي بعدما غمرني الأسى. كنا في حاجة الى هذه اللحظة من الارتباط الذي يعزز العلاقات الانسانية وسط الجليد. لقد أبعدتنا الشدّة والضيق. وفي تلك البرهة الوجيزة استمددنا قوة منحتنا عزماً وراحة ذاك النهار.

في الصباح التالي كانت الاجواء ما زالت كئيبة. عملت أنا وبول على حض الآخرين، وكان ماكيرو هو من أوقد شعلة الحماسة من جديد. فهو أزال الشكوك في فرص فوزنا. وعلى رغم انفصاله أيقن أننا سننجح في الوصول الى القطب.

وصلت الطائرة في اليوم ٢٦ الثاني من ابريل (نيسان). رافق الطيار فريق صغير من الصحافيين ومندوبي الاذاعة والتلفزيون. من ناحية، اعتبر هؤلاء جزءاً من الطاقم المساند للطيار، كما أن تغطيتهم للأحداث ستؤكد صحة وثائق الرحلة. ومعلوم أن عدم توافر وثائق حسية هو ما جعل اعلان بيري وصوله الى القطب عام ١٩٠٩ موضوع جدل وارتياب.

ظهرت علامات الصدمة على وجوه الصحافيين وهم يحدقون الى مظهرنا السخامي المنتفخ المتقرح. بددت أنا وبول قلقهم بتصريح تفاؤلي، اذ أخبرونا بانتشار اشاعات مفادها أن فرص نجاحنا ضئيلة. وحاول ماكيرو تغيير نظرة الصحافيين بحديثه الحيوي المتفائل، لكنه اكتشف أن بعضاً من انصارنا فقدوا الأمل أيضاً.

جسر من جليد

أصبحنا الآن سبعة أشخاص و٤٢ كلباً نكافح جميعاً للوصول الى قمة العالم. أحسنّا التقدم خلال ساعات "الليل" معتمدين الشمس لترسم مسلكنا نحو الشمال.

وبصفته بحاراً متمرساً واظب بول على قراءة مواقع الشمس يومياً بآلة السدس(٥) وتحديد نقاط على خريطته في الخيمة مساء. ومن باب الوقاية حملنا مرشداً لاسلكياً ينقل تحركاتنا ومواقعنا الى قمر اصطناعي يبثها الى قاعدتنا الرئيسية في حال تعطل الجهاز اللاسلكي أو في حال حدوث طارىء. لكننا اعتمدنا طوال الرحلة ملاحة بول اليدوية، وهي أسلوب تقليدي يحفظ للرحلة روحية حلوة.

اقتضت خطتنا، كخطةٍ بيري، "ضربة" أخيرة. في العام ١٩٠٩ قلّص بيري فريقه الاساسي من ٢٤ رجلا و١٣٣ كلباً الى ٥ مرافقين و٤٠ كلباً. وأكمل هذا الفريق طريقه من خط العرض ٨٨ على بعد ٢٢٥ كيلومتراً من القطب. والسرعة التي سجلها، ومعدلها ٤٢ كيلومتراً في كل مسيرة، هي محور جدل ما زال يثير الشوك حول ادعائه أنه حقق هدفه. ويصرّ

---

(٥) Sextant . وهي آلة لقياس ارتفاع الاجرام السماوية من سفينة أو طائرة متحركة.

مناقضوه على أن تحقيق هذه السرعة على الجليد في يوم واحد أمر مستحيل. ولكن كان علينا نحن تحقيق هذا النوع من تخطي المسافات.

قررنا أيضاً انزال "ضربتنا" عند خط العرض ٨٨ ومباشرة التحضير للرحلة الجوية الثانية لنقل الكلاب وموعدها ٩ أبريل (نيسان) أي اليوم المتوقع لوصولنا الى خط العرض ٨٦. بعد هذه النقطة استلزمت خطتنا اجتياز مسافة ٣٢ كيلومتراً في ١٢ ساعة وتعجيل خطانا مع تخفيف حمولتنا يوماً بعد يوم والوصول الى القطب مع نهاية ابريل (نيسان). انها معادلة ذات عنصرين: الكلاب والوقت. تجب المحافظة على كلابنا الواحد والعشرين في حال سليمة. فاذا وهنت قواها قبل وصولنا الى خط العرض ٨٨ فستتزعزع ضربتنا. واذا نفد الوقت وعجزنا عن سباق الطقس الربيعي الآتي، فسيذوب الجليد.

بعد ظهر اليوم ٣٠ اعتدل الطقس وارتفعت الحرارة الى ٣٤ درجة مئوية تحت الصفر. صاح برنت الذي كان يشق المسلك أمامنا، أنه توقف بسبب قناة مفتوحة. تقدمنا جميعاً وحدقنا الى سهل من المياه البرونزية امتد في طريقنا. انها ثغرة ضيقة لا يزيد عرضها على ثلاثة أمتار ونصف متر لكنها تتسع ببطء.

توجه ريتشارد شرقاً وتوجهت أنا غرباً بحثاً عن معبر لكننا لم نوفق. وفي هذه الاثناء شرع بول في بناء جسر بدحرجة كتل جليدية كبيرة الى الثغرة وتثبيتها بعضها الى جانب بعض. وشاركه الباقون حتى حصلنا على كتلة هائلة عائمة من الكسارة مرصوفة بإحكام بين جانبي الثغرة.

أدنينا مزلجة برنت باعتناء من الجسر. كنا في غاية الاثارة، فهذه مجازفة خطرة. وتملكنا التوتر لأن أدنى خطأ في التقدير سيؤدي بالمزلجة الى المحيط. شعرت الكلاب بالخطر فخطت برشاقة من كتلة الى أخرى فيما برنت يقودها الى الجانب الآخر، وهناك رتّبها في موقع ملائم لجرّ المزلجة عبر الجسر. ثم عبرت المزالج الاخرى تتابعاً.

مخيم اليأس

في ١١ ابريل (نيسان)، اليوم ٣٥، وصلت الطائرة الثانية ناقلة ٢١ كلباً. لقد بلغنا الآن أسوأ أنواع الطقس القارس والجليد المتراكم. قصرنا طول مزالجنا الثلاث المتبقية الى ثلاثة أمتار ونصف متر أي نحو ثلاثة أرباع طولها الاصلي، وحمل كل منها ٢٧٠ كيلوغراماً. هكذا بات لدينا ثلث الحمولة وأقل من نصف عدد الكلاب منذ مغادرتنا مخيم دريب. ومع ذلك ما زال القلق مستتباً. فالمزالج الثلاث الباقية تحمل ٦٨ كيلوغراماً أكثر مما كانت تحمل قبل وصول الطائرة، وستجرها فرق أصغر من الكلاب أُحسن إطعامها لكنها تفتقد الى الحيوية.

تابعنا السير نحو الشمال. وغطى المنطقة غلاف سميك مما سميناه "الثلج الربيعي" الذي يشبه الرمل الخشن ويصعب دفع المزالج فوقه.

عندما أرغمت فرق الكلاب على التوقف أعدت أنا وبول ترتيب مواقع أعضاء الفريق آملين توزيعاً أفضل للقوة.

واصلنا المسير لساعات واجتزنا بضع مئات من الامتار. وأدركت من نظرات رفاقي الذاهلة أننا توصلنا الى الاستنتاج نفسه: لن نصل الى القطب ابداً.

بحثت أنا وبول في الوضع ونحن قابعان خلف مزلجتنا. اتفقنا على أن الفرصة الوحيدة لنجاح رحلتنا هي في تقليص أعضاء الفريق الى شخصين مع أفضل كلابنا لتكفي المؤن المتبقية حتى مايو (أيار) أو يونيو (حزيران). ولكن كيف نذيع الخبر على الآخرين؟

سبق أن أوضحنا للرفقاء قبل بداية الرحلة انه اذا تعسرت الامور جداً فسيطلب من بعض الافراد الانسحاب. واذا لزم ابقاء عضوين فقط لاكمال الرحلة فالافضلية هي لي ولبول. وسلّم الجميع بذلك قبل أشهر. ولكن الآن، بعدما عانوا مشقات الطريق، فهل سيوافقون؟

نظرت الى الوراء. لم تكن المزالج تتحرك. كان جيف يمشي مجهداً نحونا. وقال لاهثاً: "نود عقد اجتماع. لا يمكننا الاستمرار على هذا النحو."

هززت أنا وبول رأسينا موافقين. نصبنا الخيم ثم احتشدنا داخل إحداها، تلك التي دعوناها لاحقاً "مخيم اليأس."

افتتح بول الاجتماع قائلا: "من الواضح أن مزيداً من هذه المشقات سيحول دون وصولنا الى القطب. نحن نحتاج الى خطة فورية وطويلة الأمد."

دهشت أنا وبول حين تقدم برنت بالعرض الذي كنا نفكر فيه. اقترح توفير مؤن كافية لثلاثة أشخاص وفريق كلاب واحد لتحقيق الهدف النهائي. وأومأ مانتل وجيف برأسيهما موافقين.

بعد الفطور في الصباح التالي التقينا في اجتماعنا الثاني. شعرت بأن الوقت حان لتوضيح عرض "فريق الطوارىء" واقتراح وضع طعام في "المصرف" لهذه المحاولة. وأجمع الرفقاء على الاكتفاء بشخصين، وهذا يعني بالطبع أنا وبول. ولتهدئة مخاوفهم من أننا تخلينا عنهم اقترحنا توفير مؤن لثلاثة أشخاص.

وجد الجميع خطتنا مقبولة. ولكن اذا أكملنا بثلاثة أعضاء فمن سيكون الثالث؟ سيكون جيف أو مانتل أول رجل من الاسكا يصل الى القطب. وبرنت من التخوم الشمالية الغربية الكندية التي قدمت دعماً عظيماً الى المشروع. وريتشارد كندي أيضاً، وهو متزلج ممتاز وقد نحتاج الى سرعته. أما الأهمية التاريخية لرحلتنا فقد تكون بقاء آن إذ انها الامرأة الاولى التي تشق طريقها الى القطب.

كنا على وشك فضّ الاجتماع حين أعلن مانتل: "إن استطعتم تدبر الامر فأنا أفضّل الانسحاب الآن. أشك في أن قدمي ستقودانني الى القطب، فأنا لا أستطيع التزلج ٥٠ كيلومتراً في اليوم الواحد."

منذ ارتدائه الحذاء المصنوع من جلد الفقمة في بداية الرحلة قاسى مانتل قضم الجليد في أصابع قدميه.

وبينما انصرف الباقون الى مهماتهم الروتينية أخذت أنا وبول مانتل في نزهة لاكتشاف حقيقة شعوره. وقد أظهر قلقاً شديداً من أن طلب طائرة أخرى سينعكس خسارة وزيادة في الديون. فأكدنا له أن اهتماماته هي في الطليعة. وعندئذ أقر بأنه يرغب في بذل أي جهد أو تضحية في سبيل نجاح الرحلة. وخنق

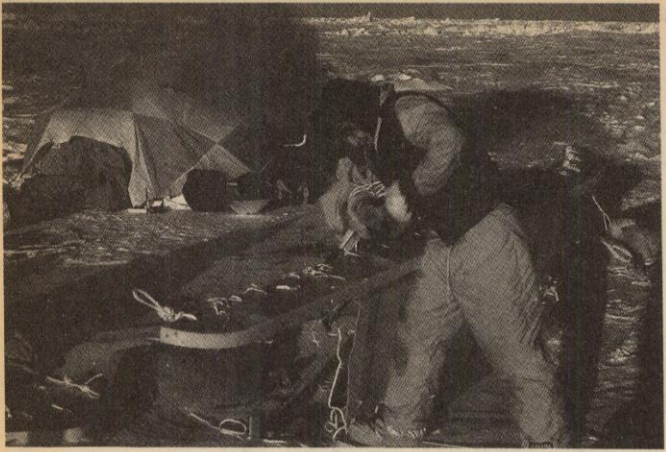

ريتشارد يقطّع مزلجة لاستعمالها وقوداً بعد تخفيف الحمولة.

الأسى صوته لكني أعتقد أنه استراح. وأجرينا الترتيبات اللازمة، وغادَرنا مانتل في اليوم ٤٠.

الحاسة السادسة

بعد يومين من مغادرتنا مخيم اليأس انطلق جيف متزلجاً للمرة الاولى. واعترضته ثغرة عرضها متران. انعطف الى الشرق بينما توجه بول غرباً باحثاً عن معبر. وعلى بعد ٤٠٠ متر اكتشف بول أن الثغرة ضاقت الى متر، فأشار الى آن لتأتيه بفريق الكلاب الأول.

لدى الاقتراب من الحافة أخذت آن تلاطف الكلاب الفزعة لتقفز فوق الثغرة. فجأة انهار الطنف الثلجي حيث وقفت فغاصت في المحيط الى خصرها. جاء رد فعلها سريعاً اذ فتحت ذراعيها مستندة الى جانبي الثغرة وخرجت من الماء. وأسرع بول بالكلاب الى بقعة آمنة وأخذ يبعثر الاغراض بحثاً عن ثياب جافة. خلال دقائق بدلت آن ثيابها وجواربها وعادت الى العمل لتستعيد حرارة جسمها.

في يوم رحيل مانتل اجتزنا بضعة كيلومترات بسهولة في طقس صفا طوال الصباح. ولكن بعيد الظهر صعقتنا الحقيقة ثانية. لاح أمامنا جدار من الجليد المتراكم بدا في هول "الجدار العظيم" في الصين. امتد حوالى ثلاثة كيلومترات. وخيمنا في منخفض منبسط تحته بعدما قطعنا ١٩ كيلومتراً ذاك النهار.

بقيت فكرة "فريق الطوارىء" تقلقني أنا وبول. منطقياً، ما من حسنات لابقاء عضو ثالث، فقد يتمكن شخصان من التنقل بسهولة وفاعلية أكثر. وأخيراً استنتجت أنه ما دامت المسألة تمزق الفريق فالغاء العضو الثالث هو التصرف الافضل.

دعوت الى عقد اجتماع لعرض اقتراحي. غضب برنت وآن وسخط

ريتشارد. حتى جيف الهادىء انفجر غاضباً وقال انه "مستميت" للوصول الى القطب. أما ريتشارد فلم يفتش عن عبارات لائقة بل قال: "هذه الخطة مقرفة. وما من قوة تُركبني الطائرة." واعتبر الاقتراح تغطية لما سماه "مكيدة ستيجر وشورك" التي تقضي بوصول شخصين فقط الى القطب. وألحّ في طلب اسقاط خطة "فريق الطوارىء" واخراج المؤن المخزونة من "المصرف". تجادلنا طويلا ثم قررنا ابقاء الامور على حالها يوماً آخر.

أعاقتنا الانجرافات البطيئة والتلال المتفتتة القديمة. كان جيف يتقدمنا مستكشفاً، وازدادت خيبته إذ بدا اننا نغوص أكثر فأكثر في متاهة من التلال المتقاطعة. وفي وقت متقدم بعد الظهر انحرف جيف شرقاً من دون سبب ظاهر. كنا ندرك أن الكشاف يعتمد أحياناً نوعاً من الحاسة السادسة حين يحاصر. ومع ذلك رحنا نتساءل عما به ونطرح تعليقاتنا الشخصية الناقدة.

راقبنا جيف يتقدم في الطريق. تسلق قمة عالية ثم تأمل الافق وبدأ يلوّح بذراعيه باهتياج. لحقت به أنا وبول فلم نصدق ما رأيناه: على بعد مسافة قصيرة شرقاً قناة كبيرة متجلّدة امتدت غير متناهية نحو الشمال.

سألت جيف: "كيف عرفت أنها تقع هنا في الشرق؟"

أجاب هازّاً كتفيه: "انه مجرد إحساس."

أسرعنا بالمزالج الى "الشارع" الجليدي الاملس وانطلقنا شمالا بسرعة راوحت بين ستة وثمانية كيلومترات في الساعة. وكتبت آن في يومياتها: "ابتهجت قدماي الصارختان." وراح بول وريتشارد يعرضان مهارتهما في التزلج

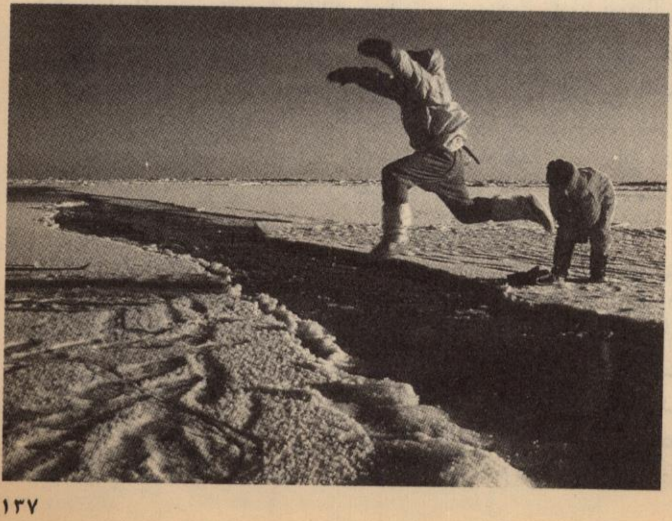

جيف يقفز الى الجانب الشمالي من القناة.

وينزلقان في دورات من ٣٦٠ درجة على السطح الجليدي. وبعد بضعة كيلومترات وصلنا الى شق من المياه الضحلة بلغ عرضه أربعة أمتار. استكشفنا المكان وعثرنا على موقع ضاق فيه الشق الى مترين، فوثب ريتشارد الى الجهة الاخرى.

ربطت حبلا بفريق كلابي ورميت الطرف الآخر الى ريتشارد، فسحبه ريتشارد فيما دفعت المزلجة الى الامام. وغطست الكلاب في الماء واحداً تلو الآخر.

كانت آن الاخيرة في اجتياز الممر. رمقت المياه بعصبية متذكرة غطستها الاخيرة. وبعد ركض تحضيري عَدَت نحو الشق وقفزت فوقه، ثم رفعت قبضتيها وراحت ترقص فرحاً. ابتهجنا جميعاً لفوزها.

في الصباح التالي غطى المنطقة ابيضاض كثيف. كان أملنا الوحيد للمضي في هذا السديم هو امتداد القناة شمالا الى ما بعد الجزيرة فتمنحنا مسلكاً مرئياً. وانطلق بول وريتشارد على زلاجاتهما للاستكشاف.

عادا بعد ساعات حاملين أخباراً سارة: امتدت القناة الى الشمال والشمس متقدة بين الغيوم. وللحال تلاشت حزازاتنا التافهة وحل مكانها شعور بالحماسة والتحدي. سحبنا المؤن من "المصرف" وأجرينا جردة سريعة ووضعنا برنامج طعام جديداً لنا وللكلاب. واتخذنا قراراً حاسماً: سنذهب جميعاً الى القطب.

ما الأمر؟

بعد ظهر اليوم ٤٥ كنا نعبر طبقة جليدية حديثة تتخللها قنوات صغيرة.

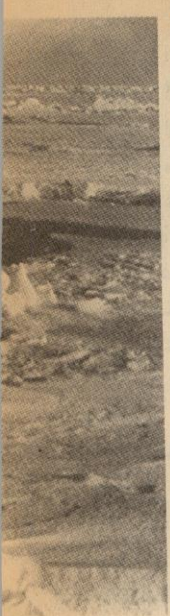

استخدم الفريق كتلة جليدية عائمة لعبور القناة.

وكانت القطع الجليدية تنجرف ببطء. في ذاك اليوم انشق مجرى مائي بلغ عرضه عشرة أمتار وانحرف شمالا شرقاً. وأملا بالعثور على معبر أكملنا المسير عبر حافة المجرى بضعة كيلومترات، لكننا اضطررنا الى التوقف اذ انعطف الى أقصى الشرق. وتسمرت عيوننا في كتلة جليدية متراصة تبعد خمسة أمتار عائمة على سطح القناة قرب المنعطف.

بسط برنت يده ونخس الكتلة برمح صيد كان يحمله لجسّ الممرات. كانت الكتلة قابلة للطفو. قفز بول وريتشارد اليها وراحا يجذفان برفش الثلج وقادا الكتلة بلباقة الى الجانب الاقصى حيث نزل ريتشارد لربط حبل. وسحبنا الكتلة ثانية وأصعدنا اليها فريق كلاب ومزلجة.

توليت أنا وآن تتبع ذلك الطوف الجليدي المترنح بآلات التصوير. كان حدثاً مثيراً ومسلياً. لقد تعلمنا هذه التقنية من رواية بيري.

في ٢٢ ابريل (نيسان)، اليوم ٤٦، كنا نقترب من درجتي العرض الاخيرتين وهما المرحلة النهائية لمستكشفي القطب. في اليوم التالي قطّعنا احدى مزالجنا الثلاث لنلقيها في النار. وانطلقنا في سباقنا السريع في اليوم ٤٨ محرزين تقدما بارزا:

٤٠ و٤٨ و٥٦ كيلومترا في ايام متتالية. وتوقعنا بلوغ القطب بعد اسبوع. لكن بول واجه صعوبات في آلة السدس التي جاءت قراءاتها متناقضة. وبدأنا نفقد القدرة على الاحتمال. انحرافنا البسيط في بداية الرحلة لم يؤثر فينا كثيراً، أما الآن فعلينا أن نتأكد من صحة توجهنا نحو القطب. فالانحراف بضع درجات سيكلفنا المزيد من الكيلومترات.

أخيراً في اليوم ٥٣ قرر بول اعتماد سلسلة من التخمينات الشمسية بعدما أربكته القراءات المضللة المتكررة. وبعد ٢٠ دقيقة من الجهد أذاع الخبر اليقين. حددت الآلة موقعنا على خط العرض نفسه كما في اليوم السابق. وقال بول مكتئباً: "هناك خطأ ما، فإمّا أننا شردنا عن المسلك واما أن آلة السدس لا تعمل على نحو صحيح." لم يكن في مستطاعه سوى فحص الآلة قطعة قطعة علّه يكتشف العطل. وإذ كنا عاجزين عن تقديم العون فقد نصبنا خيمنا ودببنا داخل أكياس النوم فيما تابع بول عمله.

فجأة خرق الصمت هدير فوق رؤوسنا. قبل أيام أنبأنا جيم غاسبريني، وهو عضو مساند في قاعدتنا في ريسوليوت، أن طائرة كندية عسكرية ستجري مناورات في ٢٩ ابريل (نيسان) وتحاول تحديد موقعنا. وسط لحظة القلق تلك كانت طائرة تناور فوقنا على علو منخفض لالتقاط الصور، فأدركنا أن مرشدنا اللاسلكي للطوارىء كان يعطي تحديداً دقيقاً لموقعنا.

وضع بول آلة السدس جانباً وسحب هوائياً وأدار جهاز الاتصال اللاسلكي. فسمعنا صوتاً واضحاً: "صباح الخير، كيف حالكم؟"

تردد بول قبل الاجابة وهتف بنا: "ما رأيكم؟"

فهمنا جميعاً قصده، ورأى عدد من الرفقاء أن عليه أن يستفسر. وكرر الطيار السؤال.

فأجاب بول بتأنٍ: "نحن بخير، ولكن هناك عطل بسيط في آلة السدس. ما هي احداثيات الموقع عندكم؟"

رد الطيار: "اني آسف، فمدير قاعدتكم أمرنا بعدم افشاء هذه المعلومات." ثم أحس بتوتر في صوت بول فأضاف: "أخبرونا أنكم لن تقبلوا أي مساعدة. هل غيرتم رأيكم؟"

صمت بول ثم اتخذ قراراً مصيرياً: "لا يا سيدي، سنتدبر الامر."

بدأ بول يرتاب في أن مشكلة آلة السدس تقع في رابط الفقاعة، وهو علبة مختومة تحتوي على مرايا وعدسات وفقاعة عائمة لتحديد أفق مستو. رفع بول الغطاء الخارجي. لم يسبق له أن رأى رابط الفقاعة، لكنه كان يرجو اكتشاف قطعة في غير محلها. وهو اكتشف ذلك فعلاً. لقد تكثف جليد بين إحدى المرايا الدقيقة وبراغيها المرصوفة، فزاحت المرآة قليلاً عن موضعها وسببت قراءات مشوشة. ثابر بول طوال الليل على اصلاح الجهاز.

صحا الفريق على نبأ حل المعضلة. وحددت قراءات بول أننا على مسافة ٤٥ كيلومتراً من القطب. ولسوء الحظ تكثف الضباب حين انطلقنا من جديد، ولم يبق لدينا من دليل سوى البوصلة. حاول ريتشارد ضبطها مع الشمس ذاك الصباح، لكنه حذرنا من الاتكال عليها بعدما اندفعت نحونا كتلة سحابية.

مع مرور الساعات بات واضحاً أنه يصعب التوفيق بين وجهة البوصلة والتيارات الهوائية. ما من مجال لأي خطأ. تضاءلت المؤن الى أربعة كيلوغرامات ونصف كيلوغرام من طعام الكلاب وسبعة كيلوغرامات لنا. أخيراً توقفنا راجين أن نوفق بقراءة صحيحة على آلة السدس. لم يتلاشَ الضباب فنصبنا خيمنا. وأشرقت الشمس في الصباح فأجرى بول سلسلة من التخمينات. واحسرتاه! لقد انحرفنا غرباً خلال ست ساعات من المسير في الأمس، ولم نتقدم الاّ بضعة كيلومترات نحو الشمال. لقد جازفنا وأخفقنا.

لم نعلم الاّ في وقت لاحق أن وجهتنا الخاطئة جاءت لمصلحتنا. فخلال استكشاف جوي قبل أيام من تعطل آلة السدس، حدد الطيارون شبكة هائلة من القنوات تقع في مسلكنا تماماً. وفي ريسوليوت اطّلع جيم غاسبريني على مواقعنا التي حددها القمر الاصطناعي، وراقب بقلق اقترابنا من الثغرات المائية المفتوحة التي يبلغ عرضها أكثر من كيلومتر.

أعلم الطيارون جيم أن الطريق الوحيدة لتفادي القنوات تقع على بعد كيلومترات غرباً. وذهل جيم والصحافيون ومتتبعونا في الوطن حين كشفت صورة الرادار التالية أننا، بأعجوبة، غيّرنا اتجاهنا غرباً

حول القنوات قبل أن نصل اليها. "كيف تمكنوا من ذلك؟" تردد هذا السؤال في أذهان الجميع في ريسوليوت ذاك اليوم.

"اننا في القطب!"

كان ذلك في اليوم ٥٥ وموقعنا ٨٩ درجة و٣٨ دقيقة. وكما دونت آن في يومياتها: "لو كان هناك برج على القطب لرأيناه من هنا."

كان الجليد مسطحاً تتخلله قنوات ضيقة، فأنجزنا تقدماً بارزاً. في تلك اللحظات تبددت كل الهموم والتوترات والقلق على الطقس والمؤن وحلّ مكانها شعور هائل بالرضا والاقتناع. تغير مظهر الاجساد الستة المنهكة والنفوس المضناة. وباتت خطواتنا خفيفة ووجوهنا ضاحكة. أخذنا نثرثر مبتهجين ونمشي جنباً الى جنب كأطفال يلهون في متنزه. تأملنا بدهشة ملايين الظلال الزرقاء حولنا في حديقة من الجليد المنحوت تتألق بألوان لا تحصى.

نصبنا خيمنا في استراحة قصيرة وتناولنا العشاء في العاشرة "ليلاً". اننا على مسافة ١٦ كيلومتراً من القطب بحسب قراءات بول. وقرابة الثانية عشرة جهّزنا الكلاب. وبعد ثلاثة كيلومترات وصلنا الى النطاق الاكثر نشاطاً في رحلتنا. انفصلت الكتل الجليدية وشكّلت ثغرات هائلة يراوح اتساعها بين أربعة هكتارات وأربعين هكتاراً. انها بحيرات محيطية تدعى "بولينيا" (٦). وبلغت الحرارة ٤٠ درجة مئوية تحت الصفر.

قادنا بول بعيداً نحو الغرب متخطياً شبكة من البحيرات، ثم غاب عن أنظارنا في جولة استكشافية. اذذاك وصلنا الى شق اتسع ليكوّن قناة عرضها ثلاثون متراً. واذ وقفنا حائرين بدأ الجليد يتململ. وانغلقت أطراف القناة كجسر متحرك فأسرعنا عبره قبل أن ينفصل الجليد من جديد.

واصلنا السير بضع ساعات شاقين طريقنا في هذه المتاهة مسحورين بالمناظر الرائعة. زينت الشمسَ عقود من الانوار الباهرة التي تلاقت في قوس قزح منحنا أملاً طاغياً. بدت بقع المياه بركاً هادئة عاكسة. وغطت بعضها طبقة رقيقة من الجليد زينت سطحها "أزهار ملحيّة" ناعمة. ورسا امتداد من الرطوبة المتكثفة فوق المياه المتجمدة حديثاً فبدا كأوراق القيقب البيضاء أو كسعف السرخس تومض مع كل نسمة، وكالموشور جعلت السطح يتوهج ويلمع بكل الالوان.

كان الجليد ينزلق في كل اتجاه فيملأ الهواء هديراً منتظماً يقطعه دوي وصيحات وأنين عميق. قال جيف: "هذه أجمل لحظات حياتي." وأضاف: "إذا حالفنا الحظ فسنجد مهبطاً ملائماً على القطب تماماً."

كان ذاك تحدينا التالي: العثور على مهبط للطائرة في هذه المتاهة الواسعة. وبعد دقائق صادفنا امتداداً مسطحاً زاد طوله على كيلومتر. تبادلنا الابتسامات وتابعنا المسير متأكدين من عثورنا على ضالتنا. كنت مستعداً للسير الى الابد. ولحسن الحظ كان ريتشارد وبرنت أكثر تعقلاً وبدأا يقلقان من أننا قد نتجاوز القطب. أسرعا اليّ والى بول مصرّين على

(٦) Polynyas

أعضاء الفريق الستة (من اليمين: ريتشارد ويبر وجيف كارول وبول شورك وويل ستيجر وبرنت بودي وآن بانكروفت.

التوقف واجراء دفعة أخرى من القراءات.

سحب بول آلة السدس بينما نصبنا نحن الخيم. كان موقعنا الى يسار القطب وعلى بعد بضعة كيلومترات منه بحسب قراءاته. لكنه حذرنا من أنه غير متأكد من ذلك ريثما يجري قراءة أخرى في الصباح. فخلدنا الى النوم في الرابعة صباحاً.

في ٢ مايو (أيار) تمام العاشرة الا ربعاً صباحاً، كان ثلاثة منا انتهوا من تحضير دقيق الشوفان للاكل وجلسوا يدوّنون يومياتنا. كانت المواقد مطفأة لكن الخيمة دافئة. فأدركنا أن الحرارة في الخارج هي فوق الصفر. وسمعنا بول يحاول اصلاح آلة السدس وبرنت يتحدث الى الكلاب.

قاطع كتابتي دوي انفجار في الخارج. ثم سمعنا برنت يصيح: "اننا على القطب!" واحتفالاً بذلك أطلق النار من بندقية حملناها لابعاد الدببة عن المخيم.

خلال الساعات الماضية أظهرت قراءات بول أن التغير في زاوية الشمس بقي ثابتاً. لقد بلغنا هدفنا في الليلة السابقة أي في اليوم ٥٥ من رحلتنا. لكن الغريب في الامر أننا لم نهتف أو نتصافح، بل غمرنا شعور بالارتياح. لقد انتهينا من المشي الطويل والعوائق الشاقة والاصابع المتجمدة.

نقلنا مخيمنا الى مهبط الطائرات الذي عيّنه جيف في الليلة السابقة، ثم نعمنا بما كنا في أمس الحاجة اليه: النوم.

بعد الظهر سحب بول هوائي الجهاز اللاسلكي للمرة الاخيرة. وتلقى طيار فوق ايلزمير رسالة بول ونقلها الى ريسوليوت. وجاء الرد من قاعدتنا: "تهانينا! ستغادر ثلاث طائرات الى يوركا الآن للتزود وقوداً ويتوقع وصولها الى القطب ظهر غد."

العودة

كان اليوم التالي صافياً ومعتدلاً مثل طقس هاواي، وبلغت الحرارة ١٠ درجات مئوية تحت الصفر. أجرت آن مقابلات

سريعة مع كل منا مستخدمة الفيلم المتبقي في آلة التصوير السينمائية. واغتنم جيف هذه الفرصة ليؤدي عرضاً بطولياً فريداً: تزلج حول العالم ثلاث مرات قاطعاً دائرة بلغ اتساعها كيلومتراً ونصف كيلومتر.

كنا نتوقف من حين الى آخر ناظرين حولنا متأملين أهمية ذاك المكان الذي يدور حوله كوكبنا. لقد أحاطت به تلال وكتل جليدية فبدا مشابهاً لجميع المواقع التي اجتزناها. ما من نصب تذكارية أو لوحات معدنية أو تذكارات من رحلات سابقة، فالجليد يجرف كل شيء.

ان وجود القطب لا يعدو كونه مفهوماً حسابياً: نقطة التقاء الخطوط. بدا وجودنا هناك مربكاً بعض الشيء. التوجه نحو الشمال استقطب عقولنا وقوانا لمدة طويلة. وسيطر هذا الهاجس علينا ليل نهار. وها نحن الآن في هذه البقعة من كوكبنا حيث لا نواجه سوى الجنوب من كل صوب.

لقد ثبت خطأ نظرية معارضي بيري من أن اجتياز مسافة تراوح بين ٥٥ و٨٠ كيلومتراً في اليوم على الجليد القطبي أمر مستحيل. في بداية الرحلة جرّت كلابنا ثلاثة أضعاف حمولة بيري. ومع وصولنا الى الدرجة ٨٨ كانت كلابنا منهكة أكثر من كلابه. ومع ذلك، كان معدل المسافة التي اجتزناها في مسيراتنا الخمس الاخيرة يساوي ما سجله في سباقه الاخير. كما خيل الي أن بيري وهانسون امتلكا "حسّ التعقب" بعد خبرتهما الطويلة في الاستكشاف. كانا مراقبين حاذقين حللا الاشارات والالغاز بديهياً وبرعا في تحديد المواقع بواسطة البوصلة والسرعات والمسافات. والاشخاص الذين أمضوا أوقاتاً طويلة في تلك الطريق الشاقة يدركون قدرة الانسان على تنمية "حاسة سادسة" لديه. قد يصعب اثبات وصول بيري وصحبه الى القطب الشمالي في ٦ أبريل (نيسان) ١٩٠٩، لكني أعتقد أنهم فعلوا.

في منتصف النهار انحدرت ثلاث طائرات تحمل إحداها وقوداً كافياً لطريق العودة، وحطت على البقعة الملساء. أسرع بول فرِحاً ليفتح حقيبة أرسلتها اليه زوجته سوزان. كانت مليئة بقطع الحلوى والشوكولاتة وعلب الحليب والشراب وقطع الهامبرغر وشطائر اللحم والمحار المدخّن. أكلنا بنهم حتى التخمة.

أثناء التهام الطعام انحلت مشاعرنا الدفينة. جلست كئيباً سانداً ذقني الى يدي. طوقتني آن بذراعيها. وتمالك بول عن البكاء الناتج من السعادة والحزن والارتياح. ووصف ريتشارد تضارب المشاعر الذي أحسسناه: "في هذه الرحلة تفور المشاعر في أقصى درجاتها، فأنت إما في منتهى السعادة واما في منتهى الكآبة. الجميع سعداء للرحيل من هنا، لكني بدأت أفتقد هذا المكان. يا لسرعة ما تنسى المشقات حقاً."

توقفنا في يوركا لوقت وجيز وبلغنا ريسوليوت بعد ثماني ساعات من مغادرة القطب. أحاط الطائرة حشد من الوجوه الباسمة. كان أسعدَها وجها سوزان زوجة بول ونالا زوجة برنت. وكانت هناك ابنتاهم بريا وكريستال مختبئتين تحت قلنسوتي الثلج.

ظهرت على المدرج طائرة نفاثة كبيرة رسم على جانبها علم ولاية منيسوتا، وهي ملك لصاحب المحطة التلفزيونية التي غطت رحلتنا، وقد حضرت لنقل أعضاء الفريق الامريكي الى منيابوليس في اليوم التالي. لن يتسنى لنا أن نرتاح.

في الصباح ودّعنا ريتشارد وبرنت. سيعودان الى منزليهما في كندا لاحقاً. ثم صعدنا الى الطائرة وسط حشد من المراسلين. وعيِّن توقيت وصولنا مع بداية نشرة أخبار السادسة مساء في مدينتي سان بول ومنيابوليس. كنت أنا وآن وبول من منيابوليس، وكانت المدينتان مصدر دعم لعملنا.

واذ هبطت الطائرة فوق سان بول بهرت الطبيعة الربيعية الخضراء أحاسيسنا. لقد استحوذ البياض على أنظارنا مدة طويلة واستغرقنا بضع دقائق للتكيف مع الاخضر المفعم بالحياة. وعندما هبطت الطائرة تغلغلت الى أجسادنا حرارة بلغت ٢٧ درجة مئوية، وغمرتنا بدفء يزيد ٧٥ درجة عما اختبرناه أثناء رحلتنا. اختلسنا النظر من النافذة وذهلنا لرؤية حشد هائل من الانصار المبتهجين يلوحون بلافتات ورايات.

لدى نزولنا من الطائرة أحاط بنا الحشد وشعرنا برضا وارتباك في آن. لمَ شغلت رحلتنا عقول أولئك الناس؟ هي ليست الرحلة القطبية الاولى أو الاطول، ولن تكون الاخيرة بالطبع.

وخلال الايام التالية شغلتنا المؤتمرات الصحافية والمقابلات الكثيرة في أنحاء البلاد، وأدركنا لغز ذلك الاهتمام حين تصفحنا الجرائد الصادرة منذ مغادرتنا في منتصف يناير (كانون الثاني). لقد صعقت العالم كارثتان: انفجار المكوك الفضائي "تشالنجر" في يناير (كانون الثاني) ١٩٨٦، والكارثة النووية السوفييتية في تشيرنوبيل في ابريل (نيسان) ١٩٨٦.

أدركنا أن ثقة الناس بسحر التكنولوجيا تزعزع كثيراً. أما نحن الستة فقد قادنا نوع مختلف من الايمان. لقد كافحنا طويلاً لتحقيق هدفنا من خلال عزم وطيد وإرادة جماعية. ووضعنا ثقتنا بالعناية الالهية.

وهكذا مثّلت رحلتنا، لنا وللناس كثيرين، تجدداً لقوة الايمان والروح الانسانية التي لا تقهر.

ويل ستيجر وبول شورك

ترجمة أسنسيون فيصل

عصفوران بحجر

يولي زوجي المقتصد اختيار هداياي اهتماماً كبيراً. وذات مرة أهدى الي علبة جميلة لادوات الكتابة. وبما أني نادراً ما أكتب رسائل سألته ماذا حمله على اختيار هذه الهدية الخاصة. ومن دون أن يشيح ببصره عن جريدته أجاب: "فواتير الهاتف."

ب.إ.

اكتب واربح

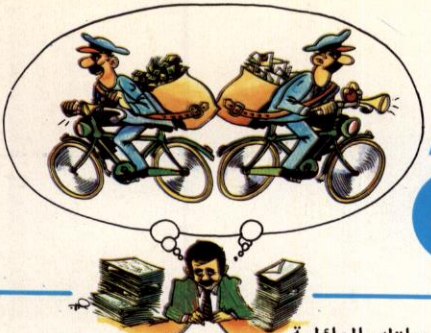

هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية أو المهنية حادثاً طريفاً؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في أن تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلماً وورقة واكتب ما لديك وأرسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

صور من الحياة: القصة يجب أن تكون حقيقية تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة. تدفع عن القصة الواحدة ٢٥ دولاراً.

تأملات معاصرة: مقاطع أصلية أو من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية. يدفع دولار عن كل سطرين.

حديقة أفكار: أقوال مأثورة للأعلام العرب. تدفع ٥ دولارات عن كل سطرين، على ألا يتجاوز القول المأثور السطرين.

الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، أما اذا كانت منشورة فيجب أن تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. تدفع ٢٥ دولاراً عن الاصلية و١٠ عن المنشورة.

السدات: هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع دولارين عن السطر ذي العمودين.

شروط جديدة

- كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.
- كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة.
- ارفاق كل مادة بنسخة مصورة كاملة لصفحة الكتاب أو المجلة أو الجريدة التي تظهر فيها، شرط أساسي لقبول أي مادة، اذ من دونها يتعذر علينا التحقق من صحة المصدر.
- ذكر المصدر العربي ضروري ونعني بذلك: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر وعنوان الناشر كاملا. (اذا اختيرت المواد من مجلة أو جريدة، فينبغي ارسال عنوان الجريدة أو المجلة كاملاً، خصوصاً اذا كانت المطبوعة محلية محدودة الانتشار).
- تحاشي المواد المترجمة أو المستقاة من مصادر أجنبية.
- لا ينظر في الرسائل التي تضم كدسات من المواد، فالمقصود أن يحسن القارىء الاختيار.
- لا تعاد النصوص الى أصحابها، سواء نشرت أو لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي: مجلة "المختار من ريدرز دايجست"، مركز ميرنا شالوحي، بولفار سن الفيل، ص. ب ٥٥٢٢٨، المتن الشمالي، لبنان.

Courtesy: The E.F. Hutton Collection photo: Malcolm Varon

زيتية للفنان الامريكي ريتشارد ليتل